



جمهوری اسلامی ایران  
جمهوری اسلامی ایران



الْأَمْرُ مَوْلَى جَعْفُورٍ  
شَمْسٌ  
فِي ظُلُمَاتِ السَّجْوَنِ

عادل عبد الرحمن البدي



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

# الإِمام موسى بن جعفر عليه السلام

شمس في ظلمات السجون

عادل عبد الرحمن البدرى

بلوري، عادل عبدالرحمن، ١٩٥٦ - م.

الإمام موسى بن جعفر(ع): شمس في ظلمات السجون / تأليف عادل عبد الرحمن البلوري .

مشهد: بنیاد پژوهشگاه اسلامی، ۱۴۳۲ ق - ۱۳۹۱ ش.

۳۴۸ ص.

فیما.

ISBN 978-964-971-512-4

كتابات به صورت زیرنویس.

ا. موسی بن جعفر: امام هفت، ۱۲۸ - ۱۸۳ ق. سرگذشتانه. الف. بنیاد پژوهشگاه اسلامی .

ب. عنوان.

۲۹۷۷۹۵۶

الف ٤ ب / ٤٦ BP ٨١٣٩٠

۲۹۷۷۱۱۲

کتابخانه ملي جمهوري اسلامي ايران



کتابخانه ملي  
جمهوري اسلامي

## الإمام موسى بن جعفر

شمس في ظلمات السجون

عادل عبد الرحمن البلوري

الطبعة الأولى ١٤٣٣ ق. / ١٣٩١ ش. / ١٥٠٠ نسخة ، وزیری/الثمن ٣٦٠٠٠ ریال إیرانی

الطباعة: مؤسسةطبع ونشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة

مجمع البحوث الإسلامية، ص.ب ٣٦٦ ٩٧٣٥-

هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ٢٢٣٠٨٠٣

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية: (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم) ٧٧٣٣٠٢٩

[www.islamic-rf.ir](http://www.islamic-rf.ir)

[info@islamic-rf.ir](mailto:info@islamic-rf.ir)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

## المقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلوة والسلام على خاتم الأنبياء والرسول محمد العربي الهاشمي القرشي المصطفى المختار، وعلى من سبقه من الرسل والأنبياء، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى المستحبين الصالحين من صحبه، أفضل الصلاة وأكملها وأتمها ما دام الليل والنهار، وما قامت السماوات والأرض.

بدأت رسالات السماء وحججها المرسلة من بارئ السماء والأرض تظهر مع أول مخلوق على الأرض كُلُّف بالخلافة والنيابة عن رب جل جلاله على وجه الأرض التي يعيش فيها عباده ومخلوقاته الأخرى، وهذا الخليفة هو أبونا آدم عليه التحية السلام، ومن صلبه خرجت جماعات الأنبياء والأوصياء لتأذن رسالات السماء التي أرادت الإرادة الربانية إبلاغها إلى ذريته آدم عليهما السلام الآخرين، فلم تكن الأرض - منذ أن وُطئت وما زالت - خالية من حجة أو إمام أو رسول يبلغ رسالات ربها ويحفظ الرسالة من أن تنحرف أو ترتفع أو تضيع في مجاهيل الأرض؛ لأن الله تعالى جعل الإنسان

#### ٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

مقيداً ومكلفاً بشرائع وعبادات أطلق عليها مصطلح الأديان، ووضع له في هذه الأديان نظاماً ينبغي أن تكون بنوته وفصوله هي الحاكمة والجارية بين البشر، ولكن طغيان الإنسان وجبروته جعلته يجذب إلى العناد والخلاف لهذه الشرائع التي جاءت بها الأديان، واستبدَّ بهذا المخلوق إبليسُ الذي سبق آدم عليهما السلام في الخليقة وخَدَّعه، فزيَّن له الكفر والكِبْر والمعصية، حتى وصل إلى العناد والمكابرة مع ربِّ الشرائع التي أنزلها، فظهرت بين بني آدم موجات من الجحود والإلحاد وإنكار الربوبية وأهواء مرتدة عن العقل والفطرة البشرية. ومن هنا كان الأنبياء على مسار التاريخ وامتداده يقفون بصلابة بوجه هذا الانحراف والطغيان، وكان الأنبياء والأوصياء أعدوا لهذا الدور والجهد والجلد والمعاناة مع الطواغيت من بني آدم.

ومع امتداد التاريخ البشري مارس الأنبياء والأوصياء هذا الدور في مواجهة الظلم والكفر والانحراف، وكثيراً ما انتهى بهم هذا الدور الشاق المرهق إلى حُفَر وظلمات السجون، أو التشريد، أو النهاية الظاهرية في القتل الذي نتصوّره أو تراه أبصارنا لأجسادهم الظاهرة، وكأنّها تنتهي في رفات القبور وتتوول إلى العدم والفناء، وهم في الحقيقة في حياة أبدية يعيشون في أعماقها، ومع حياتهم الأبدية فهم أحياه حاضرون بينما يتحرّكون في آدابنا وثقافاتنا وعلومنا، وما يزيد them الزمان إلا تجدداً وخلوداً، لا يستطيع أن يتزعّز منهم شيئاً أو ينقصهم إلا ثوبهم الخارجي القديم فيجددده ويعيده لهم بصورة العصر ولغته. ولكن ذاكرة الزمان ظلت وما زالت محفوظة بصور من آلامهم وعداياتهم التي أبكّت عصورهم. وهذه الذاكرة القرية تعيد على الدوام للأجيال حكاياتهم وأقاوصيصهم، وكأنّها

أحداث الأمس القريب الذي مرّ على أعيننا، وكلّما أعادت لنا صورة أو حكاية عنهم أبكّتنا رغم تقادم الأزمان وتباعدنا.

ونحن المسلمين يحرّكنا ويثير عواطفنا وأشجاننا تاريخ نبينا وأل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، الذي امتنأ بالدموع والآهات. ولا يخفى على الباحث ما نال أوصياء النبيَّ محمدَ ﷺ مما قدر لهم في حظهم من العذاب والتشريد والتروع والقيد والسجن الذي أعدّ لهم دون غيرهم من البشر، وإن كان هذا لهم هو تشريف وتكريم ودرجة، إلا أنَّه ينبغي لهذا القيد الذي وضعوه على أيديهم، والسجن الذي غيّوهم فيه أن يرقد فيه المجرمون والسرّاق والمنحرفون والطغاة لا الأوصياء الطاهرون الذين أرادوا إصلاح العباد والبلاد. ولعلَّ الصورة المأساوية التي تخترنها ذاكرة التاريخ عن الوصيِّ الطيب الطاهر العبد الصالح موسى بن جعفر عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام وأكمالها، كانت فيها من المشاهد ما يعتصر لها القلب ألمًا، فما ذنب موسى بن جعفر (عليه السلام) حامل رسالات الأنبياء والأوصياء، ومصلح البلاد والعباد؟! أيْ جنائية جنאה حتى يُغيّب في ظلمات سجون دولة بنى العباس يتنتظر ساعات الخلاص من دياجير الظلم الذي غيّوه فيه حسب تصوّرهم؟! ولكنَّ الحقيقة غير ما كانوا يرون من هذا الظلم الأسود الحالك الذي أثاره موسى بن جعفر (عليه السلام) بوجوده وصلاته وتسبيحه وشكره، وكانَ هذه الذرّات المضيئة والتبسيحات التي كانت تنطلق في جوف الليل المظلم المدلّهم من قعر السجون الموحشة شموع وقادة ألّهبت وجدان المسلمين وغرزت في قلوبهم نوازع الإيمان بالله، وأشعلت في ضمائركم وهج الثورات المتلاحقة التي وقفت بوجه الطغاة، وأحرقت عروش الظلم

## ٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

والكفر والفحور، ولتنقى شعلة الإسلام وقاده مضيئ، ويبقى وهج الإمامة  
العلوية الهدادية بأوراقها الخضراء التي أنارت دروب المسلمين ومسالكهم  
 بالنور والإيمان والصلاح والهدى.

عادل عبد الرحمن البدرى

مشهد الرضا عليه وعلى آباءه آلاف التحية والسلام

. ١٤٣٠ هـ.

## العباس وبنوه بين العطف النبوى والبر العلوى

لم يكن العباس بن عبد المطلب بعيداً عن رأفة النبي ﷺ، أو بعيداً عن ضفاف هذه المحجة والمودة التي كان يكتئاً لها من قلبه، وعلى ما ينقل المؤرخون والرواة، فقد كان يرفل بالرعاية النبوية، بل ظل معموراً بها حتى وإن كان في الظاهر مع جهال قريش وجهلها وعنتها وكبرياتها وجيوشها التي كانت تعددتها، ومع كل المواقف والمساءات التي شارك في بعضها العباس وغيره منبني هاشم، كان النبي محمد ﷺ باراً بعمه العباس بن عبد المطلب

---

١ - كانت للعباس في الجاهلية السقاية وزمزم ورثها من أجداده وأبيه عبد المطلب، والسقاية هي جمع الماء من آبار مكة، وحمله على الإبل في المزاود والقرب وسكنه في حياض من أدم توضع في فناء الكعبة، فيerde الحجيج ويشربون منه. وكانت السقاية قبل العباس بيد الزبير بن عبد المطلب ثم لأبي طالب. ثم ألت السقاية والرفادة معاً إلى العباس بن عبد المطلب، ودامت له حتى فتح الرسول ﷺ مكة. ينظر: عصر النبوة من موسوعة التاریخ الإسلامي ٢٢٠. وعاش العباس إلى أيام عثمان بن عفان وقد كفَّ بصره. وكان له من الولد تسعة ذكور وثلاث إناث، وكان إسلامه بعد انتصار المسلمين في معركة بدر، وقيل قبل بدر. وقيل كان يكتئم إسلامه ثم أظهره في فتح مكة. ينظر: علام العورى للطبرسي ١٥١، التاریخ السياسي والعسكري للدولة المدينة ٢١، الاستيعاب ٩٥.

## ٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وسائلبني هاشم الذين شرّفوا وملّكوا باسمه.

ومن برهة عليهما السلام بعمّه قوله عليهما السلام: احفظوني في عمّي العباس؛ فإنه بقية أبيائي.  
وروي عنه عليهما السلام قوله فيه: من آذى العباس فقد أذاني، إنما عمّ الرجل صنُونَ  
أبيه.<sup>١</sup> وفي خبر آخر عنه عليهما السلام قال: خير إخوانني على، وخير أعمامي حمزة،  
والعباس صنُونَ أبي.<sup>٢</sup> روى أبو سعيد الخدري أنَّ النبي عليهما السلام قال: أوصيكم  
بهذين خيراً، يعني علياً عليهما السلام والعباس، لا يكفيّ عنهما أحد ولا يحفظهما لي إلا  
أعطاه الله نوراً يرد به على يوم القيمة.<sup>٣</sup>

وقد نال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس تكرمة من قبل  
النبي عليهما السلام لم يكن يحلم بها في السنة الثامنة للهجرة لما فتح النبي عليهما السلام مكة  
ودخلها، حين أمر منادياً ينادي بمكة: من أغمد سيفه فهو آمن، ومن دخل

---

١ - مالى الطوسي: ١: ٢٧٣ و ٣٦٢. وروى البيهقي خيراً قريباً من هذا جاء فيه: إنَّ النبي عليهما السلام قام خطيباً فقال: أيها الناس، من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله. قال: فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثمَّ جعل الخلق الذين أنا منهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين، ثمَّ جعلهم شعوباً فجعلني من خيرهم شعباً، ثمَّ جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم والداً، وإنَّ مباراً، قم يا عباس. فقام عن بيته، ثمَّ قال: قم يا سعد، فقام عن يساره، ثمَّ قال: يقرب أمرؤ من الناس عمماً مثل هذا، أو خلاًماً مثل هذا. *المحسن والمسوئي* ٧٦.

٢ - عيون أخبار الرضا: ٢: ٦١ ح ٤٤٧. وروي عن حذيفة في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا  
خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذِكْرٍ وَأَنثىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائلَ لِتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ»  
(الحجرات: آية ١٣) أنَّ النبي عليهما السلام قال: فأنا أنتي أولاد آدم عليهما السلام ولا فخر، وقبيلتي خير القبائل  
وأكرمها على الله. تفسير فرات الكوفي: ١٦٣. وروي أنَّ النبي عليهما السلام أفرد علياً عليهما السلام في حديثه  
فقال: من آذى علياً فقد أذاني. المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٠ و ١٢٢.

٣ - الفردوس لأبن شيرودي الدللمي: ١: ٤٢٨ ح ١٧٤٦، بحار الأنوار ٣: ٣٩ و ٣٠٤.

المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. وكان جزاء أبي سفيان القتل؛ نظراً لدسائسه الكثيرة، ولكنه حظي بعطف النبي ﷺ فحقن دمه، بل شرفه، وهذا التشريف كان بشفاعة العباس بن عبد المطلب. وكذلك من عليه النبي ﷺ لما أراد بعضهم أن يضرب عنقه، فكان العباس شافعًا له، فقبل النبي ﷺ شفاعته له.<sup>١</sup>

وكان العباس في ظاهره مظاهرًا لمشركي مكة في غزوة بدر، فلما أسره المسلمون وضعوا القيد في يديه، فلم يزل رسول الله ﷺ ساهراً أول الليل، فقال له أصحابه: ما لك لا تنام؟ فقال رسول الله ﷺ: سمعت أنين عمي العباس في وثاق، فأطأقوه فسكت، فنام رسول الله ﷺ.<sup>٢</sup> ومع هذه العواطف التي يكنها النبي ﷺ، لعمه فهو يضع نصب عينيه مبادئ الإسلام وقوانينه العادلة، ولذلك يروى أن النبي ﷺ قال للعباس عممه: افرِ نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم، فإنك ذوماً. فقال: يا رسول الله، إنني كنت مسلماً، ولكنَّ القوم استكرهوني، فقال النبي ﷺ: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا. وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فقال: يا رسول الله، أحسبها لي من فدائي، فقال ﷺ: ذلك شيء، أعطانا الله إياه. فقال العباس: ليس لي مال، فقال ﷺ: فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجمت عند أم الفضل بنت المحارث ليس معكما أحد، ثم قلت لها: إن أصبحت في سفري هذا فللفضل كذا، ولعبد الله كذا وكذا، ولقاسم كذا، ولعبيد الله كذا وكذا؟ قال العباس: والذي بعثك بالحق، ما علم بهذا أحد غيري

١ - ينظر: بحار الأنوار ٢١: ١٠٤ و ١٢٨.

٢ - المصدر نفسه: ١٩: ٢٤٠.

## ١٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في ظلمات السجون

وغيرها! وأتي لأشهد أنك رسول الله، ففدي نفسه وابني أخيه وحليفه<sup>١</sup>. ولم يكن العباس يطمع في أن يسامحه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور العقيدة والدين؛ لأنَّه يعلم أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتسامح مع أحد في هذه المسألة مهما كان، لكنه يفهم أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتغاضب معه ومع بني هاشم تجاهياً حاراً، لذا كان العباس يبيه همومه وأشجانه، وظهر ذلك لما شكا العباس تجهم القرشيين وصاددهم له ولبني هاشم بقوله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، إذا تلاقوا تلاقوا بوجوه مستبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب رجل إيمان حتى يحبكم الله ولرسوله<sup>٢</sup>. وقال العباس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، قد تركت فيما ضعافين منذ صنعت الذي صنعت! فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يبلغون الإيمان حتى يحتوكم الله ولقرباتي<sup>٣</sup>. وغير ذلك مما يروى في هذا المضمamar من أحاديث مغمورة بحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعطفه على عمته العباس وبنيه هاشم ومن اتصل بهذا النسب الكريم، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبره بظلم أولاده لذريته في الزمن اللاحق، فقد جاء في الخبر أنه هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه قباء أسود ومنطقة فيها خنجر، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا جبرئيل، ما هذا الزي؟ فقال جبرئيل: هذا زمي ولد عمك العباس! فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العباس فقال: يا عم، ويل لولدي من ولدك! فقال العباس: فأجب نفسي؟! فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جرى القلم بما فيه<sup>٤</sup>.

وهنالك روایة بن عامر الجھنی تقول إنَّه رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخذًا

١- المناقب والمثالب للمقاضي أبي حنيفة النعمان المغربي .١٤٩

٢- بحار الأنوار ٢٧: ٨١ و ٤١، ونحوه في مسند أحمد ١: ٢٠٨.

٣- المعجم الكبير للطبراني ١١: ٣٤٣.

٤- من لا يحضره الفقيه ١: ١٦٣ ح ٧٧٨

بيد العباس قائلاً له: يا عباس، أَنَّه لَا تَكُونْ نِبْوَة إِلَّا وَكَانَتْ بَعْدَهَا خِلَافَة، وَسَيْلَى مِنْ وَلْدِكَ فِي أَخْرِ الزَّمَانِ سَبْعَةِ عَشَرَ، مِنْهُمُ السَّفَاحُ وَمِنْهُمُ الْمَنْصُورُ وَمِنْهُمُ الْجَمْحُونُ وَمِنْهُمُ الْعَاقِبُ وَمِنْهُمُ الرَّاهِنُ مِنْ وَلْدِكَ. وَيُؤْلِمُنِي مِنْهُ كَيْفَ يَهْلِكُهَا وَيَذْهَبُ أَمْرَهَا<sup>١</sup>! وَفِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ مَا يُلوَحُ إِلَى اِنْهِاكِ أَمْرِ الْأَمَّةِ وَضَلَالِهَا وَإِضَالَالِهَا بِيَدِ خَلِيفَةِ عَيَّاسِي.

وَقَدْ اصْطَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ الْمَرْكَبَةَ وَوَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ، فَقَدْ كَانَ مُعْتَقِداً بِخِلَافَتِهِ السِّيَاسِيَّةِ، وَبِأَنَّهُ الْوَصِيُّ الشَّرِعيُّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَمَّا دُفِنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ عَلَيْهِ أَبُو سَفِيَّانُ بْنُ حَرْبٍ وَنَفَرٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ فَقَالُوا: مَذَّا يَدْكُ تَبَايعُكَ، وَهَذَا الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَبُو سَفِيَّانَ لِيُشَرِّفَ فَتَنَّةً: إِنْ شَتَّتْ مَلَأْتَهَا خَيْلًا وَرِجَالًا! عِنْدَهَا قَالَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ: أَيُّهَا النَّاسُ، شَقَّوْا أَمْوَاجَ الْفَتْنَةِ بِسُفُنِ النِّجَاهِ، وَعَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمَنَافِرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمَفَاخِرِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحِهِ، أَوْ اسْتَسْلَمَ فَأَرَادَهُ، هَذَا مَاءُ أَجْنَنَ وَلُقْمَةُ يَعْصِيَ بِهَا أَكْلَهَا، وَمُجَتَّبُ الْثَّمَرَةِ لِغَيْرِهِ وَقَتَ إِبْنَاعُهَا كَالْزَارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ قَدْ تَفَهَّمَ مَوْقِفَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ وَالظَّرُوفَ الَّتِي كَانَتْ تَحِيطُ بِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَرَكْ فَرْصَةً مُواتِيَّةً لِلْإِعْرَابِ عَنْ تَأْيِيدهِ لَهُ الْمَهْبَطُ إِلَّا وَاسْتَثْمَرَهَا، وَكَانَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ يَعْلَمُ لَوَاءَهُ لِلإِمامِ عَلَى الدَّوَامِ، وَيُعَبِّرُ لَهُ عَنْ مَحْبَبِهِ وَعِرْفَانِهِ بِحَقِّهِ، وَمِمَّا رُوِيَ فِي هَذِهِ الشَّأْنِ أَنَّ عَلَيْهِ الْمَهْبَطَ قَالَ لِمَلَائِكَةِ الْمَهْبَطِ: امْلَأْدِيَّكَ تَبَايعُكَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: عَمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَايِعَ ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَا يَخْتَلِفُ عَلَيْكَ اثْنَانٌ، فَقَالَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ: أَوْ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي؟! قَالَ عَلَيْهِ الْمَهْبَطُ: سَتَعْلَمُ، فَلَمْ يَلْبِسْ أَنَّهُ جَاءَ تَهْمَماً الْأَخْبَارَ بِأَنَّ الْأَنْصَارَ أَقْعَدُوهُ سَعْدًا لِتَبَايعِهِ، وَأَنَّ عَمْرَ جَاءَ بِأَبِي بَكْرٍ

١ - تاريخ الحسين في أحوال أنفس التفليس: ٣٢٤

٢ - ينظر: بحار الأنوار ٢٨: ٢٣٣ ونهج البلاغة ٥٢ خطبة ٥

فبایعه.

ويروي الشيخ علي بن ابراهيم أن العباس جاء إلى أمير المؤمنين فقال:  
انطلق بنا نبایع لك الناس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أترأه فاعلين؟ قال: نعم.  
قال علي عليه السلام: فأین قوله تعالى «الَّمْ \* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَّا  
وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ - أَيْ اخْتَرْنَا هُمْ - فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ \* أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا  
- أَيْ يَفْوَتُونَا - سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ \* مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجْلَ اللَّهِ لَا تِ  
- قال: من أحب لقاء الله جاءه الأجل - وهو السميع العليم \* ومَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا  
يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ». وهكذا كان علي عليه السلام مع جلالته  
قدره ورفعة منزلته، يواجه قدره ونصيبه من البلاء والامتحان مع جفاء قريش  
له وجهل أمته معاً، فلم يتعرّض أو ينيد إصراراً أو لجاجة في الدفاع عن حقه،  
ولكن العباس كان يعرف جلالته قدره ومنزلته الرفيعة التي وضعه الله فيها.  
ومعرفة العباس بأحقية علي عليه السلام وفضله تعود إلى حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ففي خبر  
يرويه علماء الشيعة ورواتهم أن الملائكة يقولون: اللهم صل على العباس عم  
نبيك في تسليمه لبيك فضل أخيه علي عليه السلام.

وممّا يروى في هذا الشأن: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا العباس عند موته، فخلال  
به وقال له: إنّ من احتجاج ربي على تبليغي الناس عامة وأهل بيتي  
خاصة ولابنة علي عليه السلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. يا أبا الفضل، جدد  
لإسلام عهداً وميثاقاً، وسلم لولي الأمر إمرأته، ولا تكن كمن يعطي بلسانه

١ - بخار الأنوار: ٢٨: ٣٢٩.

٢ - تفسير القمي: ٢: ١٢٥، والأيات من سورة العنكبوت ٦ - ١.

٣ - تفسير الإمام العسكري: ٢١

ويكفر بقلبه، يشأقني في أهل بيتي ويتقدّمهم ويستأمر عليهم، ويتسلط عليهم ليدلّ قوماً أعزّهم الله وليعزّ قوماً لم يبلغوا ... يا أبا الفضل، إنّ ربي عهد إليّ عهداً أمنني أن أبلغه الشاهد من الإنس والجهن ... فمن صدق علياً ووازره وأطاعه ونصره وقبله وأدى ما عليه من الفرائض لله فقد بلغ حقيقة الإيمان، ومن أبي الفرائض فقد أحبط الله عمله... يا أبا الفضل، فما أنت قائل؟ قال: قيلتْ منك يا رسول الله، وأمنتُ بما جئتَ به وصدقتك وسلّمتْ فاشهد على:<sup>١</sup> وفي هذا الخبر نلمس إقرار العباس وقبوله بالولاية العلوية. ولكنّه لم يدرك حكومة علي<sup>عليه السلام</sup> وخلافته كي ينال حظه في هذه الحكومة، فلطا لما كان العباس يسأل رسول الله<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> إمارة حتى ولو كانت في جباه الصدقات. وظلّ العباس يتّطلّع أن تكتحل عيونه برؤية سلطة هاشمية يعيده فيها أمجاد أجداده الذين كانوا سادة قريش والعرب، ولكن المتنية قادته إلى عالم القبر والنشور، فتطلع لهذه السلطة أولاده ورنّت عيونهم نحوها، ولكنّهم لم يروا تجاوباً وتفهماً لهذه الأمنية من الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا عليهم<sup>عليهم السلام</sup>، إلى أن جاء دور الحكومة الهاشمية العلوية التي رسّسها الإمام علي<sup>عليه السلام</sup>، فنظرت إلى أولاد العباس كرجال إدارة ودولة شأنهم شأن رجالات قريش وأولادهم، فمنحهم علي<sup>عليه السلام</sup> ثقته في الحكم والإدارة لينالوا ولاية إقليم اليمن والحجاز والعراق، فكان منهم ما كان.

وروي أنّ الأشتر النخعيّ تساءل عن قرار الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> لما ولّىبني العباس على الحجاز واليمن وال العراق فقال: فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس؟! ولما بلغت<sup>عليه السلام</sup> مقوله الأشتر أحضره ولاطفه وقال له: فهل وليت حسناً أو حسيناً،

## □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

أو أحداً من ولد جعفر أخي أو عقبلاً أو أحداً من ولده؟ وإنما وليت ولد عمي العباس؛ لأنني سمعت العباس يطلب من رسول الله عليهما السلام: «الإمارة مراها، فقال له رسول الله عليهما السلام: «يا عم، إن الإمارة إن طلبتها وكللت إليها، وإن طلبتك أعنيت عليها». ورأيت بنيه في أيام عمر وعثمان يجدون في أنفسهم أن وللي غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يُولِّ أحد منهم، فاحببْت أن أصل رحمهم وأزيل ما كان في أنفسهم. وبعد، فإن علمت أحداً هو خير منهم فأبْتني به، فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه.<sup>١</sup>

إن العباس مع معرفته بمنزلة ودرجة سيده وعلم وشرف البيت الهاشمي الممثل بابن أخيه، كان يتظر من علي عليهما السلام - بصفته الأبرز والأجر والأعلم - تحقيق الأماني والأحلام في قيام دولته التي كان النبي عليهما السلام يُعدُّ لها في حياته، ولكن قريشاً بصلفها وكرياتها وحسدها لم تكن تطيق أو تسمح لبني هاشم أن يجمعوا النبوة والخلافة<sup>٢</sup>، أو يمسكوا بأي أمر قيادي ورئيسي، وكل ما جرى وحصل لبني هاشم ولسيدهم على عليهما السلام من إقصاء ودفع عن مراكز القرار والقدرة السياسية، في الفترة الحرجة التي أعقبت وفاة النبي عليهما السلام، إنما كان يعود إلى قريش، وقريش آنذاك هي التي ساقت المهاجرين والأنصار وعموم المسلمين والقبائل والأعراب بعصاها التي رفعتها، وضررت بها كل الكتل والشخصيات التي أرادت أن تمارس دورها السياسي والاجتماعي، وروضت وطُوَّعت بحزبها القرشي القوي العنيد أغلب الكتل والشخصيات، وبالتالي كانت هي الممسكة بناصية القرار. وفي هذا وفي هذا يقول الباحث باسم الحلبي: إن قريشاً هي القطب الذي تدور عليه رحى الأحداث، وهي من

١ - بخار الأنوار ٤٢: ١٧٦.

٢ - المصدر نفسه ٢٨: ٢٩٥ وج ٣١: ٧٥.

ملك ناصية صنع القرار، وهي من أليس أبا بكر تاج الخلافة.<sup>١</sup> ولكن العباس لم يُرد أن يترك قريش وهوها وإرادتها السياسية، فكان يسعى جاهداً لانتزاع الحقّ منهم لعليٍّ<sup>عليه السلام</sup>، وكسر إرادتهم في أمربني هاشم، وفك العزلة التي فرضوها عليهم ، فلم ينفك العباس طيلة حياته بعد النبي<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> عن دفاعه عن عليٍّ<sup>عليه السلام</sup>، حتى صار العباس باباً للعائلاة منه يلج الآخرون للوصول إلى إرادة أمير المؤمنين.<sup>٢</sup>

وعلى العموم لم يكن العباس ينفرد بقرار أو يمضي أمراً إلا بعد مشاوره على<sup>عليه السلام</sup> والوقوف على رأيه. ولما تمَّ أمر السقيفة أراد أبو سفيان أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً، فيكون ذلك دماراً للدين والمسلمين ونهاية لهم وفرصة لاستحواذ أبي سفيان ورهطه على ناصية الحكم، مضى إلى العباس فقال له: يا أبا الفضل، إنَّ هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر منبني هاشم وجعلوه فيبني تميم، وأنه ليحكم فيما غداً هذا الفطَّالغليظ منبني عدي، فقم بنا حتى ندخل على عليٍّ<sup>عليه السلام</sup> ونبياعه بالخلافة،

١ - **الرسول المصطفى ومقوله الرأي**، موسوعة الرسول المصطفى ٣٣٤ و ٤٣٦.

٢ - كانت بطون قريش تسعى للحيلولة دون وقوع الخلافة أو الملك بأيدي الهاشميين؛ لأنها ترى أنَّ الهاشميين قتلوا سادات قريش، كما أنَّ المصالح القرشية قد تكون مهددة عند وصول واحد منهم باعتقادهم، وأنَّ القيادة الجديدة بسبب تيار النبوة تكون أقوى وأعلى من بقية البطون القرشية التي افتقدت هذه النبوة. ومن الطبيعي أنَّ النبوة التي كانت لواحد من أحفاد هاشم قد أمدت ورفعت البيت الهاشمي في عهد الإسلام الأول، لذا لا يمكنهم تحمل رؤية هذا البيت يرتفع مرة أخرى، وهذا البيت كان مزعجاً لهم من عصور وأيام الجاهلية الأولى، لذا كان عليٍّ<sup>عليه السلام</sup> في أذهانهم يمثل قمة البيت الهاشمي وذراته، والوجه المتماسك الشديد عليهم، والسيف المزدوج لهم ولآمالهم. ينظر هذه الإشارات في: **نظريَّة عدالة الصحابة**، للمحامي أحمد حسين يعقوب ٨٧ والصفحات اللاحقة.

## ١٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وأنت عم رسول الله وأنا رجل مقبول القول في قريش، فان دافعونا عن ذلك  
قاتلناهم. فأتيا أمير المؤمنين عليهما السلام فعرضوا عليه الأمر، فقال لهمما قوله: شُقّوا  
أمواج الفتنة بسفن التجاة ... إلى آخر الخطبة.<sup>١</sup>

ولم يكن يخطر ببال عباس أو يفکر يوماً أن يتقدم علينا عليهما السلام، أو أن يكون  
رجل بني هاشم الأول وزعيمهم المقدم في الحياة السياسية والاجتماعية،  
 وإنما كان يطرح نفسه ويظهرها كتابع لعلي عليهما السلام ومرشد له، وكأنه واحد من  
جنده المخلصين. وظل عباس هكذا في ولائه لعلي عليهما السلام حتى قبضه الله إليه  
في خلافة عثمان وفي نفسه مرارة من إقصاء أمير المؤمنين عليهما السلام وإبعاده عن  
قيادة الأمة.

وورث ولده عبد الله بن عباس هذا الولاء والمحبة لأمير المؤمنين عليهما السلام، حتى  
آتاه حين سئل عنه عليهما السلام قال: مثل علي عليهما السلام في هذه الأمة كمثل موسى  
والعالم عليهما السلام، فأقر له بالعلم الواقعي والاطلاع على حقائق الأمور؛ لأن  
الحضر عليهما السلام (العالم) كان على معرفة بالباطن، وكان موسى عالماً بالشريعة  
ف مقابلته مع علي عليهما السلام.

ويروى من كثرة محبة عبد الله بن عباس لعلي عليهما السلام أنه ذهب بصره حزناً  
وبكاءً عليه.<sup>٢</sup> وليس هذا مستبعداً من عبد الله بن عباس، فهو لعلي عليهما السلام رببه  
وحبيبه في حكمه وحكمته، ولطالما كان ابن عباس يسأل عليهما السلام، فيلقنه  
دروسأ في القرآن والحديث والحكمة والمعارف والعرفان نهاره وربما ليلاً  
كله، فينهل من علومه، وكان علي عليهما السلام يغدوه بعلمه الرباني الذي لقنه رسول

١ - شرح ابن ميم نهج البلاغة ١: ٢٧٦.

٢ - علل الشرائع للصدقون ٦٤.

٣ - ينظر: سعد السعود لابن طاووس ٢٨٥.

الله عز وجله فزاده علماً على علمه.

ويصف العلامة الحلى عبد الله بن العباس بالقول: إنّه كان محبّاً لعلى عليه السلام وتلميذه، وحاله في الجلاله والإخلاص لأمير المؤمنين صلوات الله عليه أشهر من أن يخفى.<sup>١</sup>

ويصف المؤرخون وضعه وحاله لما بيع الإمام بالخلافة بأنه كان لعلى عليه السلام عضداً ونصيراً في حربه كلها<sup>٢</sup>. أما ما يُنقل عن خذلانه لعلى عليه السلام في خلافته فهو أمر تردد فيه المؤرخون والباحثون، ويعلل السيد أبو القاسم الخوئي ما ورد من أخبار في ذمه والنيل منه بالقول: وولاء ابن عباس لأمير المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد في وضع هذه الأخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه، حتى أنّ معاوية كان يلعنه بعد الصلاة مع لعنه علياً والحسين وقيس بن عبادة والأشتر. والأخبار المروية في كتب السير والروايات الدالة على مدح ابن عباس وملازمته لعلى عليه السلام ومن بعده الحسن والحسين عليهم السلام كثيرة.<sup>٣</sup>

ويحصر الأردبيلي الأخبار القادحة بابن عباس بعد محدود ضعيف السند، فيقول: ما ذكره الكشى من الطعن فيه خمسة أحاديث كلها ضعيفة السند.<sup>٤</sup>

واستبدد الحب بابن عباس، فلم يعد يرى للأشياء قيمة تذكر إلا أن تكون لعلى عليه السلام أو متصلة به من قريب أو بعيد، فيروى أنّ معاوية بن أبي سفيان أدخل ابن عباس بيت المال ليأخذ منه ما يشاء، فلم يأخذ إلا بُرنساً أحمر

١- خلاصة الأقوال ١٠٣.

٢- الدولة العباسية ٩.

٣- معجم رجال الحديث ١٠: ٢٤٨ و ٢٤٣.

٤- جامع الرواية ١: ٤٩٤.

## ١٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

ووجهه لعلي عليه السلام هناك، فأخذه وانصرف.<sup>١</sup>

ومع ما يُنسب لابن عباس من هفوات وهنات قد تكون موضوعة، فهو في التاريخ كان سيفاً من سيف علي عليه السلام ورمحًا من رماحه، وحرفاً من حروفه الناطقة. وحسبه أنه قال في اللحظات الأخيرة من عمره: اللهم، إني أحيا على ما حيَّ عليه عليُّ بن أبي طالب، وأموت على ما مات عليه عليَّ بن أبي طالب، ثم مات.<sup>٢</sup>

وبالإجمال كان عبد الله بن عباس في حياته ممثلاً لعلي عليه السلام ونائباً عنه في محاوراته السياسية مع الخوارج وفي معارك صفين والجمل وغيرها.<sup>٣</sup> ولما بعثه الإمام لمناظرة عائشة قال له عليه السلام: أنا كنت أعلم بك حيث بعثتك.<sup>٤</sup> وكان عند ظنه عليه السلام به، فلم يترك فرصة إلا استثمرها في الدفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام وبيان حقه وتأكيد إمامته، فلم يمهل الناكرين والقاسطين، بل ظل يحاورهم ويساجلهم ويأخذ بخناقهم، يسلد سنان الحق الهاشمي نحو نحورهم، فلم يكن يهأ عيشهم ويحلو وابن عباس يضع شوكة الحق في طريقهم وسهم حق على في نحورهم. وهذا الإزعاج الهاشمي الذي تلقته الدولة الأموية الفتية كانت تحسب له حساباً كبيراً، لأنَّه كان يصدر من فقيه عالم معارض لهم استقى علمه من منبع أصيل قوي صافٍ، فقد تلقى عبد الله بن عباس العلم من مصدرين، المصدر الأول: صاحب الرسالة وهو النبي صلوات الله عليه وسلم، والمصدر الثاني: وصيَّ النبي ورببه وباب علمه وهو عليَّ بن أبي طالب عليه السلام. وقد أقرَّ

١- سجnar الأنوار ٣٣: ٢٥٤.

٢- رجال الكشي ٥٦.

٣- ينظر: الاحتجاج للطبرسي ١٨٧.

٤- معجم رجال الحديث ١٠: ٢٤٨.

هو بالمصدر الثاني لعلمه حين أشار إلى رذاؤه من فيض علم على <sup>عليه السلام</sup> بقوله: ما اتفعت بكلام بعد كلام رسول الله <sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> كاتفاعي بهذا الكلام. يشير إلى كتاب الإمام <sup>عليه السلام</sup> له الذي جاء فيه: أما بعد، فإن المرء قد يسره ذرك ما لم يكن ليقوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك، ول يكن أسفاك على ما فاتك منها. وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً، ول يكن همك فيما بعد الموت.

ويظهر حب على <sup>عليه السلام</sup> له وسموه بارتقائه السلم الوظيفي والإداري في الدولة العلوية آنذاك حين عاتبه على <sup>عليه السلام</sup> بقوله: فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن في أهلي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتني وأداء الأمانة إلي. وهذا أبرز الإمام <sup>عليه السلام</sup> مكانته ودرجته في ما مضى من حكمته، فهو يشعرك بأن ابن عباس نال من أمير المؤمنين <sup>عليه السلام</sup> موقعاً مكيناً لم يتله أحد من عماله الذين ينهم في أرجاء الدولة الإسلامية الكبيرة المتعاظمة التي كانت في عهده <sup>عليه السلام</sup>.

وقد أشار معاوية في حوار له مع ابن عباس إلى هذه الثقة التي أولاها أمير المؤمنين <sup>عليه السلام</sup> لولد العباس بقوله: استعملك يا بن عباس على <sup>عليه السلام</sup> على البصرة،

١- نهج البلاغة ٣٧٨ كتاب رقم ٢٢. وقال ابن عباس عن خطبة أمير المؤمنين المعروفة بالشُّقشِقية لما ناوله <sup>عليه السلام</sup> أحد أهل السواد كتاباً فيه مسائل فأقبل ينظر إليه ولم يستأنف الخطبة، قال ابن عباس: قوله ما أسيفت على كلام فقط كأسفني على هذا الكلام لا يكون أمير المؤمنين <sup>عليه السلام</sup> بلغ منه حيث أراد. تنظر الخطبة الشُّقشِقية وتعليقة ابن عباس في: نهج البلاغة ٤٨ - ٥٠. خطبة رقم ٣.

٢- المصدر نفسه ٤١٢ كتاب ٤١.

## ٢٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

واستعمل أخاك فُتُم على مكّة، فكان من الأمر ما كان<sup>١</sup>. ومع ما كان من دسائس معاوية فكانه يشير ويلمح إلى كتاب علي عليه السلام إلى واحد منهمما بقوله: فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ، والعدو قد حَرَبَ، وأمانة الناس قد خَرَيَتْ، وهذه الأمة قد فنكتْ<sup>٢</sup> وشَعَرَتْ<sup>٣</sup> قلبَ لابن عمك ظَهَرَ المِجْنَنَ، ففارقته مع المُفارقين، وخذلته مع الخاذلين، وخُتنَه مع الخانعين، فلا ابن عمك آسيتْ، ولا الأمانة أدَتْ<sup>٤</sup>. ولكن مع هذا لم يثبت على وجه اليقين أن المخاطب هو عبد الله بن عباس. وقد أشار ابن أبي الحديد في شرحه للنهج إلى أن الناس اختلفوا في المكتوب إليه بين عبد الله وعبد الله<sup>٥</sup>. وذهب ابن میثم البحرياني إلى أن المقصود بالكتاب هو عبد الله بن عباس طبقاً للمشهور حين كان والياً على البصرة، ولكنه عزا ذلك إلى كونه غير معصوم، فقال: ومعلوم أن ابن عباس لم يكن معصوماً وعلى عليه السلام لم يكن ليراقب في الحق أحداً ولو كان أعزَّ أولاده، كما تمثّل بالحسن والحسين عليهم السلام في ذلك فكيف بابن عمّه، بل يجب أن تكون الغلظة على الأقرباء في هذا الأمر أشدَّ. ثم إن غلطته عليه وعتابه له لا يوجب مفارقته إياته: لأنَّه عليه السلام كان إذا فعل أحد من أصحابه ما يستحقّ به المؤاخذة أخذه به، سواء كان عزيزاً أو ذليلاً، قريباً منه

١ - ينظر: غرر الأخبار ودرر الآثار للديلمي ٢٦٦.

٢ - يقال: فنك في أمره: ابته ولنج فيه وغلب عليه. وفنك في الكذب: مضى ولنج فيه اللسان (فك).

٣ - الشغر هنا جاء بمعنى التفرق والانقسام، من قولهم: تفرق القوم شغر بغر. ترتيب الجمهرة اللغة ٢: ٢٩٦ (شغر).

٤ - نهج البلاغة ص ٤١٢ من كتاب رقم ١١.

٥ - ينظر: شرح نهج البلاغة ١٦: ١٦٩.

أو بعيداً، فإذا استوفى حق الله منه أو تاب إليه مما فعل عاد في حقه إلى ما كان عليه كما قال: العزيز عندي ذليل حتى أخذ الحق منه، والذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له. فلا يلزم إذن من غلطته على ابن عباس و مقابلته إيهما يكره مفارقته له وشقاقه على ما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة<sup>١</sup>.

وجملة القول: إن صحة ما تُسب إلى عبد الله بن عباس من ضعف في أداء الأمانة، أو حصول تجاوز على أموال المسلمين، فرثما كان منه هذا حين رأى تضييع الخلافة ودنو سقوطها ووقوعها في يد الكتلة القرشية المعادية للهاشميين، فإن ابن عباس بما كان يحدثه على عليه السلام عن مستقبل الخلافة يعلم علم اليقين أن دولةبني أمية هي الحاكمة فيما بعد ولها مآل الأمور، فكان منه ما كان. وقد بالغ في هذا الأمر المؤرخون، ولربما كان أتباع معاوية خططوا لهذه الضجة، ولعل إشارة ابن عباس على عليه السلام بقوله: «عمرى، إن حقى في بيت المال لأكثر مما أخذت» تستبطن معنى الغبن والحيف الذي لحق وسيحلق ببني هاشم من حرمانهم حقوقهم المالية التي حجبها عنهم حكام المسلمين من قبل أو من بعد.

ومراجعة لأحداث التاريخ تبيّن بأنّ ابن عباس في الوقت الأخير لحكومة علي عليه السلام كان معه وملازماً له كملازمة الحسن والحسين عليهم السلام. فيروي العلامة المجلسي أنه كان على عليه السلام يقسم لياليه الأخيرة بين عبد الله بن العباس و ولديه الحسن والحسين عليهم السلام. ويروى أيضاً أنه لما دخل شهر رمضان كان على عليه السلام يعشى ليلة عند الحسن عليه السلام وليلة عند الحسين عليه السلام وليلة عند عبد الله ابن العباس، وكان لا يزيد على ثلات لقى، فقيل له ليلة من الليالي في ذلك،

١- شرح النهج لابن مثيم : ٩٠

٢- المصدر نفسه : ٨٩

## ٢٢ □ الإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> شمس في ظلمات السجون

فقال: يأتيني أمر الله وأنا خميس، إنما هي ليلة أو ليلتان، فأصيب آخر الليل.<sup>١</sup> ومن هذا قد نصل إلى أن المكتوب إليه على الأرجح لم يكن عبد الله هذا، وإنما هو عبد الله أو أخ غيره ضاع على الرواة أو ضيّعه الخطأ القرشي المعادي لهم.

ومن الجدير بالذكر هنا أن ابن عباس قد أدرك إمامَة الحسن والحسين<sup>عليهما السلام</sup> ولم يذكر أو يرو عنه ما يفيد حصول خلاف أو مشاكسة لهما<sup>عليهما السلام</sup>، من قبله، أو إنكار لإمامتهما<sup>عليهما السلام</sup> أو نحو ذلك.

ومن حسن حظ ابن عباس أنه عاش حتى سنة ثمان وستين ليدرك إمامَة الإمام الرابع زين العابدين<sup>عليه السلام</sup>، ولم يذكر عنه ما يشير إلى مخالفته لإمامَة السجّاد<sup>عليه السلام</sup> أو أنه عاده أو جابهه أو أزعجه في موقف أو غير ذلك.<sup>٢</sup> وقد فارق ابن عباس الحياة عن عمر قارب الواحد والسبعين عاماً، وعرفت حياته بأنها كانت زاخرة بالعلم والفقه والمعرفة التي تلقاها من النبي محمد<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> ومن وصيه علي بن أبي طالب<sup>عليه السلام</sup>، فامتلأت الكتب بمروياته وأخباره، وعده العلماء والمؤرخون - وما زالوا - حبر الأمة.

ونال أخوه قُشم ابن عباس ثقة علي<sup>عليه السلام</sup> فجعله عاملًا له على مكة. واختيار الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> قشم لهذه المدينة المقدسة يعكس جلاله قشم ووفر علمه واطلاعه على ما يسره له أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> من علوم، بما في ذلك علوم الشرع والإدارة، وما كتبه علي<sup>عليه السلام</sup> له من كتاب يبيّن درجة الثقة المتبادلة بينهما، حيث يقول الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> في كتابه له: أما بعد، فأقم للناس الحج، وذَكّرهم

١- بحار الأنوار ٤٢: ٢٢٤.

٢- ينظر: الت kommentar في تواریخ الأئمۃ ع ٨٩.

٣- ينظر: العبر في خبر من غير ١: ٥٦

بأيام الله، واجلس لهم العصرين، فأفت المستفتى، وعلم الجاهل، وذاكرا العالم.  
ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك، ولا تحجبن  
ذا حاجة عن لقائك بها؛ فإنها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد  
فيما بعد على قضائها. وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفة إلى من  
قبلك من ذوى العيال والمجاورة مُصيبةً به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل  
عن ذلك فاحمله علينا لنقسمه فيما قبلنا.<sup>١</sup>

ومن الذين نالهم البر والإحسان العلوى عبيد الله بن العباس الذي زينه  
عليه بحلية الإمارة على اليمن، فلم يكن لهذه الإمارة أهلاً، إذ لم يتمكن  
أن يدافع عنها أو حتى أن يدافع عن نفسه أو يحافظ على البيت الشخصى  
الذى يستكن فيه، أو يحمى شرفه الهاشمى الذى يتسببه إليه، فتمزقت إمارته  
وضاعت بين سوء تدبيره أو بين شهواته ورغباته الشخصية، على ما ينسب  
إليه، وكأن بنى العباس لم يتغطوا بما فيهم عبيد الله بن العباس، الذى كان  
أكثرهم أذى بما ناله من ضيم وحيف لحقه من غدر الحكم الأموي  
ومؤامرات أتباعه، حتى ظل يراهن على دراهم معدودات متنه بها معاوية،  
ففقد فعل عبيد الله بن العباس يوم كان على جيش الإمام الحسن عليه السلام فعلاً  
شانه به المؤرخون، وذلك لما بعث معاوية إليه ابن عامر في خيل عظيمة  
فخرج إليهم عبيد الله ليلاً حتى لحق بهم وترك جنده الذي هو عليهم لا أمير  
لهم. يقول أحمد إبراهيم الشريف معلقاً على هذا الحدث: وبهذا كرر عبيد الله  
ابن العباس مع الحسن نفس الخيانة التي فعلها أخوه عبد الله من قبل حين  
حمل بيت مال البصرة وترك عمله دون إذن على عليه السلام.<sup>٢</sup>

١- نهج البلاغة ٤٥٧ كتاب رقم ٦٧.

٢- دور الحجاج في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ٣٩٣.

## ٤٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وكان علي عليهما السلام يعلم ضيغ عبيد الله في ولده الحسن عليهما السلام فدعا عليه وعلى أخي له بقوله: اللهم عن ابني فلان وأعم أبصارهما كما عميت قلوبهما، الأكلين في رقبتي، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما<sup>١</sup>. فلم يكن عبيد الله بن العباس<sup>٢</sup>، بمكانتي أخوه عبد الله وفُتح، فالمؤكد مما روي في الأخبار أنه ضعف عن مواجهة إغراء معاوية وشيطنته، وانساق إلى دسائسه ودنياه الخسيسة، فترك جيش الحسن عليهما السلام لاحقاً ببيوته ومثائله بنفسه ومن معه، بعد أن أغراه ومناه وخدعه بمحنة من الدرارهم والدنانير، ولربما بشيء آخر وعده به معاوية لم يطلع عليه المؤرخون.

وإذا افترضنا أن عبيد الله كان موادعاً للدولة الأموية، ولم يكن حازماً مع أتباع معاوية، لكن أتباع معاوية لم يتذكروه ودنياه الحقيرة يستمتع بها، فقد امتنعت يد بسر بن أرطاة إلى ولديه فذبحهما بدم بارد في اليمن، حينما كان عبيد الله والياً لعلي عليهما السلام هناك<sup>٣</sup>. وكان من ضعفه أن هرب من مجالدة بسر بن أرطاة تاركاً ولديه فتح وعبد الرحمن طعمة لسيوف بسر، فروي سيفه منها وهو ما عند رجل من بني كنانة من أهل البدية، فلما أراد قتلهما قال الكناناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما؟ فإن كنت قاتلهم فاقتلوني! قال بسر: أفعى، فبدأ بالكتناني فقتله ثم قتلهم. وقيل في خبر آخر: إنَّ الكناناني قاتل عن

١- رجال الكشي ٥٣ و ١١٣ الرقم ١٠٢ و ١٨٠.

٢- كان هناك واحد من أحفاده على قدر من العلم والمعرفة، فلم يعد حفيده هذا معرفة وقدر الأئمة المعصومين من ذرية علي عليهما السلام، حيث كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام. برفع: جامع الرواية ١: ٢٤٥ و رجال الشيخ الطوسي ١٦٩ و ١١٣.

٣- ينظر: بحار الأنوار ٤٤: ٤٨ و ٦٠ و ١٢٩.

الطفليين حتى قُتل<sup>١</sup>. ويروى المؤرخون أنَّ أحَدَهُما جويرية بنت قارظ الكنانى كانت تدور حول البيت ناشرةً شعرها، وهي تقول ترثيهم:

ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ُبَتَّتْ بسراً وما صدقت ما زعموا  
أنْحِى على وذجى إبْنِي مرهفةً  
ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ها من أحسن من ابني اللذين هما  
ُبَتَّتْ بسراً وما صدقت ما زعموا  
أنْحِى على وذجى إبْنِي مرهفةً  
ولم يترك على <sup>عليه</sup> هذا الحدث المرروع من دون أن يرفع يديه الكريمتين بالدعاء على من ظلمهما وسلبهما حياتهما، فيروى <sup>أنَّه عليه</sup> دعا بهذا الدعاء:  
اللَّهُمَّ إِنَّ بَسْرَاً قدَّبَ عَلَيْهِ دِينَهُ بِالدُّنْيَا فَأَسْلَبَهُ عَقْلَهُ، وَلَا تُبْقِي مِنْ دِينِهِ مَا يَسْتَوْجِبُ  
بِهِ عَلَيْكَ رَحْمَتَكَ، فَبَقِيَ بَسْرَهُ حَتَّى اخْتَلَطَ، وَكَانَ يَدْعُ بِالسِّيفِ فَأَتَّخِذْ لَهُ سِيفاً  
مِنْ خَشْبٍ وَكَانَ يَضْرِبُ بِهِ حَتَّى يَغْشِيَ عَلَيْهِ<sup>٢</sup>. وهناك روایات أخرى تصف  
نهاية بسر بنحو أكثر ترويعاً وبشاشة، منها رواية المسعودي التي اعتمدها  
المؤرخون في تصوير هذه المأساة وهولها، فتصف <sup>عليه</sup> لما أتاه خبر  
قتلهمما بأنه استاء كثيراً ودعى على بسر فقال: اللَّهُمَّ اسْلَبْهُ دِينَهُ وَعَقْلَهُ، فَخَرَفَ  
الشِّيخُ حَتَّى ذَهَلَ عَقْلَهُ، وَاشْتَهَرَ بِالسِّيفِ فَكَانَ لَا يَفْارِقُهُ، فَجَعَلَ لَهُ سِيفاً  
خَشْبَ، وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ زِقْ مَنْفُوخَ يَضْرِبُهُ، وَكُلَّمَا تَخْرَقَ أَبْدِلَ، فَلَمْ يَزُلْ

١- تاريخ الطبرى ٤: ١٠٧.

٢- متروج الذهب ٣: ٢٢.

٣- بحار الأنوار ٤١: ٢٠٤.

## ٢٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

يضرب ذلك الرقَّ بذلك السيف حتَّى مات ذاهل العقل يلعب بخُرُّه<sup>١</sup>.  
هكذا كان أمير المؤمنين عليهما السلام يحنو ويعطف على صبيان البيت العباسى، بل يبكي لبكائهم ويتواجع لوجعهم، وكأنَّ البيت العباسى هو بيت عليهما السلام. ولكن في حقبة زمنية ليست بالبعيدة انفصل البيتان الهاشميان إلى بيت علوى وعباسى كلَّ له لونه وخطه الذي اختطه. ولكن على العموم كان البيتان يشكلاً خطاً واحداً وبيتاً واحداً يمثل موقعاً سياسياً وعقائدياً منسجماً في أول أمره مع وجود التوجه النبوى والإدارة المحمدية في فجر الإسلام، وإن اختلفا من حيث النوعية. وهذا البيتان في تمازجهما وانسجامهما الظاهري شكلاً البيت الهاشمى والكتلة الهاشمية التي واجهت الكتلة القرشية وحدَّت من هيمنتها.

وكان لحدب الإمام عليهما السلام على ولد العباس أثر باقٍ في بعض نفوس بنى العباس ظلَّ يتذكَّره المأمون العباسى، وحينما قال له بعض آل بيته: إنَّك على برَّ أولاد عليٍّ بن أبي طالب والأمر فيك أقدر منك على برَّهم والأمر فيهم، فقال: إنَّما فعلت ما فعلت لأنَّ أباً بكر لـمَّا ولِي لم يُولِّ أحداً من بنى هاشم شيئاً، ثمَّ عمر ثمَّ عثمان كذلك، ثمَّ ولَيَّ عليَّ عليهما السلام فولَى عبد الله بن عباس البصرة، وعيَّد الله اليمن، ومعبداً مكة، وفُـشم البحرين، وما ترك أحداً منهم حتَّى ولاه شيئاً، فكانت هذه منة في أgunaقاً حتى كافأته في ولده بما فعلت<sup>٢</sup>. ولربما كان المأمون صادقاً في هذا، وإذا كان المأمون متفهماً وعارفاً بموقف علي عليهما السلام وقد يكون شاكراً له صنيعه للبيت العباسى، فإنَّ البيت العباسى - وهم عارفون بذلك - كان في بدايات ظهور الإسلام ضعيفاً وذليلاً،

١- مروج الذهب .١٦٣

٢- تاريخ الخلفاء للسيوطى .٣٠٨

بل كان متستراً بعليه عليهما السلام. والأكثر من هذا كانت مواقف العباس جدّهم قد تتطابق في مرحلة من المراحل مع مواقف أبي لهب عم النبي عليهما السلام، وقد لمح الإمام الصادق عليهما السلام للعباسيين بذلك بقوله لهم: إن الله لما بعث رسوله محمد عليهما السلام كان أبوانا أبو طالب الموسى له بنفسه والناصر له، وأباكم العباس وأبو لهب يكذبانه ويؤلجان عليه شياطين الكفر<sup>١</sup>. ولذلك لم يظهر البيت العباسي أو لم يكن يجرؤ على الظهور كيست مستقل بعد نجاح الدعوة الإسلامية وانتشارها، بل أثر الانضواء تحت العنوان الذي كان متماسكاً وقوياً لفترة من الزمن، بسبب العلاقة الودية التي كانت قائمة بين البيتين العلوي والعباسي، بصفتهما أكبر بيتي وأقواهما وأعلاهما في العنوان الهاشمي الكبير.

وعلى العموم استمرت العلاقات طيبة وودية بين البيتين العلوي والعباسي في مطلع العصر الأموي، فقد كان قيام الدولة الأموية في الحقيقة انتصاراً ظاهرياً للأمويين على الهاشميين، لا يخرج عن صفتة القبلية، مما يحتم وحدةبني هاشم لاستعادة الخلافة من البيت الأموي بعد أن صبغوها صبغة قبلية، ومن ثم أصبحت وراثية يتعاقبها أبناء هذا البيت ويتداولها صبيانهم.

وحين حمل الحسين بن علي عليهما السلام لواء المعارضـة السياسية للدولة الأموية مما أدى إلى تأزم الأوضاع وتدهورها إلى تصدام مسلح، أثر عبد الله بن العباس اعتزال الحياة السياسية، فاستقر في المدينة وانصرف إلى العلم ورواية الحديث<sup>٢</sup>.

ولم يتكلّف البيت العباسي مؤونة المعارضـة والمواجهة العلنية للدولة الأموية، بل مارسوا دوراً هامشياً متفرجاً على ما كان يلاقيه الهاشميون من

١- المناقب لأبي شهر أشوب ٢: ٢٦١.

٢- جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول ٦٦.

أذى، وظلوا تحت حماية ورعاية العنوان الهاشمي الذي غطى ما كان عليه العباس وبنوه من ضعف وهوان، بل كان العباس له حضور خجول، وكما يفهم مما روى سدير أنه قال: كنا عند أبي جعفر (الباقر) عليهما السلام، فذكرنا ما أحدث الناس بعد نبأهم عليهما السلام، واستدلالهم أمير المؤمنين علي عليهما السلام، فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عزّ بنى هاشم وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر الباقر عليهما السلام: ومن كان بقي من بنى هاشم؟ إنما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حدثنا عهد بالإسلام: عباس وعقيل، وكانا من اللقاء، أما والله، لو أن حمزة وجعفرًا كانوا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلوا إليه، ولو كانوا شاهديهما لأتلفا نفسيهما<sup>١</sup>. وهذا ما يفسّر لنا انكفاء الصوت العباسى واندماجه بالصوت الكبير المدوى، وتحت عنوان أكبر لا مفرّ منه، وهو العنوان الهاشمى أو البيت الهاشمى الذى كان رأسه والناطق عنه هو علي عليهما السلام، بما يعبر عنه بالموقف الهاشمى في التاريخ السياسى. وظلّ الموقف الهاشمى يعبر عن مواقف وأراء تبدو موحدة.

ومن الجدير بالذكر هنا أنه كان البيت الهاشمى في بداية أمره يتظنم تحت توجيه الإمام المعصوم، أو كأنه لم يشا أن يتبعثر أو يتجزأ في مواقف متباشرة أو متباينة. وبيدو أن أبناء جعفر وعقيل كانوا قد دخلوا تحت عنوان البيت الهاشمى بلا أثر سياسى يعتد به، ولكنهم رضوا وانضموا في العنوان الأحسن وانصهروا تحت مظلة من كان يمثل البيت العلوي الذي علا صيته وسطع ضوؤه.

ومن المؤكد الواضح أنّ البيت العلوي أرفع بيوت الهاشمين وأعلاها وأقواها، فالتضحيات الهائلة والجسيمة التي كان يقدمها بنو هاشم على الدوام

تكون من نصيب البيت العلوى. وكأن ذرية العباس وعقيل لم تتصلب إرادتهما كما تصلب إرادة ذرية علي<sup>عليه السلام</sup>. ويعود هذا الانكفاء والانكماش وأحياناً انطفاء في ضوء البيت العباسى والعقيلي إلى ضعف أنصار العمود الأصل والأول لهم، فقد أشار علي<sup>عليه السلام</sup> إلى ضعف العمودين الأول والثانى، عباس وعقيل من بنى هاشم، بقوله: وذهب من كنت أعتقد بهم على دين الله من أهل بيتي، ويقيتُ بين خفرين قريبي عهد بالجاهلية: عقيل وال Abbas.<sup>١</sup> وكأنه<sup>عليه السلام</sup> يلمح إلى صلابة حمزة وجعفر الطيار، إذ لم يبلغ العباس وعقيل درجة حمزة سيد الشهداء ودرجة جعفر الذي وهبه الله جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة.<sup>٢</sup> كما أن حمزة لصلابته وشدة شوكته في الدفاع عن النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> وصف بأنه أسد الله ورسوله وناصر دينه ، ولم يحظ العباس أو شخص آخر من البيت الهاشمى بهذا الوصف، بل يروى في فضل حمزة الشيء من ذلك أنه يركب يوم القيمة ناقة رسول الله<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> العضباء.<sup>٣</sup> وكذلك نال حمزة أيضاً تشريف النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> له حتى في فضل زيارته، فقد روى عن النبي<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> قوله في ذلك: من زارني ولم يزِّرْ عمِّي حمزة فقد جفاني.<sup>٤</sup>

١-الاحتجاج للطبرسي .١٩٠

٢-ينظر: بحار الأنوار ٢٤: ٣٢.

٣-الاحتجاج .٢١٤

٤-أمالى الطوسى ١: ٢٦٤

٥-رسالة الفخرية لفخر المحققين .٤٣٦

## الإمامية والخلافة

يفيد المعنى اللغوي للإمامية والإمام: التقدّم والرفة والوضوح والدلالة. ومن هنا جاءت معانٍ الإمام: الطريق الواضح والقائم على الشيء والمصلحة له. ويرى علماء وفقهاء الشيعة أنَّ الإمام هو الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها والقيام بأمورها من إقامة الحدود وغيرها<sup>١</sup>. ففسّروا قوله تعالى: #وَإِنَّهُمَا لَبِيَامَ مُبَيِّنٍ# وقوله: #وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْصَيْنَا فِي إِمَامٍ مُبَيِّنٍ# بأنه جاء بمعنى الطريق الذي يُؤمَّن ويُتَّبع ويُهتَدى به، والمراد هنا: هو الإمام المعصوم<sup>٢</sup>. ويقول أهل اللغة: جعل الطريق إماماً لأنَّ المسافر يأتِيه ويستدلُّ<sup>٣</sup>. وأما المبين فجاء بمعنى الواضح والظاهر، ويقال في هذا المعنى: أي في كتاب ظاهر، وهو

١- ينظر: لسان العرب (أمم)، ترتيب جمهرة اللغة ١: ٧٩ (أمم).

٢- ينظر: تفسير البيان للطوسي ١: ٤٤٩، مجمع البيان للطبرسي ١: ٢٠١.

٣- الحجر: ٧٩.

٤- يس: ١٢.

٥- مجمع البيان ٣: ٣٤٣، التبيان ٦: ٣٥٠.

٦- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٥٩.

اللوح المحفوظ.

ويعتقد الشيعة أنَ الإمام جامع لكثير من المعاني المذكورة فقد روى ابن عباس أنَ علياً عليهما السلام قال: أنا - والله - الإمام المبين، أبئن الحقَّ من الباطل، ورثته من رسول الله عليهما السلام<sup>١</sup>. وجاء من بعدها طلاق أولاده المعصومون الذين ورثوا هذا المنصب الإلهي، كما ورث أبوهم عليهما السلام هذا المنصب من جدِّهم باعتبارهم أئمة منصوصاً عليهم، وحاجة الأمة إليهم ك حاجتها إلى النبي؛ باعتبار أنَ الإمامة أصل ضروريَ كالنبوة، والإمامية من هذا تكون هي الرئاسة الكبرى والزعامة الإسلامية العظمى، وهي خلافة النبي عليهما السلام في ما كان إليه من شؤون الدين والدنيا، غير ما كان يختصُ به من الوحي والتبلیغ، فهي عندهم ركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الإسلام الأساسية التي لا بدَ منها ولا يُستغني عنها، لأجل جمع الكلمة ورقة الفتق ولم الشعث، وإنصاف المظلوم، وتعليم الجاهل، وردع المعاند، والدفاع عن بيضة الإسلام، والذبَ عن حوزته<sup>٢</sup>. والإمام عند الحنابلة: هو الخليفة ومن جرى مجراه من سلطان ونائبه<sup>٣</sup>.

والخلافة وال الخليفة تفید معنی الوراثة وقيام اللاحق مقام السابق وسدَ مسدة. وال الخليفة من معنی الخلف الذي يجيء بعد الأول بمنزلة القرن بعد القرن والباقي بعد الهالك والتتابع له أيضاً. ومنه: الخليفة أي الأمة الباقية بعد الأمة السالفة؛ لأنَّها بدلَ ممَّن قبلها. والخلف: البقية والولد الصالح<sup>٤</sup>، يقول الراغب الإصفهاني: والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما

<sup>١</sup>- تفسير علي بن ابراهيم القمي: ٢: ١٨٧، بحار الأنوار: ٥٧: ٣٥٧.

<sup>٢</sup>- تاريخ العقبية الشيعية وفرقها: ١٢٣.

<sup>٣</sup>- القاموسي الفقهي: ٢٤.

<sup>٤</sup>- ينظر: لسان العرب (خلف).

لموته، وإنما لعجزه، وإنما لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض<sup>١</sup> ، ومن هذا الاعتبار قيل إنَّ الإمامة ترداد الخلافة، فاللقطتان تعتبران عن معنى واحد، وهو الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول. والتسمية بالإمامية لأنَّ الناس يسيرون وراء الإمام كما يسيرون وراء من يؤمنهم للصلوة، والتسمية بال الخليفة لأنَّه يخلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰتَهُ سَلَامًا في أمته، وإدارة شؤونها، فال الخليفة عند المسلمين له عليهم من الولاية والسلطان ما للرسول دون استثناء<sup>٢</sup>.

وكانَتُ الخلافة والإمامية ميدانًا للسباق، لا يقبض على ناصيتها إلا من حاز قصب السبق، ولو بالدماء المراقة، والحرمات المتهكمة، بل حتى لو كان الخليفة نفسه بعد استحواذه على زمام الحكم ماجناً خليعاً لا يبالي بما فعل. غير أنَّ الشيعة الإمامية كانت من العهد الأول لا تقيم وزناً لمثل هذه الخلافة، ولا تعترف بمثل هذه الإمامة، بل ترى أنَّ الخليفة والإمام من كان جاماً لصفات الكمال كلها، عارياً عن خusal النقص جميعاً، عاملأً بأوامر الشريعة في السر والعلن وأمراً بها، مجتنباً نواهيهما فيما ظهر وبطن ناهياً عنها، منصوصاً عليه من صاحب الشريعة، أو من الإمام قبله أمراً من الله سبحانه؛ لأنَّه تعالى أنظر لعباده وأبصر بمن يصلح لهذا المنصب الخطير.

ولا ترى الشيعة الإمامية الإمام من قام بالناس، بل الإمام من قامت الدلالة عليه ودللت الإشارة إليه، وإن قعد الناس عن اتباعه، بل وإن قاموا في وجهه صدأً له عن أدائه فروض إمامته وواجبات زعامته. وإن قعودهم عن طاعته، أو قيامهم في معارضته لا يخدش في كفايته للنهوض بأعباء الإمامة، بل إنهم

١- مفردات غريب القرآن ١٥٦ (خلف).

٢- معالم الفلسفة الإسلامية ١٤٤.

حظهم أخطاؤه وسبيل هدى أضعوه.

ومن هنا فالإمام، على ما تراه الإمامية، هو الحامل لأعباء الإمامة قام أو قعد، نطق أو سكت، تقدم للسباق أو تأخر؛ لأنَّ إمامته ليست باللباس المستعار يلبسه إن استلبه من غيره، ويتعري عنه إن استلبوه منه.

ولمَا كان الإمام هو الحجَّة البالغة وجب عليه إعلام الناس بإمامته وإقامة الأدلة عليها عند الحاجة الماسة، كما وجب على الأمة معرفته وطاعته إذا عرفوه<sup>١</sup>. ومن هنا كانت محنة الأئمة المعصومين؛ فهم مأمورون بهذا الدور والطرق الذي تقبلوه، لكن عامة الأنبياء والأوصياء، والأئمة عليهم السلام منهم، لم يجدوا الزمان الذي عاشوه وعاصروه زمان عافية، فلقيهم ظلامه بعنته وشدته ورماهم بسهام صوبها إليهم، فتلقته نفوسهم راضية شاكرة صابرة من أجل أداء الرسالة التي حملوها. ولعلَّ أقلَّ ما لاقوه هو القتل والذبح. ويروى عن الصادق عليه السلام قوله: والله، ما منَّا إِلَّا مُقْتُولٌ شَهِيدٌ<sup>٢</sup>، وكذلك روي عن الحسن عليه السلام قوله: والله، إِنَّه لَعَاهُ عَهْدَهُ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَمْلُكُهُ اثْنَا عَشَرَ إِمَامًا، مَا مَنَّا إِلَّا مَسْمُومٌ أَوْ مُقْتُولٌ<sup>٣</sup>. ولم يكن هذا القدر المقدور يفوت حتى من أسيدت إليه السلطة والحكومة والقدرة، كما جرى للرضاعي عليه السلام في دولة المأمون.

ويروي أبو الصلت الهروي في حديث له مع الرضاعي عليه السلام قوله: قلت: يا ابن رسول الله، إِنَّ قَوْمًا فِي الْكُوفَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْحَسِينَ بْنَ عَلَى عليه السلام لَمْ يُقْتَلْ، وَأَنَّهُ أَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى حَنْظَلَةَ بْنَ أَسْعَدَ الشَّامِيِّ، وَأَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رَفِعَ

١- الإمام الصادق للمظفر ١: ٦٤.

٢- مناقب آل أبي طالب ٢: ٥١.

٣- كفاية الأمر في النص على الأئمة الاثنتي عشر ٣٢٧.

٣٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

عيسى بن مریم عليه السلام ويحتاجون بهذه الآية « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِكَافِرِنَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا »<sup>١</sup> ! فقال عليه السلام: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته، وكفروا بتكميلهم لنبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إخباره بأنَّ الحسين بن علي عليه السلام سيُقتل، والله لقد قُتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيراً من الحسين: أمير المؤمنين والحسن بن علي عليه السلام. وما منا إلا مقتول، وإنِّي والله لمقتول بالسم باغتيالِ مَنْ يغتالني، أعرف ذلك بعهدي معهود إلىِّي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبرئيل عن رب العالمين عز وجل<sup>٢</sup>.

---

١- النساء: ١٤١.

٢- عيون أخبار الرضا ٢: ٢٠٣.

## نظريّة الشيعة في الإمامة والحكم

يرى محمد ضياء الدين الرئيس أنَّ أول من كتب في الإمامة كتابة علمية، وأول من تصدَّى إلى إثبات مذهبه بالأدلة المنطقية، سواء أكانت الأدلة مبنية على أساس ديني - ثيولوجي - أم عقلي. هم الشيعة، فالشيعة لهم الفضل في خلق هذا النوع من العلم المسمى بالإمامنة، وهم الذين أوجدوه وأفردوا له مكاناً بين مباحث علم الكلام.<sup>١</sup>

وقد عاش المسلمون في جدل كلامي في هذا المبحث أدى إلى نشوء أزمات وصراعات طويلة؛ لاختلافهم في الإمامة السياسية بين النص الشرعي والتعيين البشري، فيعتقد الشيعة أنَّ الإمامة السياسية للأمة هي بالنص الشرعي والتعيين السماوي، وكلَّ ما كان من نزاع بين الشيعة الإمامية والفرق الإسلامية الأخرى التي لا ترى هذا الرأي كان منشؤه و بداياته هذا الاعتقاد، فاعتقد الفرق الأخرى هو أنَّ الأمة هي صاحبة الاختيار والرأي في تعين الإمام أو القائد أو الخليفة أو الرئيس السياسي لل المسلمين، ولم تحصل لهم القناعة بما يرى الشيعة من أنَّ السماء ومن أرسلته في الأرض من أنبياء ورسل لهم

١- الإمام الصادق والمذاهب الأربع ٤٤٧.

الصلاحية في تعين الإمام وال الخليفة الشرعي لتدبير أمور الأمة السياسية والدينية.

وعلى العموم انفرد الشيعة باعتقاداتهم في موضوع الإمامة حيث يعتقدون أن الإمامة مسألة مفروغ منها في الأمم السابقة وكذلك في هذه الأمة، فلا محض من التسليم في هذا الأمر. أضف إلى ذلك وجود بعض الروايات التي تدلّ من خلال أبسط تأمل فيها، كدليل عقلي مع كونه نظلياً، على إثبات الإمامة في الدين، وأنّها لابد أن تكون بالتنصيص من قبل الله تعالى وعلى لسان رسوله صلوات الله عليه وآله وسلامه<sup>عليه السلام</sup>. وتمسّك الشيعة بتصوّص معتبرة، بعضها رُويت بطرق من أهل السنة لذا لا يمكن ردّها وإنكارها أو عبورها، في أنّ أئمّة المسلمين هم اثنا عشر إماماً إلى قيام يوم الدين لا يزيدون ولا ينقصون. والنصوص الدالة على إمامتهم كثيرة تناولتهم موسوعة بحار الأنوار للعلامة المجلسي<sup>١</sup>.

أما الأدلة العقلية التي استدلّ بها علماء الشيعة فهي أيضاً كثيرة، منها محااجحة جرّت لواحد من صحابة الصادق عليه السلام، كما روى الشيخ الكليني

---

١- ينظر: العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ٢٥.

٢- ينظر: بحار الأسوار ٦٦، ٢٣ و ٤١٤ - ١٩٢، ٣٦ على سبيل المثال. ومن هذه النصوص قوله عليه السلام: الأئمة بعدي اثنا عشر إماماً، أولهم عليٌّ وأخرهم القائم. وقوله عليه السلام: أولهم عليٌّ وزابعهم عليٌّ وثامنهم عليٌّ وعاشرهم عليٌّ وأخرهم مهديٌ. ينظر: جامع الأخبار للسبزواري ٦١ و ٦٢. ومن ذلك قوله عليه السلام: لا يزال الإسلام منيعاً إلى اثنى عشر إماماً. صحيح مسلم ٢١٤٥٢ كتاب الإمارة. وفي حديث رواه القندوزي أنَّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال لعليٍّ عليه السلام: اكتب لشريكك الأئمة من ولدك، بهم سقى أمتي وبهم يستجاب دعاؤهم، وبهم يصرف الله عن الناس البلاء، وبهم تنزل الرحمة من السماء، وهذا أولهم، وأشار إلى الحسن، ثم قال: وهذا ثالثهم، وأشار إلى الحسين. ثم قال: والأئمة من ولده رضي الله عنهم. يتابع المودة ٢٠.

ياسناده عن يونس بن يعقوب الذي قال: كان عند أبي عبد الله عليهما السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعماني، وهاشام بن سالم، والطيار وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليهما السلام: يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد؟ وكيف سأله؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله، إني أجلّك وأستحييك ولا يعمل لسانك بين يديك، فقال أبو عبد الله عليهما السلام: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا. فقال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظام ذلك علىي، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة، فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متآثر بها من صوف وشملة مرتدية والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم، إني رجل غريب، تاذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم. فقلت له: ألك عين؟

قال: يابني، أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟! فقلت: هكذا مسألتي. فقال: يابني، سل وإن كانت مسألتك حمقاء! فقلت: أجبني فيها. قال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم؟ قلت: فما تصنع بها؟

١- عمرو بن عبيد البصري، من أصحاب الحسن البصري وواصل بن عطاء، كان من شيوخ المعتزلة، ومن الرهاد، مات سنة ١٤٤هـ. *أعلام الزرکلی* ٥: ٨١.

٢- هشام بن الحكم الكوفي مولاهم البغدادي، يكنى أباً محمد وآباً الحكم، مولده الكوفة، ونشأه واسط، وتجارته في بغداد، انتقل إليها في آخر عمره. كان من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، وروى عنهما. وكان حاذقاً في صناعة الكلام، حاضر الجواب، له مباحثات كثيرة، وكان من فتق له الكلام في الإمامة.  *رجال النجاشی* ٤٤٣،  *رجال الكثّی* ٢٥٥.

قال: أرى بها الألوان والأشخاص. قلت: فلنك أنت؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة. قلت: ألك فم؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعام. قلت: فلنك أذن؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت. قلت: ألك قلب؟ قال: نعم. قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواسين. قلت: أو ليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا. قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة. قال: يا بني، إنَّ الجوارح إذا شُكِّت في شيء شَمَّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردته إلى القلب، فيستيقن اليقين فيبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم. قلت: لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم. فقلت: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويبيّن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كله في حيرتهم وشكهم واحتلafهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك تردد إليه حيرتك وشكك؟ فسكت ولم يقل شيئاً. ثم التفت إلىي فقال لي: أنت هشام بن الحكم؟ قلت: لا. قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا. قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أصل الكوفة. قال: فأنت إذا هو! ثم ضمّنني إليه وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه، وما نطق حتى قمت. فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام، من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألفته<sup>٢</sup>. فقال الصادق عليه السلام: هذا - والله - مكتوب في صحف إبراهيم وموسى.

١- في رواية الصدوق في علل الشرائع، الأمازيغي ١٩٣؛ جرى على لسانه، بدل قوله: شيء أخذته منك وألفته.

٢- أصول الكافي ١: ١٦٩ كتاب الحجة.

وكان عمرو بن عبيد منزلة كبيرة لدى علماء المعتزلة، وحينما دخل مع جمع من علمائهم على الصادق عليه السلام بعد مقتل الوليد الأموي أنسدوا أمرهم إليه في الحديث والمحاججة مع الصادق عليه السلام. ولما عرف هذا سعة علم الصادق عليه السلام وسمو معرفته صرخ وقال: هلك من سلب تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم<sup>١</sup> وعمرو هذا لم يكن منسجماً مع التيار العام للسلطة الأموية الذي كان عليه عدد كبير من العلماء، فقد روي عنه حديث عن النبي عليه السلام أنه قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. مما أثار زوبعة قوية ضده باتهامه بتهم كثيرة ترافقاً للأمويين، منها أنه قدري ضعيف في دينه. والحقيقة أنه كان يعرف قدر الأئمة المعصومين عليهما السلام، ولذا لم يتصادم مع أصحاب الصادق عليه السلام بل كان متسللًا معهم. وقد يكون منصفاً لهم أحياناً، وفي غالب أمره وكان مبتعداً عن قصور الخلفاء ومجالسهم حتى أنَّ المنصور العباسi أشنى عليه بقوله:

كُلُّكُمْ يطْلُبُ صَدِيقاً  
كُلُّكُمْ يَمْشِي رُؤَيْدَ

غَيْرَ عَمَرٍ بْنِ عَبْيَدٍ

ورثاه بقوله:

صَلِّى اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ مَوْسِدِ  
فَبِرَا مَرَرْتَ بِهِ عَلَى مَرَانٍ<sup>٢</sup>

ومن غير المستبعد أن يكون حال عمرو بن عبيد كحال الكثير من الذين وقعوا تحت تأثير الفكر الإمامي ومقولاته، إلا أنهم لم يتمكنوا في الإفصاح والإعلان عن معتقداتهم خوفاً من بطش الحكام ومراعاة للجوء العام السائد آنذاك بين المسلمين. ومن المسلم أنَّ عقائد الشيعة الإمامية كانت لها قوة

١- بحار الأنوار ٤٧: ٢١٣ و ٢١٦.

٢- ينظر: ميزان الاعتراض ٣: ٢٧٣ / رقم ٦٤٠٤

#### ٤٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

تأثير كبيرة في أوساط أهل العلم والثقافة، ولكن أهل الحكم والسلطة الدنيوية، وعدة من المعاندين والمتعصّبين من أهل الثقافة والعلم السلطوي هم الذين يضادون هذه العقائد والأفكار؛ لأنّ الأصل في الاعتقاد الإمامي هو أصل فطري يناسب نصوص الكتاب والسنّة. ومن العدل والإنصاف لأهل العلم أن يقولوا للتاريخ: لم تبتعد عقائد الشيعة الإمامية عن مقولات العقل وأبجدياته. فالشيعة الإمامية يعتقدون، وفقاً للعقل واستناداً للنصوص المعتبرة، أنَّ الإمام رئاسة وإمرة إلهية كالنبوة، فالإمام باعتقادهم هو حافظ للشرع وقائم به، فحاله في ذلك كحال النبي<sup>١</sup>.

ولما كانت الحاجة والضرورة داعية لنبي مرسل يهدي العباد ويسلّدّهم ويصلح شأنهم ويضع لهم مسالك وممرات إلى دروب الإيمان، فالإمام والوصي لا بد له من حضور وجود لا مناص منه، ليكمل ويتمّ هذه الدعوة والمسيرة الربانية. ونقول بعبارة أخرى: الإمام يفسّر أو يبيّن أو يوضح أو يشرح هذه الرسالة.

ومن هذا الأساس يعتقد الشيعة الإمامية أنَّ مرحلة النبوة ليست هي المرحلة الأخيرة في الرسالات السماوية في الأرض، وإنما هناك وصاية من قبل الله تعالى يعلمها الأنبياء لطائفة معدودة من البشر يكملون بهذه الوصاية المسيرة لتدبیر أمور الخليقة في شؤون الدين والدنيا. ومن هذا المنطلق فإنَّ النبي حين يختاره الله لجواره يكون هناك استمرارية وإدامه لرسالته في الأرض، ومن هذا النظر فإنَّ النبي محمد عليهما السلام كسائر الأنبياء له أوصياء ونواب معدودون يرجع إليهم الخلق، وهؤلاء النواب يسمون لدى الشيعة بالأئمة

المعصومين وعددهم اثنا عشر وصيّاً أو إماماً، اختارهم الله لخلقه، أوّلهم علىَ ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأخرهم الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي قُدِّرَت له غيَّتان صغرى وكبرى، ولم تُترك الأمة في فترة الغيبة الصغرى بدون مرجعية ووصاية يرجع لها الخلق في القرن الثالث الهجري، وامتدت إلى أوائل القرن الرابع الهجري، وقد سمى لهذه الغيبة أربعة أبواب وسفراء أولهم عثمان بن سعيد العمري، وقد نصب هذا السفير في حياة الإمام العاشر والحادي عشر أبي الحسن عليَّ بن محمد الهاדי، ثم ابنه الحسن بن عليَّ بن محمد العسكري لتكميل سفارته ووكلاته إلى زمن الغيبة الصغرى للإمام المهدى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى يديه كانت تخرج توجيهات المسائل، باعتباره الباب أو النائب أو الوكيل أو المفتى أو المرجع الروحي والسياسي للطائفة آنذاك. ولما انتهت سفارته ناب منه أبو جعفر محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٤ أو ٣٠٥ هـ. ثُمَّ انتقلت السفارة إلى أبي القاسم الحسين بن روح الذي توفي عام ٣٢٦ هـ. ومن بعده جاء أبو الحسن عليَّ محمد السُّمْرَى المتوفى سنة

١- محمد بن عثمان بن سعيد العسري الأستاذ، أبو جعفر، وأبوه عثمان كان يكتفى أباً عمرو، هما وكيلان في خدمة صاحب الزمان، ولهم منزلة جليلة عند الطائفة. وكان محمد قد حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج، فسئل عن ذلك فقال: للناس أسباب، ثم سئل بعد ذلك، فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين في جمادى الأولى سنة ثلاثمائة وقيل: سنة أربع وثلاثمائة. وكان يتولى هذا الأمر نحوًا من خمسين سنة، وقال عند موته: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم الحسين بن روح إلى أبي الحسن علي بن محمد السُّمْرَى. فلما حضرت السُّمْرَى الوفاة سئل أن يوصي، فقال: الله أمر هو بالغه، والغيبة الثانية هي التي وقعت بعد وفاة السُّمْرَى.

## ٤٢ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

٣٢٨ هـ أو ٣٢٩ هـ<sup>١</sup>، وكان هذا خاتم السفراء، ولم يصل إلى الشيعة بعده حبر عن باب أو سفير يرجعون إليه، وإنما ناب الفقهاء المجتهدون عن الأئمة بعنوان رواة للأحاديث والأخبار وطلاب علم يدرسون علومهم وأخبارهم.

وجاءت هذه السفاراة للأشخاص الأربع بأمر سماوي جرى على يد الإمام المعصوم. ولما قدر الله الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أنيطت المرجعية السياسية والدينية لدى الشيعة ببنخبة من الفقهاء الصالحين الذين كانوا بمثابة أبواب الأوصياء أو تلاميذهم، وما زالوا بهذا العنوان في مدرسة الاجتهد الفقهي للوصول إلى الأحكام الشرعية التي تهم المكلفين حتى يأذن الله بظهور الإمام الغائب المهدى المنتظر عليه السلام الذي يضع الأحكام الشرعية القطعية بين يدي العباد، فغياب الشيعة أو تعفيتهم عن قيادة الأئمة لا يعني فقدان النظرية السياسية في الإدارة والحكم لديهم، وإنما الإبعاد السياسي القهري هو الذي أوجد فراغاً في الكتابات والأبحاث السياسية لنظرية الدولة، وربما كان تعرّض التيار أو القيادات الشيعية التي تجسدت بالإمام المعصوم الذي عاش في زمن صعب، من التضييق والعتن الشديد هو الدافع الأكبر لهم لممارسة التقى وبالتألي اختفاء أو غياب أو عدم وضوح النظرية السياسية للدولة. والحقيقة أنَّ التيار الإمامي ما كان يعاني من عدم وضوح وتكامل الصورة والنظرية بعد تحقق التجربة العلوية في الحكم والدولة، وإنما لم تتكامل الرؤية السياسية للأفراد العاديين الذين ابتعدوا عن إشراف الإمام المعصوم وتوجيهه.

ومن المؤكّد أنَّ تفهُّم المعصوم للسلطة السياسية ونظرية الحكم شكل

١- ينظر: بحار الأنوار ٥١: ٣٦٢، الغيبة للشيخ الطوسي ٢١٤.

تهديداً وخطراً على السلطة الأموية والعباسية في حينه مما دفع الإمام المعصوم إلى أن يتخذ أسلوباً آخر في التعامل مع الوضع القائم ومع الدعاة، وقد عُرف هذا الأسلوب بالحقيقة أو نحوها، حرصاً منه على سلامة الخط الرسالي وديموسته. أما مقدار علم المعصوم بالرسالة التي حملها النبي ﷺ فهو وسائر الأئمة عليهما السلامون محظوظون بها، وهم أيضاً مبلغون هذه الرسالة عن صاحب الرسالة، بل هم مكملون لها. وما خفي على الأمة من أسرار هذه الرسالة وكوامنها شيء كثير، ولكن كان على الأمة أن تعرف أنهم - أي الأئمة عليهم السلام - هم الحافظون لها ولكلّيات التشريع والشريعة، وهم بعثة وحدّهم العارفون بموارد تطبيقاتها<sup>١</sup>. أمّا مدى وشعاع سلطة الإمام المعصوم فهي عامة وواسعة وشاملة لخُصُوصها فخر المحققين بقوله: الإمام هو الذي له الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ. والإمام وفقاً للرئاسة العامة له يرى أنَّ النّظام السياسي والحكومة المنبثقة عنه أدّاة لتحقيق وتطبيق الشريعة الإسلامية التي أكملها المصطفى ﷺ في رسالته الكاملة.

ولكنَّ المناخ السياسي والاجتماعي الذي أفرزته الأوضاع العامة للمسلمين بعد أن لتبَّيَ النبي ﷺ نداء ربه كانت غير مواتية لكي يمارس الوصي دوره الرسالي في خلافة النبي ﷺ، فشهدت هذه المرحلة بداية الانحرافات والمؤامرات التي مرت المسلمين وضيّعوهم.

وأول هذا الانحراف هو تفكيك النبوة عن الوصاية والإمامية، وقبول النبوة ورفض الإمامة والوصاية، وكانَ الخلافة أو ممارسة الحكم والسلطة وتأسيس دولة ليست من مهمّة الوصي أو الإمام المعصوم، أو كأنّها لا تعنيه. ومن هنا

١- ينظر هذه المطالب في كتاب: الإمام الرضا عليهما السلام تاریخ ودراسة .٢١

٢- النکت الاعتمادية .٥٣

عصفت بتاريخ المسلمين مجموعة من المشاكل تمخض ونجم عنها تيارات وأهواء، اتّخذت تسميات متعددة، منها فصل الدين عن السياسة، أو عناوين قبلية أخرى منها: لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد، أو أنَّ النبي ﷺ قد ترك الأمر للأمة تختار ما تشاء ومن تشاء، أو أنَّ الدنيا لها رجالها والدين له رجاله، وغير ذلك من المفاهيم والرؤى التي تحكمت بتاريخ المسلمين.

ولم يكن الخط الرسالي غائباً أو نائياً أو بعيداً عن هذه التيارات أو الرؤى، وكانته لم يتخذ موقعاً له هناك، ولكنه استضعف وأبعد فائز الصبر والتراث إلى حين استكمال الظروف والمناخات المناسبة ليعلن رؤيته ودولته وفلسفته. وقد كانت هناك فاصلة بين النبوة والإمامية النصية التي كان ينبغي لها أن تسلم زمام الأمور بعد أن يؤدي النبي رسالته ويغادر هذه الدنيا، ولكن لم يحصل هذا في تاريخنا، وربما كان لهذا الأمر من يفسره أو يجيب عنه، فانبرى عدد من الباحثين للإجابة عن ذلك، ومنهم الكاتب محمد علي دخيل الذي حاول أن يتناول ذلك الموضوع بافتراضات تصوّرها فقال:

من الطبيعي وفقاً للسنن الإلهية أنَّ النبوة التي يمثلها النبيُّ المرسل لها مدة معينة ومحدودة على حسب ظاهرها، ومن هنا كان لا بدَّ أن تكون أو قد تحدث بعد التحاق النبيِّ محمد ﷺ بالرفيق الأعلى عدَّة أمور لا مفرَّ من واحد منها: ١- أن يلغى هذا الدين وتبطل أحكام الإسلام باعتبار أنَّ نبوته ﷺ مقرونة بحياته، وقد تصرَّمت فترجع الناس إلى جاهليتهم الأولى. ٢- أن يترك الناس معتمدًا على تقافتهم وتدينهم وأنَّهم متمكنون من أن يسوسوا أنفسهم بأنفسهم ويسيروا على المنهج الذي رسمه لهم، من دون أن تحتاج شريعته إلى قائم عليها، مفسِّر لأحكامها، مقِيم لحدودها. ٣- أو يكون للأمة بعده الاختيار، فيجتمع الناس من بعده على إمام يتخبوه من بينهم، ويقيمهونه

عليهم. ٤- أن ينصب للأمة الإمام، ويقيم لهم الهادي ويأمرهم باتباعه وطاعته. ويعلّق الكاتب محمد علي دخيل ويقول: ولو رجعنا إلى الواقع وزرعنا من صدورنا قيود العصبية البغيضة، وبحثنا هذه الأمور بحثاً منطقياً، لوجدنا أن القول الأول - إلغاء الشريعة - باطل، فهي خاتمة الشرائع، والمنهج الذي أراده الله تعالى للبشرية جموعه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»<sup>١</sup>، ولو كانت الشريعة الأحمدية مقرونة بحياته عليه السلام وكانت عبشاً، فجعل البشرية لم تبلغهم الدعوة، ولم يتبنوا طريق الهدى والسلامة، ول كانت عبشاً من جهة أخرى، فالتضحيات الكبيرة التي بذلها عليه السلام لهذا الدين، والأضاحي التي قدمها قرباناً من أجله، كانت جديرة بالبقاء وخريرة بأن تصان. ونحن لو نظرنا إلى منشئ الفكر السياسية والأحزاب العقائدية وجدناهم يبنون أفكارهم، ويرسمون طريقهم الطويل عبر الأجيال والعصور. ولا حاجة إلى التطويل في بطلان هذا القول، فهو واضح الفساد، ولم يقل به أحد من هذه الأمة ولا من غيرها.

والقول الثاني - تركهم معتمدأ على فطنتهم وتدبرهم، أوهى من الأول، فالجيش لا يمكن أن يكون بغير قائد يجمع شمله، ويدبر أمره، والشعب لا بد له من رئيس يدير شؤونه، ويحفظ حقوقه، بل وحتى هذا الجسم الصغير جعل الله له مرجعاً ورئيساً، وهو القلب ترجع إليه الحواس في إحساساتها، ومنه تصدر تعاليمه إليها. كيف يترك الرسول عليه السلام الخلق معتمدأ على فطنتهم وقابلتهم! فهب أن الصحابة ومن يليهم من الأمة كانوا بمثابة من العلو والرفة، والعلم والمعرفة، يمكن أن يستغنوا عن المرشد والحاكم، لقربهم من الرسول عليه السلام وأخذهم عنه، فما هو مصير البلدان المترامية والشعوب البعيدة،

## ٤٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

وكيف يكون مصير الأجيال المتعاقبة من يعلمها الدين ويبين لها الأحكام؟ ومن يقيم لها الحدود؟ ومن يصد المعتدين، ويرد صولة الكافرين؟ نعم، يمكن أن يكون ذلك لو أبدل الله النوع الإنساني بالنوع الملائكي، وأسكن هذا الكوكب سكاناً سماواته، فهم أرفع من أن يتهموا وأبرأ من أن يعصوا. والجواب في رد الأمر الثالث أن تختار الأمة لها حاكماً وسلطاناً، فلا يمكن أن يجتمع الناس على شخص معين، مهما كان لذلك الشخص من مزايا الكمال والعرفان، وكيف يجتمع الناس كلّهم على شخص واحد وهم متباينون في الآراء والأفكار، مختلفون في الميول والاتجاهات؟!

واليوم وفي عصر الدستور والديمقراطية ينتخب الشعب نوابه، ويتخبو النواب حكومة، يعطونها تأييدهم المطلق، ومع ذلك نجد المعارضة في عنفوانها في كل بلد، ونجد من يندد بسياسة الحكومة في كل نادٍ ومتحفٍ، وتجد صحفة المعارضة تكيل التهم للحكومة، وتكثر السباب لها، حتى إذا أطاحت بها، وقام الشعب من جديد باختيار مماثلة، معتبراً بالدروس السالفة التي مررت عليه، وقامت من بين صفوف النواب صفوة اختياروها، فهي خلاصة الشعب، والدرة المنتقة من الأمة، فهي وإن حققت رغبة المعارضة السالفة، ولكن أخلفتها معارضة أخرى، لها صحفتها وأحزابها، وربما لا تقل عن الأولى، فلا يمكن إذا أن يجتمع الناس على شخص معين مهما أتي من الفضائل والمعارف. وهب أنّهم اجتمعوا كلّهم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فهل يكون اختيارهم أفضل من اختيار الله لهم؟ وهل يكون نظرهم أحسن من نظر الله لهم؟ لأنّ البشر مهما أتوا من علم ومعرفة فقد يغلط بالاختيار ويفوته وجه الصواب والحكمة. وعلى سبيل المثال النبي موسى بن

عمران ٣٦ قال عنه تعالى: «وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا»<sup>١</sup> معتقداً أنهم الخيرة من أمته، وجاء بهم للمناجاة، فقالوا «لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا»<sup>٢</sup> أ ولم تنفع نصائحه<sup>٣</sup> ووعظه حتى أخذتهم الصاعقة. والسر في هذا الطلب الغير مشروع منهم هو الاختيار، إذ لم يقع على الأفضل من أصحابه، هذا وهونبي مرسلاً. إنّ موضوع اختيار الإمام من خصائص الله تبارك وتعالى «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْغَيْرَةُ»<sup>٤</sup> شأن أمور الدين الأخرى، فلم يكن للبشرية رأي في عدد ركعات الصلاة، ولم يشاورهم جل شأنه في تنصيب الزكاة، ولم تكن عن رأيهم صدرت تعاليم الإسلام، وفرض الحلال والحرام، بل إنه تعالى أمرهم بذلك، وأوجب عليهم الأخذ به<sup>٥</sup>.

ومن هذا كان الاعتقاد الشيعي المتوارث بأنّ الإمامة منصوصة، وأنّ الحكم والسلطة السياسية هي جزء وقسم من وظيفة الإمام المعصوم أو من ينوب عنه، ونهوضه بإمامية الأمة هي بتقويض من النبي<sup>صلواته</sup> وبأمر الله تعالى. ولكن ما هي الخطّة أو المنهج الذي وضعه زعماء الشيعة للوصول إلى هذه الغاية؟ يتحدث السيد محمد باقر الصدر عن هذا فيقول: وإذا تبعنا سير الحركة الشيعية نلاحظ أنّ القيادة الشيعية المتمثلة في أئمّة أهل البيت<sup>عليهم السلام</sup> كانت تؤمن بأنّ تسلّم السلطة وحده لا يكفي، ولا يمكن تحقيق عملية التغيير إسلامياً ما لم تكن هذه السلطة مدعاة بقواعد شعبية واعية تعني أهداف تلك السلطة وتوّمن بنظريتها في الحكم وتعمل في سبيل حمايتها وتفسير مواقفها

١- الأعراف: ١٥٥.

٢- البقرة: ٥٥.

٣- القصص: ٦٨.

٤- الأنبياء: ١٠.

للجماهير، وتصمد في وجه الأعاصير. وبصيف السيد الصدر قائلاً: في نصف القرن الأول بعد وفاة النبي ﷺ كانت القيادة الشيعية بعد إقصائها عن الحكم تحاول باستمرار استعادة الحكم بالطرق التي تؤمن بها؛ لأنّها كانت تؤمن بوجود قواعد شعبية واعية، أو في طريق التوعية من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولكن بعد نصف قرن وبعد أن لم يُبيّنَ من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور، ونشأت أجيال مائعة في ظل الانحراف، لم يعد تسلّم الحركة الشيعية للسلطة متحققاً للهدف الكبير؛ لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية. وأمام هذا الواقع كان لا بدّ من عملين: أحدهما: العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الوعائية التي تهيء أرضية صالحة لتسليم السلطة. وثانيهما: تحريك ضمير الأمة الإسلامية وإرادتها، والاحتفاظ للضمير الإسلامي والإرادة الإسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضدّ التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين. والعمل الأول هو الذي مارسه الأنّة عليهما السلام بأنفسهم، والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الإسلامي والإرادة الإسلامية، وكان الأنّة عليهما السلام يستندون المخلصين منهم.<sup>١</sup> وكما جرى هذا الأمر لزيد بن علي بن الحسين عليهما السلام الذي أسنده الأنّة المعصومون وياركوا لثورته، فيروي عن الصادق عليهما السلام قوله فيه: إنَّه نعم العَمَّ، إنَّ عَمَّيْ كَانَ رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عَمَّيْ شهيداً، كالشهداء الذين استشهدوا مع رسول الله عليهما السلام وعليه وحسنه وحسنه صلوات الله عليهم.<sup>٢</sup>

وروى عن الرضا عليهما السلام في حديث مع المؤمن برواية عن أبيه موسى بن

١- نشأة التشيع والشيعة .٩٤

٢- عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٢ ح .٦

جعفر بن أبي عبد الله عن الصادق عليهما السلام قال: رَحِيمُ اللَّهِ عَمِي زَيْدًا، إِنَّهُ دَعَا إِلَى الرَّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَلَوْ ظَفَرَ لَوْفِي بِمَا دَعَا إِلَيْهِ. وَلَقَدْ اسْتَشَارَنِي فِي خَرْوَجِهِ فَقَلَّتْ لَهُ يَدًا عَمَّا، إِنْ رَضِيَتِ أَنْ تَكُونَ الْمَقْتُولُ الْمَصْلُوبُ بِالْكُنَاسَةِ فَشَانِكَ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ جعفر بن محمد عليهما السلام: وَيْلَ لِمَنْ سَمِعَ وَاعْيَتِهِ فَلَمْ يَجْبَهَا فَقَالَ الْمَأْمُونُ لِلرَّضَا عليهما السلام: إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَلَيْيَ لَمْ يَدْعُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ، وَإِنَّهُ كَانَ أَنْقَى لَهُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ قَالَ: أَدْعُوكُمْ إِلَى الرَّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليهما السلام، وَإِنَّمَا جَاءَ مَا جَاءَ فَيَمْنَ يَدْعُونِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَصَّ عَلَيْهِ ثُمَّ يَدْعُونِي إِلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ وَيُضَلِّلُنِي سَبِيلَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَكَانَ زَيْدًا - وَاللَّهُ - مَمْنُونَ خَوْطَبَ بِهَذِهِ الْآيَةِ: «وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ»<sup>١</sup>.

وبخصوص ثورة زيد روى فضيل بن يسار قال: انتهي إلى زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة فسمعته يقول: مَنْ يُعِينُنِي مِنْكُمْ على قتال أباطل أهل الشام؟ فوالذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، لا يُعِينُنِي مِنْكُمْ على قتالهم أحداً إِلَّا أَخْذَتْ يَدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَلَمَّا قُتِلَ الْكَثِيرُ مِنْ رَاحِلَةِ وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَدَخَلَتْ عَلَى أَبِي عبدِ الله عليهما السلام فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي: وَاللَّهُ، لَأُخْبِرَنَّهُ بِقُتْلِ زَيْدَ بْنِ عَلَيْ فِي جَرَعِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ لِي: مَا فَعَلَ عَمِي زَيْد؟ فَخَنَقْتَنِي الْعَبْرَةُ، فَقَالَ: قَتَلُوهُ؟ قَلَّتْ: إِي وَاللَّهِ قَتَلُوهُ. قَالَ عليهما السلام: فَصَلَبُوهُ؟ قَلَّتْ: إِي وَاللَّهِ فَصَلَبُوهُ. قَالَ فضيل: فَأَقْبَلَ يَبْكِي وَدَمْوعُهُ تَنْهَرُرُ عَنْ جَانِبِي خَدَهُ كَائِنَهَا الْجُمَانُ، ثُمَّ قَالَ: يَا فَضِيلَ، شَهَدْتَ مَعَ عَمِي زَيْدَ قَتَالَ أَهْلِ الشَّامِ؟ قَلَّتْ: نَعَمْ. فَقَالَ: فَكَمْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ؟ قَلَّتْ: سَتَّةَ. قَالَ: فَلَعْلَكَ شَاكَ فِي دَمَانِهِمْ، فَقَلَّتْ: لَوْ كُنْتَ شَاكَّاً مَا

## ٥٠ □ الإمام موسى بن جعفر شمس في ظلمات السجون

قتلتهم، فسمعته وهو يقول: أشركتني الله في تلك الدماء، ما مضى - والله - زيد عمّي وأصحابه إلا شهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب رض وأصحابه<sup>١</sup>. ومع هذا الإخفاق الميداني لثورة زيد فقد تناثر جمع من أصحابه في بقاع أخرى غير الكوفة أثروا في تلك البقاع وأسسوا جماعات وفرقًا سياسية ودينية، انشعبت منها رؤى انتظمت بالضرورة في مسار العقيدة الزيدية التي تقول بإمامية كلّ فاطمي صالح ذي رأي يخرج بالسيف<sup>٢</sup> وتميز فقهاؤهم في الرؤية الفقهية عن علماء الإمامية فكانوا يأخذون بالكتاب والسنّة، فإن لم يكن في كتاب وسنة يكون القياس ويدخلون الاستحسان والمصالح المرسلة في القياس، ويتمسّكون أيضًا بفتح باب الاجتهاد<sup>٣</sup> ومن هنا المذهب الزيدية يفرقه واتجاهاته السياسية والذي انفرد به جمهور غير من أهل اليمن عن سائر المسلمين، يتميّز بتفردّ عن سائر مذاهب الشيعة من جهة، ويتفاعل مع مذاهب أهل السنّة والجماعة من جهة أخرى<sup>٤</sup>. وهكذا ظلّ المذهب الزيدية وأتباعه يراوح في خطوة هنا وخطوة هناك، متوزّعاً بين

١- عيون أخبار الرضا ١: ٢٥٢ ح ٧.

٢- ينظر: مجمع البحرين ٣: ٦٠ (زيد).

٣- ينظر: تاريخ الفرق الإسلامية ١٨١. ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ مرجعهم الفقهية والحديثي مسند زيد بن علي بن الحسين رض الذي قام بتأليفه وجمعه أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادي المتوفى عام ٣٦٣ للهجرة، والمروي برواية أبي خالد عمرو بن خالد الواسطي المتوفى في عشر الخمسين والمائة، هو محور الفقه الزيدية والمستند الذي تدور عليه رواياتهم وأدلةهم. وهذا المسند، باعتباره الزمانى يعدّ أقدم كتاب حداثي فقهي وصل إلينا، وأقدم بأكثـر من نصف قرن من موـطـاً مالـكـ. يـنـظـرـ: رجال التـجـاشـيـ ٢٨٨، وتـارـيخـ الفـقـهـ الإـسـلامـيـ، وـنظـريـةـ الـمـلـكـيـةـ وـالـعـقـودـ ٨٧ـ وـالـذـرـيعـةـ لـأـغاـ بـرـزـكـ الطـهـرـانـيـ ٢٦ـ: ٢١ـ.

٤- ينظر: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وأراءه الكلامية ١٤.

المذاهب والفرق والاتجاهات السياسيّة والدينيّة منذ النصف الأوّل للقرن الثاني للهجرة، لكنّهم لم يوافقو الشيعة الإمامية في قبول إماماً الباقي<sup>١</sup> ومن جاء بعده، وربما تسرّبت عناصر منهم في مسار الثورات العلوية اللاحقة، ومن هذه الثورات ثورة صاحب فخر<sup>٢</sup>.

وتعلّم ثورة الحسين بن عليّ صاحب فخر أحدى تلك الثورات الدامية التي تجلّت فيها الشجاعة المبنعة من صميم العقيدة، فضحيّ بنفسه وأهله وماله في سبيل إعزاز دينه<sup>٣</sup>. وروي أنّه لما كانت بيعة الحسين بن عليّ صاحب فخر قال لأصحابه: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله<sup>٤</sup>، وعلى أن يطاع الله ولا يعصي، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن يعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه<sup>٥</sup>، والعدل في الرعية والقسم بالسوية، وعلى أن تقيموا معنا، وتجاهدوا عدوتنا، فإنّ نحن وفيّنا لكم وفيّتم لنا، وإنّ نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليّكم<sup>٦</sup>. ولما خرج الحسين بن عليّ المقتول بفخر واستولى على المدينة دعا موسى بن جعفر<sup>٧</sup> إلى البيعة، فأتاه فقال له<sup>٨</sup>: يا ابن عمّ، لا تُتكلّفني ما كلف ابن عمّك أبا عبد الله<sup>٩</sup> فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله<sup>١٠</sup> ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: إنّما عرضتُ عليك أمراً، فإنّ أردته دخلت فيه، وإنّ كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثمّ وذعه. فقال له موسى بن جعفر<sup>١١</sup> حين وذعه: يا ابن عمّ، إنّك مقتول فأجد الضرب، فإنّ القوم فستاق يُظهرون إيماناً ويسرون شركاً، وإنّ الله وإنّا إليه راجعون، أحتسبكم عند الله من عصبة<sup>١٢</sup>. وقد أورد أحمد بن سهل الرازي

١- بطر فخر الحسين بن عليّ بن الحسن أمير مكة وفاته<sup>١٣</sup> ٥٣.

٢- بحار الأنوار ٤٨: ١٦٩.

٣- أصول الكافي ١: ٣٦٦ ح ١٨.

من أعلام القرن الرابع الخبر في رواية أخرى بأنَّ موسى بن جعفر عليه السلام قال لصاحب فخَّ ولمن معه من بنى الحسن عليه السلام: أنا ثقيل الظهر، فلو خرجتَ معكم لم يتركوا من ولداني أحداً إلا قتلوه، فاجعلوني في حلٍّ من تخلفي عنكم. فعرفوا غدره فجعلوه الحسين في حلٍّ، فودعهم وقال لهم موسى بن جعفر عليه السلام: يا بنى عمِّي، أجهدوا أنفسكم في قتالهم، وأنا شريككم في دمائهم، فإنَّ القوم فساق يسرُّون كفراً ويظهرون إيماناً<sup>١</sup>.

ويروي أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني المتوفى ٢٥٢ هـ عن يحيى ابن عبد الله قوله: لما بايعناه - أي صاحب فخَّ - خرجتَ على دابتي راكضاً مسرعاً حتى أتيت حدباء، وبها موسى بن جعفر عليه السلام، وهو على ميلين من المدينة. وكان موسى بن جعفر عليه السلام شديد الغيرة فكان يأمر بإغلاق أبوابه والاستيقاظ منها، فدققت بابه فأطلت حتى أجبت وخبرت باسمي، فأخبر الغلمان بعضهم بعضاً من وراء الأبواب وهي مقللة، حتى فتحت وأذن لي فدخلت، فقال: أي أخي، في هذه الساعة! قلت: نعم، حتى متى لا يقام لله بحق، وحتى متى نُضطهد ونُستدلل؟! فقال: ما هذا الكلام؟ قلت: خرج الحسين وباعناه، فاسترجع. قلت: جعلت فداك، في أمرنا هذا شيء؟! وانصرفت إلى حسين<sup>٢</sup>. فالمحصن من هذه الأخبار هو قبول وتأييد الإمام المعصوم لهذه الحركات، ولكنه كان يعلم أنَّ الإخفاق والفشل هو نصيبها، وليس لها حظٌ من الحكم والسلطة؛ لأنَّها لم تستكمل شروط ومقومات النجاح والسداد التي لابد منها، فكلَّ حركة سياسية أو عسكرية لها شروط ومقومات يجب أن تستكملها وتتوفر بها، وكانَ هذه الحركات العلوية سبقت

١- أخبار فخَّ وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله ١٣٥.

٢- أخبار الحسين بن علي الفخري ويحيى وإدريس ابني عبد الله من كتاب المصباح ٢٨٦.

زمنها، وما قدر لها أو تهيأ لها في مراجعة حساباتها ودراسة المحيط والبيئة التي تحركت فيها بشكل مدروس ومبرمج، كما أن للسماء إرادة في ما حصل لهذه الثورات من هزائم، والتي كان بعضها على جانب وقدر كبير من الصواب، فلم يقدر الله لها الفوز والنصر في أن تحكم وتسلّم مقاليد الحكم والسلطة آنذاك. ومع هذا فهي حركات لها مشروعيتها، ولها حقها في البحث والدراسة عن تناول التاريخ السياسي للمسلمين، ولربما تكون دراستها وإنصافها من الواجب العلمي والأخلاقي معاً.

ولكن مشروعية ثورة فتح، كما يقول الشيخ فاضل المسعودي، تأتي من خلال الإطلاع على الأقوال التي وردت عن النبي ﷺ وعن أهل بيته عليهم السلام في حق هذه الثورة، مما نجد معه أنها خير شاهد صدق على مدى مشروعيتها عند أهل البيت عليهم السلام، فهناك عدة ثورات قامت على مدى التاريخ الإسلامي لكنها لم تحض بأي تأييد من قبل أهل البيت عليهم السلام مثلما أيدت هذه الثورة العظيمة<sup>١</sup>.

وقد علم الخليفة العباسي موسى الهادي بتفهم وبعطف الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على التأثر العلوي بفتح، فنان من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وتطاول عليه وتوعده، فقال: والله، ما خرج حسين إلا عن أمره، لأنَّه صاحب الوصيَّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه، ولو لا ما سمعت من المهدى فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر - أي الصادق عليه السلام - من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله وما بلغني عن السفاح فيه من تقريره وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً. فقال أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم

القاضي، وكان جريئاً عليه: ليس هذا مذهب موسى بن جعفر ولا مذهب أحدٍ من ولده، ولا ينبغي أن يكون هذا منهم. وأكَّد ذلك بالأيمان المغلظة، ولم ينزل يرفق به حتى سكن غضبه<sup>٢</sup>، ودفع الله شره وفل عزيمته في حجته على عباده لتبقى شعلة إمامته موقودة وهاجة إلى أجلها المقدر لها، ويتهي في نفس الحين طغيان الهدادي العباسي وينطفئ نار سلطانه ويُخْمَد إلى الأبد.

ومن المناسب للبحث هنا أن نقول: إنَّه كانت بعض الحركات الشيعية قد يبدو لها فكر ونظريَّة سياسية ناضجة وواضحة، وليس الدافع العاطفي والانفعالي وحده هو المحرك لها، ومن هذه الحركات حركة زيد بن عليَّ بن الحسين السجاديَّة<sup>٣</sup> وحركة صاحب فخر، فهاتان الحركتان تستمدان من حركة الإمام الحسين عليه السلام، فكلَّ منها حركة متقدمة وصاحبة بُعد نظري وأيديولوجي ترى أنَّ السلطة الأموية والسلطة العباسية اللاحقة لها كانت سلطات ظالمة، غير قادرة على إدارة شؤون المسلمين وتحقيق أهدافهم ورغباتهم وأمالهم، وهم في حقيقتهم بابتعادهم عن آل البيت عليهم السلام ابتعدوا عن الكتاب والسنَّة، لأنَّهم كانوا المعبرين والناطقين عنهم، ومن هنا فالتأثيرون في ثوراتهم وقيامهم كانوا ينطلقون من مبدأ «الرضا من آل محمد»، باعتبارهم هم أعرف وأدرى بالكتاب والسنَّة التي تؤهِّلهم للقيام بقيادة الدولة الإسلامية وتصريف شؤونها. وبالتالي يتَّهي هذا الشعار أو المبدأ إلى القبول بالإمام المعصوم أو من ينوب عنه. وهذا التصور الحاصل في الفكر الشوري للشيعة كان يظهر في مراحل زمنية لاحقة للثورة الحسينية. وأما الشعارات والمبادرات التي كانت عليها الكتل الشيعية قبل الثورة الحسينية فلم تكن بالعمق

والوضوح السياسي الذي عرفته الحركات الشيعية فيما بعد. وقد تعاطف أعلام المذاهب الأخرى مع بعض حركات الشيعة، كما يروى عن موقف أبي حنيفة النعمان بن ثابت، يقول الشيخ حسين بن محمد الدياري بكري:

كان أبو حنيفة يفتى سرًا بوجوب نصرة زيد بن عليٍّ وحمل المال إليه والخروج على اللص المتغلب المتمسّى بالإمام وال الخليفة كالدوايني وأشباهه. ويروى عنه أنه قالت له امرأة: أشرت إلى ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قُتل! فقال: ليتنى مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادونi على عدّ آجره لـما فعلت<sup>١</sup>.

وافتقت كلمة المؤرخين على أنَّ أبي حنيفة ليس بمست ساع في الدولتين الأموية والعباسية ويرجع سبب ذلك إلى أنه شمرَ عن ساعد الجد فيما يتعلق بنزعته الثورية ضد الأنظمة السياسية التي عايشها وعاصرها، فكما أنه لم يكن منسجمًا كثيراً أو قليلاً مع دولة بني أمية، فالأمر هو الأمر في دولة بني العباس في عهد السفاح والمنصور.<sup>٢</sup> وإحساس أبي حنيفة، بصفته فقيهاً له رؤيته الفقهية والشرعية، بظلم هؤلاء الخلفاء وعدم شرعيةِهم، يعكس لنا تفهم قطاع واسع وكبير من فقهاء الإسلام للشعارات والمبادئ التي كانت تنادي بها الحركات العلوية الثائرة. ولكن لم يكن يجرؤ الكثير منهم على إعلان موقفه منها سوى أبي حنيفة ومالك، ومن كان يفهم ويدرك اللصوصية السياسية لأبي جعفر المنصور وعسفه وقوسنته، هو وأولاده الذين جاءوا من بعده مع فقهاء المسلمين وعلمائهم! وقد فوجئ مالك بلاحقة المنصور للعلماء في حياتهم الخاصة وتتنوع صفات الأمور لهم، لكي لا يفروا من قبضته ومن ملاحقة عيون

١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيـس :٣٦٧ .

٢- الرسول المصطفى ومقولـة الرأـي :٢٦٦ .

## ٥٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

أعوانه، فقال المنصور له في لقاء معه: أليس إذا بكت ابنتك من الجوع تأمر بمحجر الرحى فتحريك لكيلا يسمع الجيران بكاءها<sup>١</sup> وكان المنصور يريد أن يفهم مالكاً أنه لا يمكن له الفرار من سلطته، فهو يوحى له ولسائر العلماء والفقهاء الذين عاشوا معه وعاصروه بأنه ملازم لرعايته ويلاحق مواطنه كالظل الذي لا يمكن للشخص أن يتخلص منه أو ينفك عنه.

ولكن مع هذا العسف والتقييد والملاحقة عبرت آراء زعيمي المذهب الحنفي والمالكي عن استياء فقهاء وعلماء عصر المنصور وبيني العباس عن سلطان المنصور وجوره على رعيته، في قتواهما المشتركة للناس: ليس على مكره يمين، وذلك حينما سُئلاً عن بيعتهم للمنصور العتاسي وخروجهم عليه بعد البيعة.<sup>٢</sup>

ومن هنا نصل إلى أن الثورات العلوية كانت تشکل الفضيل التأثر المتقدام الذي يعبر عن آمال الأمة الإسلامية وتطلعاتها بكلفة فرقها ومذاهبها الدينية، وقد يكون التأثر العلوي وشعار «الرضا من آل البيت» في ظاهره يحمل بعدها مذهبياً أو خطأً فكريًا خاصاً به، إلا أنه حصل في التاريخ في أحابين، تزعم هذا الشعار العلوي للخطوط الحركية، وبعض الاتجاهات المذهبية الأخرى الناقمة والساخطة على السلطة السياسية المنحرفة التي ركبت دابة الشهوات وتركت الدين جانباً، بل مسخته وحرفته. ويستخلص الدكتور ماهر جرار أن الدعوة إلى الرضا من آل البيت قد بدأت منذ زمن الأمويين على يد زيد بن علي عليه السلام، وأنه انتظمت تحت لوائها اتجاهات مختلفة امتدت في أقطار الدولة الإسلامية، وأن العباسين الذين انضموا إلى هذه الدعوة واستفادوا منها بداية

١- واقع التقى عند المذاهب والفرق الإسلامية من غير الشيعة الإمامية ١٤٤.

٢- الإمامة وأهل البيت ٢١٤.

كانت لهم شبكة دعائية خاصة، وانفصلوا عن هذه الدعوة وعملوا على تأسيس أيديولوجية خاصة بهم بعد نجاح ثورتهم على الأمويين<sup>١</sup>. أما في ما سبق من فترة تاريخية فالتكلّل الشيعي لم يكن يمتلك العمل المنظم والدعاة الكافين، فقد كانت جماعة الشيعة عند أول ظهورها جماعة سياسية متواضعة وخافتة، تدعو إلى أحقيّة علي بن أبي طالب عليه السلام بالخلافة. ولم تكن هذه الجماعة حرياً له نظام وقواعد وإعلام مبرمج، أو مجموعة لها رابطة موحدة، بل كانوا أفراداً متفرقين في مختلف الأمصار الإسلامية، يدفعهم إلى تأييد الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام حبّهم ولاؤهم للرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه. وكان من بينهم عدد من كبار الصحابة وعدد من الأنصار<sup>٢</sup>. وقد أشار الشيخ محمد الزين إلى عدد من هؤلاء فقال: وقد كان جميع الهاشميين - وقتئذ - وفي مقدمتهم العباس بن عبد المطلب من الشيعة، وكذلك حذيفة بن اليمان، والزبير بن العوام، وخزيمة ذو الشهادتين، وأبو التيهان، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص المعروف بهاشم المرقال، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وخالد وأبان الأمويَان، وأبو رافع، وعدي بن حاتم الطائي، وحجر بن عدوي الكندي، وسعيد بن خبير، وعثمان وسهل ابنا خنيف، وأبي بن كعب، والبراء بن عازب، والأحنف بن قيس، وثابت بن قيس بن الخطيم، وقيس بن سعد بن غبادة وأبوه أيضاً، وخباب بن الأرت، وبلال مؤذن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وعبد الله ومحمد ابن بديل، وقرطبة بن كعب الخزرجي، وسلمان بن صرد الخزاعي، وحسان ابن ثابت، وأنس بن الحارث، وأبو قتادة الأنصاري، وأبو ذجانة الأنصاري، وسعد بن مسعود الثقفي عم المختار، ويزيد بن ثويرة، ونافع بن عتبة بن أبي

١ - مقدمة أخبار فتح وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله .٤٣

٢ - جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول .٢٦

وقاص، وأبو ليلي الأنصاري واسمه يسار ويقال داود بن بلال<sup>١</sup>.

وأضاف الشيخ أحمد الوائلي أعداداً أخرى إلى هؤلاء بعد أن أطلق عليهم مصطلح رواد التشيع الأوائل. ثم قال: إنَّ هؤلاء الشيعة مع أنَّهم كانوا من الذاهبين إلى أولوية الإمام على<sup>عليه السلام</sup> بالخلافة، لأنَّه الإمام المفترض الطاعة المنصوص عليه، ومع اعتقادهم بأنَّ من تقدم عليه أخذ ماليس له.. لم يعرف عن أحد منهم أنه شتم فرداً من الصحابة أو تناوله بطريقة غير مستساغة، بل كانوا أكبر من ذلك وأصلب عوداً من خصومهم.<sup>٢</sup>

وقد بدت وظهرت من هؤلاء، وربما من غيرهم، مواقف عفوية تعبّر عن اعتقادهم و موقفهم السياسي المتواضع أحياناً، ولكن الضربات والمواجعات التي كانت تقابل بها هذه الشخصيات تبدو وكأنّها كانت قاسية، وربما لا تناسب مواقف هؤلاء المحسوبين على التكتل العلوي الذي كان فيبدو تشكّله. وكما جرى للصحابي الجليل أبي ذر الغفاري حينما كتب إلى واحد من هؤلاء الجماعة، وهو حذيفة بن اليمان الذي يشاركه في مواقفه وبعض اعتقاداته، واصفاً له معاناته وما لقى من تضييق وعنت وعسف فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: أَمَا بَعْدِ يَا أَخِي، فَخَفِّ اللَّهُ مُخَافَّةً يَكْثُرُ مِنْهَا بِكَاءُ عَيْنِكَ، وَحَرَرُ قَلْبِكَ، وَسَهَرَ لِيْلَكَ، وَأَنْصَبَ بِدَنْكَ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ، فَحَقَّ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ النَّارَ مُثْوِي مِنْ سُخْطِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوِلَ بِكَاؤَهُ وَنَصْبَهُ وَسَهَرَ لِيْلَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَحَقَّ لِمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْجَنَّةَ مُثْوِي مِنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْحَقَّ كَيْ يَفْوَزَ بِهَا، وَيَسْتَصْغِرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ الْخُرُوجَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَقِيَامَ لِيْلَهُ وَصِيَامَ نَهَارَهُ، وَجَهَادَ الظَّالِمِينَ الْمُلْحَدِينَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ

١- الشيعة في التاريخ .٢٦

٢- هوية التشيع .٣٦

الله أوجبها له، وليس بعالم ذلك من دون لقاء ربِّه، وكذلك يتبعي لكلَّ من رغب في جوار الله ومرافقته أنبيائه أن يكون. يا أخي، أنت ممن أستريح إلى التصريح إليه بشيءٍ وحزني، وأشكو إليه تظاهر الظالمين علىَّ، إنَّي رأيت الجور يُعمل به بعيني، وسمعته يقال فرَدْتُه فخرَّمتُ العطاء، وسُرِّرتُ إلى البلاد، وغُرِّيتُ عن العشيرة والإخوان وحرَّم الرسول ﷺ، وأعوذ برَبِّي العظيم أن يكون هذا مني له شكوى أن رُكِّب مني ما رُكِّب، بل أباًتك أَنْي قد رضيت ما أَحَبَّ لِي ربِّي وقضاء علىَّ، وأفضيت ذلك إِلَيْكَ لتدعو الله لي ولعامة المسلمين بالروح والفرج، وبما هو أعمَّ نفعاً وخير مغبة وعقبى، والسلام.

وربَّما كانت رسالة مثل هذه كانت وثيقة تاريخية تبيَّن لنا مرحلة من مراحل جهاد الشيعة وكفاحهم. فكتب إليه حذيفة جواباً لرسالته جاء فيها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَدْ بَلَغْنِي كِتَابُكَ تَحْوِيفِي بِهِ وَتَحْذِيرِي فِيهِ مِنْ قُلْبِي، وَتَحْشِيَّ فِيهِ عَلَى حَظْنِي، فَقَدِيمًا يَا أَخِي كُنْتَ بِي وَبِالْمُؤْمِنِينَ حَفِيًّا لطِيفًا، وَعَلَيْهِمْ حَدِيبًا شَفِيقًا، وَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ أَمْرًا وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيَا، وَلَيْسَ يَهْدِي إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَّا هُوَ لِإِلَهٖ إِلَّا هُوَ وَلَا يَتَنَاهِي مِنْ سُخْطِهِ إِلَّا بِفضلِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ مِنْهُ، فَسَأَلَ اللَّهَ رَبِّنَا لِأَنفُسِنَا وَخَاصَّتِنَا وَعَامَّتِنَا وَجَمَاعَتِنَا مَغْفِرَةً عَامَّةً وَرَحْمَةً وَاسِعَةً. وَقَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ تَسِيرِكَ وَتَغْرِيَكَ وَتَطْرِيدِكَ، فَعَزَّ - وَاللَّهُ - يَا أَخِي مَا وَصَلَ إِلَيْكَ مِنْ مَكْرُوهٍ، وَلَوْ كَانَ يُفْتَدِي ذَلِكَ بِمَا لَأُعْطِيَتُ فِيهِ مَالِي طَيِّبَةً بِذَلِكَ نَفْسِي، يَصْرُفَ اللَّهُ عَنِكَ بِذَلِكَ الْمَكْرُوهِ. فَكَائِنِي وَإِيَّاكَ قَدْ دُعِيْنا فَأَجْبَيْنا وَغَرَّضَنَا عَلَى أَعْمَالِنَا فَاحْتَجَنَا إِلَى مَا أَسْلَفَنَا. يَا أَخِي، وَلَا تَأْسِ عَلَى مَا فَاتَكَ، وَلَا تَحْزُنْ عَلَى مَا أَصَابَكَ، وَاحْتَسِبْ فِيهِ الْخَيْرَ، وَارْتَقِبْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ أَسْنَى الْثَوَابِ. يَا أَخِي، لَا أَرِيَ الْمَوْتَ لِي وَلَكَ إِلَّا خَيْرًا مِنَ الْبَقاءِ، فَإِنَّهُ قَدْ

أطلّتنا فتن يتلو بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم، قد ابتعشت من مر Kirbyها، ووظئت في حطامها، تُشهر فيها السيف، وينزل فيها الحتوف، يقتل فيها من اطلع لها، والتبس بها، وركض فيها، ولا تبقى قبيلة من قبائل العرب من الوير والمدر إلا دخلت عليهم، فأعزّ أهل ذلك الزمان أشدّهم عتواً، وأذلّهم أتقاهم، فأعاذنا الله تعالى وإياك من زمان هذه حال أهله فيه، لن أدع الدعاء لك في القيام والقعود والليل والنهر، وقد قال الله سبحانه - ولا خلف لموعده -

﴿إِذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ، فستجير بالله من التكبر عن عبادته والاستنكاف عن طاعته.

جعل الله لنا ولنك فرجاً ومخرجاً عاجلاً برحمته، والسلام عليك.

ومن صور الكفاح والجهاد للطبقة الأولى للشيعة، أو ما يعبر به عن اعتقاداتهم وما كانوا عليه من رؤى وأفكار يتداولونها فيما بينهم، ما روى الصدوق عن مالك بن ضمرة الرؤاسي: قال: لما سرّأ أبو ذر رض اجتمع هو وعليّ بن أبي طالب رض والمقداد بن الأسود وعمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود، فقال أبو ذر رض: حدثنا حدثنا نذكر به رسول الله صل ونشهد له وندعوه له ونصدقه بالتوحيد، فقال علي رض: ما هذا زمان حديثي. قالوا: صدقت، فقال أبو ذر رض: حدثنا يا حذيفة، فقال: لقد علمتم أنّي سألت المعضلات وخبرتهنّ لم أسأل عن غيرها. قال: حدثنا يا ابن مسعود، قال: لقد علمتم أنّي قرأت القرآن لم أسأل عن غيره، ولكن أنتم أصحاب الأحاديث. قالوا: صدقت، قال: حدثنا يا مقداد. قال: لقد علمتم أنّي إنّما كنت

١ - غافر: ٦٠

٢ - بحار الأنوار ٤٠٨: ٢٢

صاحب السيف لا أسأل عن غيره<sup>١</sup> ، ولكن أنتم أصحاب الأحاديث. قالوا: صدقت، فقال: حدثنا يا عمّار. قال: قد علمتني رجل نسيي<sup>٢</sup> إلا أن أذكر فأذكري، فقال أبو ذر<sup>٣</sup>: أنا أحدثكم بحديث قد سمعتموه، ومن سمعه منكم، قال رسول الله<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>: «الستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله وأنَّ الساعة آتية لا رب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور وأنَّ البعث حقٌّ وأنَّ الجنة حقٌّ والنار حقٌّ» قالوا: نشهد، قال: وأنا معكم من الشاهدين، ثمَّ قال: الستم تشهدون أنَّ رسول الله<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> قال: «شُرُّ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ اثْنَا عَشْرَ: ستةٌ من الأوَّلِينَ، وَسَبَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ»، ثمَّ سمى الستة من الأوَّلِينَ: ابنَ آدمَ الذِّي قُتِلَ أخاه، وَفَرْعَوْنُ، وَهَامَانُ، وَقَارُونُ، وَالسَّامِرِيُّ، وَالدَّجَّالُ اسْمُهُ فِي الأوَّلِينَ وَيُخْرِجُ فِي الْآخِرِينَ، وَأَمَّا السَّبَّةُ مِنَ الْآخِرِينَ: فَالْعِجْلُونُ، وَفَرْعَوْنُ وَهُوَ مَعَاوِيَةُ، وَهَامَانُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَهُوَ زَيْدٌ، وَقَارُونُهَا وَهُوَ سَعِيدٌ، وَالسَّامِرِيُّ وَهُوَ أَبُو مُوسَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ كَمَا قَالَ سَامِرِيٌّ قَوْمُ مُوسَى: لَا مِسَاسٌ، أَيْ لَا قِتَالٌ، وَالْأَبْتَرُ وَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ، أَفْتَشَهُدُونَ عَلَى ذَلِكَ؟ قالوا: نعم. قال:

١- في بعض النسخ: «إِنَّمَا كَنَّتْ صَاحِبُ الْفُتْيَا لَا أَسْأَلُ عَنْ غَيْرِهَا».

٢- إنما ثُوَّفَ أَبُو ذَرٍّ بِسَبَّةٍ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثَتَيْنِ فِي خَلْفَةِ عُثْمَانَ، وَوَقَعَ التَّحْذِيلُ مِنْ أَبِي مُوسَى فِي وَقْعَةِ صَفَّيْنَ سَبَّةٍ سَبَّعَ وَثَلَاثَيْنَ وَذَلِكَ مِنْ إِخْبَارِهِ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> بِمَا سَيْكُونُ. وَيُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: تَقْسِيرٌ هُؤُلَاءِ، الظَّرْفُ مِنْ كَلَامِ أَبِي ذَرٍّ - بَلَّغَهُ عِلْمُهُ مِنَ النَّبِيِّ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> سَرًا - لِأَنَّهُ غَيْرُ مَعْهُودٍ فِي كَلَامِ النَّبِيِّ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> جَرْحُ جَمَاعَةٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ بِاسْمَهُمْ صَرِيحًا، وَذَلِكَ لَا يَخْفِي عَلَى مَنْ لَهُ أَدْنَى عِرْفَانٍ بِسَيْرِهِ<sup>صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>. وَهَذِهِ التَّعْلِيقَةُ لِأَهْمِيَّتِهَا نَقْلَنَا مِنْ مَحْقُوقٍ كِتَابِ الْخَصَالِ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ. وَإِبْرَادُ الْحَجْرِ هُنَّا جَاءَ كَشَاهِدٍ عَلَى إِرْهَاصَاتِ الْعَصْرِ الَّذِي اكْتَفَى، لِأَنَّهُ يَعْتَرُ عَنْ أَحَاسِيسٍ وَرَؤُى رِيمَا تَكُونُ عَفْوِيَّةً، لَمْ يَكُنْ يَقْدِمُ مِنْهَا تَشْكِيلُ حَزْبٍ أَوْ حَرْكَةٍ ذاتِ تَنظِيمٍ وَبِرْنَامِجٍ سِيَاسِيٍّ وَاضْعَفَ يَتَمَكَّنُ مِنْ إِزَاحَةِ الْمُخْطُوطِ الْمُخَالَفَةَ أَوْ تَحْجِيمِ دُورَهَا فِي الْوَسْطِ السِّيَاسِيِّ وَالدِّينِيِّ آنِذَاكَ.

## ٦٢ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وأنا على ذلك من الشاهدين. ثم قال: ألستم تشهدون أنَّ رسول الله عليهما السلام قال: «إنْ أُمْتَيْ تَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ عَلَى خَمْسِ رَأْيَاتٍ؛ أَوْلَاهَا رَايَةُ الْعِجْلِ فَأَقْوَمُ فَآخِذُ بِيَدِهِ، إِنْ أَخْذَتُ بِيَدِهِ اسْوَدًا وَجْهَهُ وَرَجَفْتُ قَدْمَاهُ، وَخَفَقْتُ أَحْشَاؤَهُ، وَمَنْ فَعَلَ فَعْلَهُ يَتَبَعُهُ، فَأَقُولُ: بِمَا خَلْفَتُمُونِي فِي التَّقْلِينِ مِنْ بَعْدِي؟» فَيَقُولُونَ: كَذَبْنَا الْأَكْبَرَ وَمَرْقَنَاهُ، وَاضْطَهَدْنَا الْأَصْغَرَ وَأَخْذَنَا حَقَّهُ، فَأَقُولُ: اسْلَكُوا ذَاتَ الشَّمَالِ فَيُنْصَرِفُونَ ظَمَائِيَّ مُظْمَئِينَ، قَدْ اسْوَدَاتُ وَجْوهَهُمْ لَا يَطْعَمُونَ مِنْهُ قَطْرَةً. ثُمَّ تَرَدَ عَلَيَّ رَايَةُ فَرَعُونَ أُمْتَيْ وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ وَمِنْهُمُ الْمُبَهَّرُونَ. قَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْمُبَهَّرُونَ؟ بَهْرُجُوا الطَّرِيقَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ بَهْرُجُوا دِيَّنَهُمْ، وَهُمُ الَّذِينَ يَعْضُبُونَ لِلَّدْنِيَا وَلَهَا يَرْضُونَ، فَأَقْوَمُ فَآخِذُ بِيَدِ صَاحِبِهِمْ، إِنْ أَخْذَتُ بِيَدِهِ اسْوَدًا وَجْهَهُ وَرَجَفْتُ قَدْمَاهُ وَخَفَقْتُ أَحْشَاؤَهُ، وَمَنْ فَعَلَ فَعْلَهُ يَتَبَعُهُ، فَأَقُولُ: بِمَا خَلْفَتُمُونِي فِي التَّقْلِينِ بَعْدِي؟» فَيَقُولُونَ: كَذَبْنَا الْأَكْبَرَ وَمَرْقَنَاهُ، وَقَاتَلْنَا الْأَصْغَرَ فَقَتَلْنَاهُ فَأَقُولُ: اسْلَكُوا سَبِيلَ أَصْحَابِكُمْ، فَيُنْصَرِفُونَ ظَمَائِيَّ مُظْمَئِينَ مَسْوَدَةً وَجْوهَهُمْ، لَا يَطْعَمُونَ مِنْهُ قَطْرَةً.

قال: ثُمَّ تَرَدَ عَلَيَّ رَايَةُ هَامَانَ أُمْتَيْ فَأَقْوَمُ فَآخِذُ بِيَدِهِ، إِنْ أَخْذَتُ بِيَدِهِ اسْوَدًا وَجْهَهُ وَرَجَفْتُ قَدْمَاهُ وَخَفَقْتُ أَحْشَاؤَهُ، وَمَنْ فَعَلَ فَعْلَهُ يَتَبَعُهُ، فَأَقُولُ: بِمَا خَلْفَتُمُونِي فِي التَّقْلِينِ بَعْدِي؟» فَيَقُولُونَ: كَذَبْنَا الْأَكْبَرَ وَمَرْقَنَاهُ، وَخَذَلْنَا الْأَصْغَرَ وَعَصَيْنَاهُ، فَأَقُولُ: اسْلَكُوا سَبِيلَ أَصْحَابِكُمْ، فَيُنْصَرِفُونَ ظَمَائِيَّ مُظْمَئِينَ مَسْوَدَةً وَجْوهَهُمْ، لَا يَطْعَمُونَ مِنْهُ قَطْرَةً.

ثُمَّ تَرَدَ عَلَيَّ رَايَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، وَهُوَ إِمامُ خَمْسِينَ أَلْفِ مِنْ أُمَّتِي، فَأَقْوَمُ فَآخِذُ بِيَدِهِ، إِنْ أَخْذَتُ بِيَدِهِ اسْوَدًا وَجْهَهُ وَرَجَفْتُ قَدْمَاهُ وَخَفَقْتُ أَحْشَاؤَهُ، وَمَنْ فَعَلَ فَعْلَهُ يَتَبَعُهُ فَأَقُولُ: بِمَا خَلْفَتُمُونِي فِي التَّقْلِينِ بَعْدِي؟» فَيَقُولُونَ، كَذَبْنَا الْأَكْبَرَ وَعَصَيْنَاهُ وَخَذَلْنَا الْأَصْغَرَ وَعَدَلْنَا عَنْهُ، فَأَقُولُ: اسْلَكُوا سَبِيلَ أَصْحَابِكُمْ

فينصرُون ظمَائِي مظمَئين مسوَدة وجوههم، لا يطعُمون منه قطرة.  
ثمَ يردُ علَى المخدج برأيَته فآخذ بيده، فإذا أخذت بيده اسود وجهه  
ورجفت قدماه وخافت أحساؤه، ومن فعل فعله يتبعه، فأقول: بما خلفتموني  
في الثقلين بعدِي؟ فيقولون: كذَبنا الأَكْبَرَ وعصيَناه، وقاتلنا الأَصْغَرَ وقتلناه،  
فأقول: اسلَكُوا سُبُيلَ أَصْحَابِكُمْ، فینصرُون ظمَائِي مظمَئين مسوَدة وجوههم،  
لا يطعُمون منه قطرة.

ثمَ تردُ علَى راية أمير المؤمنين وإمام المتَقِين الغَرَّ المُحَجَّلِين فأقوم فآخذ  
بيده، فإذا أخذت بيده ابيض وجهه ووجوه أصحابه، فأقول: بما خلفتموني  
في الثقلين من بعدِي؟ قال: فيقولون: اتَّبعنا الأَكْبَرَ وصلَّينا، ووازَرْنَا الأَصْغَرَ  
ونصرَناه وقاتلنا معه، فأقول: ردوا رواه مَرْوِيَّين، فيشربون شربة لا يطمأنون  
بعدها أبداً، وجَه إمامهم كالشَّمْسِ الطالعة، ووجوه أصحابه كالقمر ليلة البدْرِ  
وكأَضْواء نجم في السَّماء». ثمَ قال: أَلسْتُم تشهدون على ذلك؟ قالُوا: نعم، قال:  
وأَنَا على ذلك من الشَّاهِدِينَ. قال يحيى: وقال عَبَادٌ: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ بِهَذَا عَنْ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ أَبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا بِهَذَا. وقال أبو عبد الرحمن: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ  
بِهَذَا عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَصِيرَةَ حَدَّثَنِي بِهَذَا، وَقَالَ الْحَارِثُ:  
اشْهَدُوا عَلَيْيَّ بِهَذَا عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ صَخْرَ بْنَ الْحَكْمَ حَدَّثَنِي بِهَذَا، وَقَالَ  
صَخْرَ بْنَ الْحَكْمَ: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ هَذَا عَنْ دِلْكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ حَيَانَ حَدَّثَنِي بِهَذَا،  
وَقَالَ حَيَانُ: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ بِهَذَا عَنْ دِلْكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الرَّبِيعَ بْنَ جَمِيلَ حَدَّثَنِي  
بِهَذَا. وَقَالَ الرَّبِيعُ: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ بِهَذَا عَنْ دِلْكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ مَالِكَ بْنَ ضَمْرَةَ  
حَدَّثَنِي بِهَذَا. وَقَالَ مَالِكَ بْنَ ضَمْرَةَ: اشْهَدُوا عَلَيْيَّ بِهَذَا عَنْ دِلْكَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ أَبا  
ذَرَ الْغَفارِيَ حَدَّثَنِي بِهَذَا. وَقَالَ أَبُو ذَرَ مُثْلِدَ ذَلِكَ، وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

حدّثني به جبرئيل عن الله تبارك وتعالى.<sup>١</sup>

وبهذا الإعلام والأسلوب الحركي المتواضع، كانت تظهر معالم الحركة الشيعية وأفكارها السياسية والعقائدية، والمعتبر عنها في الكتابات الحديثة باصطلاح الحزب الشيعي، أو بعبارة أخرى أكثر دقة يمكن أن نقول: إنهم كانوا عدّة من التكتل الشيعي، والذين منهم بدأ يتبلور الموقف الشيعي بشكل مبكر، وكأنه حصل هذا بعد بروز الكتلة السياسية القرشية القوية التي بدأت تخطّط وترسم المناهج والبرامج لتسلّم مقايد الأمور والسيطرة على أجهزة الدولة، ومن هنا فصوت سلمان الفارسي (المحمدي) وصوت عمّار بن ياسر، وصوت المقداد بن الأسود الكيندي، والزبير في المرحلة الأولى من حياته السياسية، وأبي ذر الغفاري، وعدد من بنى هاشم وغيرهم ممّن ذُكر آنفاً، بمجموع أصواتهم وحركاتهم صاروا يشكّلون نواة الحزب الشيعي أو الحركة العلوية أو الشيعية، والتي امتدّت إلى أعماق التاريخ السياسي وحتى العصر الحديث. ويُعدّ علي عليه السلام هو رأس الحركة وواضع لبنتها بأفكاره وتوجهاته، فهو القائد المؤسس لها، أو القائد السياسي لها والناطق باسمها، وتناول هذا الدور وورثه أولاده المعصومون لهم السلام من بعده، كلّ حسب زمانه.

ومن المحقّق أنّ هذا التكتل أو الحزب لم يكن قويّاً في بداية أمره، كما أنه لم يكن له وقّة ميدانية يستطيع بها مواجهة المذاقرishi الصاعد في تلك الفترة، وإنّما كانت هنالك عواطف وأحاسيس تحرك هذه الجماعة وتدفعها للتعبير عن أحاسيسها وأفكارها. أمّا أن تكون لها قدرة تنظيمية وقوّة مبرمجة تستطيع أن تغيّر بها موازين القوى، أو تتزعّم الحقّ لزعيمها فهذا لم يحصل،

١- الخصال ٤٥٨ أبواب الأربع عشر، والأعلام الذين وردت أسماؤهم في آخر الخبر هم رواة

الحديث الذين ورد ذكرهم في السند.

أو لم تكن الجماعة على وعي كامل بالمناخات السياسيّة وكيفيّة التعامل معها ووضع الخطط والبرامج اللازمّة لها، كما أنها لم تكن لها القدرة أو تمتلك الطاقة والاستعداد لخوض المواجهة السياسيّة أو المنازلة الميدانيّة إن اقتضى الأمر، في ذلك الحين، لما كان الطرف المقابل يمتلك من قوّة.

ويروى الشيخ المفيد عن الإمام الصادق ع <sup>عليه السلام</sup> أنَّ عدّةً من الحزب أو التكتل الشيعي العلوى وعددهم أربعون رجلاً، حاولوا القيام بحركة استعراضية، فجاءوا إلى علي عليه السلام فقالوا له: لا والله، لا نعطي أحداً طاعة بعده أبداً. قال: ولم؟ قالوا: إنا سمعنا من رسول الله عليه السلام فيك يوم غدير خمٍ قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فأتونني غداً مُحْلِقِين، فما أتاه إلا سلمان والمقداد وأبو ذر الغفارى، وجاء عمّار بن ياسر بعد الظهر فضرب علي عليه السلام يده على صدره ثم قال له: أمّا آنَّ لك أن تستيقظ من نومة الغفلة؟! ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، أنت لم تطعوني في حلق الرأس، فكيف تطعوني في قتال جبال الحديد؟! ارجعوا فلا حاجة لي فيكم، ومع هذا لم يعدم الحزب الشيعي في ضحي تشكّله من رجال أشداء كانوا على وعي وبصيرة من أمرهم، فعمرو بن الحرمي الخزاعي أعلم ولاه لعلي عليه السلام، وكان لسانه يطابق اعتقاده القلبي، كما يروى الشيخ المفيد أنه قال لعلي عليه السلام: والله ما جئتكم لمال من الدنيا تعطينها، ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري، إلا لأنك ابن عم رسول الله عليه السلام، وأولى الناس بالناس، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين عليه السلام، وأبو الذريّة التي بقيت لرسول الله عليه السلام، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار. والله لو كلفتني نقل الجبال الرواسي. ونزح البحر الطوامي أبداً حتى يأتي علي يومي

## ٦٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وفي يدي سيفي أهزّ به عدوك وأقوي به وليك، ويعلو به الله كعبك، ويفلنج به حجتك. ما ظلتني أتني أديت من حفّك كلّ الحقّ الذي يجب لك عليّ، فقال أمير المؤمنين عليهما السلام: اللهم نور قلبه باليقين وأهدِه إلى الصراط المستقيم، ليت في شيءٍ مثلك.

وكذلك كان حجر بن علوي يعبر عن صورة الرجل القوي الصابر في الحزب العلوي، فقد تلقى صنوف العذاب والشدة والاضطهاد على يد الجلاوزة الأمويين، ولكنّه حمد الله وصبر وشكر، بل كان يفخر أمام سيده علي عليهما السلام بالمصير الذي يتنتظره، فقد قال علوي عليهما السلام حين أخبره بقوله: كيف لي بك إذا دُعيت إلى البراءة مني، فما عساك أن تقول؟ فقال: والله، يا أمير المؤمنين لو قطعت بالسيف إرباً إرباً وأضرم لي النار وأقيمت فيها لاثرت ذلك على البراءة منك. فقال علوي عليهما السلام: وفقت لكل خير يا حجر، جراك الله خيراً عن أهل بيتك.<sup>٢</sup>

ومثل حجر كمبل بن زياد النخعي الذي كان من صحابة علي عليهما السلام وخاصته، بل من أعظم أصحاب أمير المؤمنين عليهما السلام وخواصه وأصحاب سره، وتعلم التصحية والنفاذاني والإشار من سيد الفكر الشيعي وأستاذه ووليه علي عليهما السلام، فيروى أن الحاجاج لما طلب كمبل وفاته حرّم قومه عطاءهم، فلما علم كمبل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفذ عمري، ولا ينبغي أن أحرم قوماً عطاءهم، فخرج فدفع بيده إلى الحاجاج، فلما رأه الحاجاج قال له: لقد كنت أحب أن أجده عليك سيلان، ووضع السيف في رقبته ليمنحه وسام الشهادة،

١- الاختصاص ١٤، ونحو هذا الخبر في وقعة حسمين ٤٨٢. ومثل هذه الأخبار تعكس صلاية وقرة هذه الطبقة من الشيعة.

٢- بحار الأنوار ٤٢: ٢٩٠

ويرتفع رأسه المقطوع على هامة الزمن ناطقاً عن حركة وحزب علويٍّ صادق  
في مسيرته وهادف في حركته.<sup>١</sup>

---

١- ينظر: إرشاد الشيخ المفيد ١٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ١٤٩.

## أثر الثورة الحسينية في الانعطاف السياسي للشيعة

وهناك من يعتقد بأن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي بلور الحركة والكتلة السياسية للشيعة في التاريخ السياسي للمسلمين، فيقول: لم يأخذ حزب الشيعة صفتة السياسية وبداً مبادئه في شؤون الخلافة إلا بعد مقتل الحسين عليه السلام. حقيقة أن الشيعة التفوا حول آل البيت بعد مقتل علي عليه السلام، ولم يصرفهم عنهم انتقال الخلافة إلى معاوية، وتنازل الحسن عليه السلام، فقد التفوا حول الحسن عليه السلام بعد انتقاله إلى المدينة. وأقبل عليه ذات يوم وفد من أشراف أهل الكوفة، فقال متكلّمهم سليمان بن صرد الخزاعي: إن تعجبنا لا ينقضى من بيتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك صلة في العهد ولا حظاً من القضية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت، وأعطيتك ما أعطيتك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليه بذلك كتاباً، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب، إن هذا الأمر لك من بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطيتك هذا فرضيت به من قوله، ثم قال، وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت، إني كنت شرطت لقوم شروطاً

ووعدتهم عِدَاتٍ وَمَنِّيْتُهُمْ أَمَانِيْ، إِرَادَةً إِطْفَاءَ نَارِ الْحَرْبِ وَمَدَارَةً لِهَذِهِ الْفَتْنَةِ، فَأَمَّا إِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَنَا كَلْمَتَنَا وَإِلْفَتَنَا، فَإِنَّ كُلَّ مَا هَنالِكَ تَحْتَ قَدْمَيِّ هَاتِيْنِ. وَوَاللَّهِ مَا عَنِي بِذَلِكَ إِلَّا نَقْضٌ مَا بَيْنِكَ وَبَيْنِهِ، فَإِنْ شَئْتَ فَأَعْدِ الْحَرْبَ جَذْعَةً، وَأَدْنِ لِي أَشْخَصًا إِلَى الْكَوْفَةِ فَأَخْرُجَ عَامِلَهُ مِنْهَا وَأَظْهِرَ فِيهَا خَلْعَهُ، وَأَبْنِدَ إِلَيْهِ عَلَى سَوَاءِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كِيدَ الْخَائِنِينَ. وَقَالَ الْآخَرُونَ مَا قَالَ بِهِ سَلِيمَانُ بْنُ صُرْدَ، فَهُمْ إِذْنَ قَدْ قَدَمُوا إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام بِالْمَدِينَةِ لِيَعْتَبُوهُ عَلَى أَنْ جَنَحَ إِلَى السَّلْمِ رَغْمَ مَا كَانَ عَنْهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَدْدِ، لَأَنَّهُ حِينَ أَمْضَى الصَّلْحَ لَمْ يَأْخُذْ لِنَفْسِهِ شَرْطًا بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ يَشَهِدُ عَلَيْهِ وَجْهُ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ، ثُمَّ لِيَنْبُؤُوهُ بِأَنَّ مَعَاوِيَةَ قَدْ نَقْضَ الْصَّلْحَ وَأَعْلَمَ نَقْضَهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، ثُمَّ لِيَطْلُبُوهُ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعِيدَ الْحَرْبَ، وَأَنْ يَأْذِنَ لَهُمْ فِي أَنْ يَسْبِقُوهُ إِلَى الْكَوْفَةِ فَيَعْلَمُنَا خَلْعَ مَعَاوِيَةَ وَيَخْرُجُوا عَامِلَهُ، وَيَقْدِمُ عَلَيْهِمْ الْحَسَنُ عليه السلام بَعْدَ ذَلِكَ فَيَنْبَذِلُ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى سَوَاءِ.

وَقَدْ رَدَ عَلَيْهِمِ الْإِمَامُ الْحَسَنُ عليه السلام فَقَالَ: أَنْتُمْ شَيْعَتِنَا وَأَهْلِ مَوْدَتِنَا وَمَنْ نَعْرِفُهُ بِالنَّصِيحَةِ وَالصَّحَّةِ وَالْاسْتِقَامَةِ لَنَا، وَقَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتُمْ، وَلَوْ كُنْتُ بِالْحَزْمِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَلِلَّدِنْيَا أَعْمَلْ وَأَنْصَبْ، مَا كَانَ مَعَاوِيَةَ أَبَاسَ مِنِّي بِأَسَأْ وَأَشَدَّ شَكِيمَةً، وَلَكِنْ رَأَيْتِي غَيْرَ مَا رَأَيْتُمْ، وَلَكِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ أَنِّي لَمْ أَرِدْ بِمَا رَأَيْتُمْ إِلَّا حَقْنَ دَمَائِكُمْ، وَإِصْلَاحَ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْضُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَسَلِّمُوا الْأَمْرُ لِلَّهِ، وَالزَّمُوا بِيَوْتِكُمْ وَكَفُوا أَيْدِيكُمْ حَتَّى يَسْتَرِيعَ بَرًّا أَوْ يَسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.. فَلَيَكُنْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ جَلْسًا مِنْ أَحْلَاسٍ بَيْتِهِ مَادَامَ مَعَاوِيَةَ حَيَاً، فَإِنْ يَهْلِكَ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَحْيَاءٌ، سَأْلُنَا العَزِيمَةَ عَلَى رَشْدِنَا وَالْمَعْوَنَةَ عَلَى أَمْرِنَا. فَالْحَسَنُ عليه السلام يَسْتَمْسِكُ بِهِمْ كَمَا اسْتَمْسِكُوا بِهِ. وَيَعْلَمُهُمْ أَنَّهُمْ شَيْعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَذُووِّ مَوْدَتِهِمْ، وَإِذْنَ فَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيَأْتِمُرُوا بِأَمْرِهِ، وَيَكُونُوا

عندما يريد منهم، ثمَّ يبيِّن لهم أنَّه لم يصالح معاوِيَة عن عجز، ولو أراد الحرب لما كان معاوِيَة أشدَّ منه قوَّةً عليها، وإنَّما أراد حقن دمائهم، وعليهم أن يرضاوا ويكتفُوا أيديهم انتظاراً للوقت المناسب، حيث يستريح الأبرار من أهل الحق، ويريح الله من الفجئات أهل الباطل. وكأنَّما يعرض لهم أنَّ الأمور في الكوفة لم تكن على سواء، ففي الوقت الذي كان فيه المخلصون يجاهدون في عزيمة، كان هناك المدخولون يتبطرون ويستبون الفشل، ثمَّ هو بهمَّتهم للحرب حين يأتي أوانها، ويأمرُهم بالسلم المؤقت، وعسى أن يريح الله من معاوِيَة فستقبل الأمة أمرها على ما يحبُّون. ولكنْ: هل يُعدُ اللقاء بين الإمام الحسن عليه السلام وأهل الكوفة تنظيماً لحزب سياسي أصبح الحسن عليه السلام له رئيساً؟ وقد قابلَ أهل الكوفة الحسين عليه السلام كذلك وأخبروه بحديثهم مع الحسن عليه السلام، فأقرَّ نفس ما اختطَّ أخوه الحسن عليه السلام من سياسة لهم، وعلى هذا وضع للحزب سياسي، وهي الانتظار في سلامٍ ودعةٍ حتى يحين الوقت فيثروا الحرب على المغتصبين، وعلى ذلك جعل الشيعة في الكوفة يراقبون ويسلِّجلون على معاوِيَة وولاته ما يتتجاوزون من حدود العدل والحق ويستظرونه الوقت الذي يأمرُهم فيه الإمام بالخروج<sup>١</sup>. ولكنَّ الأمر بالخروج لم يصدر من قبل الأئمَّة عليهم السلام لشيعتهم ذلك الحين، بل كانوا يوصونهم بالسكون والصبر وانتظار أمر الله، ففي حديث عن الصادق عليه السلام قال لبعض أصحابه: كُفُوا ألسنتكم والزموا بيوتكم، فإنه لا يصيِّبكم أمرٌ تخَصُّون به أبداً، ولا يصيِّب العامة، ولا تزال الرِّيْدَيَّة وقاً لكم أبداً.<sup>٢</sup>

١- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني الهجري ٤٠٢ - ٤٠٥.

وينظر: الأخبار الطوال للدينوري ٢٢٠.

٢- بحار الأنوار ٥٢: ١٣٩.

وكان الإمام الباقر عليه السلام يقول لأصحابه: اسكنوا ما سكنت السماوات والأرض، أي لا تخرجوا على أحد، فإن أمركم ليس به خفاء، ألا إنها آية من الله عز وجل ليست من الناس، ألا إنها أضواؤ من الشمس لا يخفى على بَرْ ولا فاجر، أتعرفون الصبح؟! فإنه كالصبح ليس به خفاء.<sup>١</sup> وكانت عليه السلام يلمح إلى دولة العدل الإلهي التي يقيمها الإمام المهدى عليه السلام.

وجاء في خبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز وجل من العباد عملاً إلا به؟ فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، والإقرار بما أمر الله والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا.. والورع والاجتهاد، والطمأنينة والانتظار للقائم. ثم قال: إنَّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء. ثم قال: مَن سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فليتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو متضرر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة<sup>٢</sup> ومجمل الأخبار عنهم عليه السلام تدعوا إلى التريث والصبر والمواعدة إلى حين موقوت، لا يخضع هذا الأمر الذي تراه العامة إلى حساباتهم ورؤيتهم السياسية، بل إلى تقدير رباني. ومن ذلك ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله: كل رأية تُرفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله عز وجل.<sup>٣</sup> ومن هذا الخبر نفهم بأنَّ توجه العامة نحو جهة أو جماعة خارج منظومة الإمامة النصية، أو خارج مفهوم الجماعة باصطلاح آخرين لا يقبل.

١- بحار الأنوار ٥٢: ١٣٩.

٢- المصدر نفسه ٥٢: ١٤٠.

٣ المصدر نفسه ٥٢: ١٤٣.

وعلى العموم: ضبط النفس والصبر السياسي والحكمة السياسية، والذي عبر عنه الأئمة عليهم السلام بمفهوم انتظار الفرج، كان يعني دراسة وفهم عموم الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية، أو عدم القيام بأمر اتحاري فيه تهور وعجلة لا يأتي بفائدة أو ثمر لهم؛ لأنَّ دولتهم المتضررة تأتي في آخر الرمان البشري، وبه تُختَم الخلافة على الأرض.

وبناءً على هذا كانت وصاياتهم عليهم السلام تنصب في هذا الاتجاه، ومن ذلك يفهم وصيَّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لشيعته وأنصاره: يا معاشر الشيعة، لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألهوا الله إبعاده، وإن كان جائراً فاسألهوا الله إصلاحه؛ فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحببوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم.<sup>١</sup> ومن هنا كانت توجيهات الأئمة عليهم السلام وعلماء الدين الشيعة توصي بالسکينة وعدم القيام بما يخل بأمن المجتمع والدولة؛ لأنَّ الدولة الموعودة لم يتحقق وقتها بعد، ومحاولة استعجال الأمور واستباقها لا تصب في مصلحة الشيعة. والثورة الشرعية الوحيدة التي كانت هي ثورة الحسين عليهما السلام؛ لأنَّها كانت بقيادة إمام كامل مسدداً لا يزلي ولا يحركه هوى النفس، وإنما كانت خطواته تهدف إلى رضى الله وإحياء السنة النبوية التي جاء بها جلد النبي صلوات الله عليه وسلم. وما حصل من حركات وانتفاضات في تاريخ الشيعة لم تكن تحظى برضى الإمام المعصوم أو بتأييده فليست بشيء، لأنَّ هذه الحركات لا تشخّذ عنوان الجهاد الذي يقول به الشيعة، أو أنها لم تكن واضحة الأهداف والمعلم. وإذا كانت هناك مظلمة في تاريخ المسلمين جرت على آل البيت عليهم السلام وعلى شيعتهم من

## **أثر الثورة الحسينية في الانعطاف السياسي للشيعة □ ٧٣**

بعدهم، فإنَّ الأئمَّة المعصومين عليهم السلام، ومن بعدهم فقهاء وعلماء الدين الإمامية كانوا يحرصون على دماء الشيعة ويضيّقون بها من أن تُراق وتُهدر بلا مسوغ، أو أن يجر ذلك إلى فوضى واضطراب يزيل أمن الدولة والأمة.

## الشيعة وأمال السلطة

مع ما كان من توصيات وأحاديث تدعو إلى الانتظار والصبر، كانت آمال الأئمة المعصومين عليهم السلام وصحابتهم وشيعتهم الأوائل هو الوصول إلى حكومة إسلامية عادلة تستند إلى الإمامة الإلهية تقيم أحكام الكتاب، وتعمل بالسنة النبوية التي جاء بها جدهم محمد صلوات الله عليه وآله وسالم. ولكنَّ الزمن لم يتحقق هذا الأمل؛ لعدم توفر الظروف والمناخات المساعدة، وعدم وجود قواعد وجماهير كافية وواعية لكي تنهض بهذا الدور أو تمهد له، وكذلك تفاقم الاضطهاد والضغوط السياسية المتعاقبة، على مر العصور والأزمانة على أتباع الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ومن يقول بمقالاتهم، لذا كانت الآمال معلقة أو غائبة أو مؤجلة بالإكراه، أو لم يتحقق وقتها بعد. ومع كلَّ هذا وذاك لم يعترف الأئمة عليهم السلام يوماً بشرعية الحكومات المعاصرة لهم، أمورة كانت أم عباسيَّة؛ لبعدها عن المنهج الإسلامي الأصيل في الحكم، وانحرافها روحياً وسلوكياً عن أبسط قواعد العدل الإنساني وأنظمته، فالقتل والتشريد ومصادرة الأموال وانتهاك الحرمات لا تخضع عند هذه السلطات لحساب شرعي، ولا تمثل هذه الممارسات الجائرة لديها خروجاً على مبادئ الإيمان والعدل ما دام في ذلك إرساء

لدعائِم الحكم وتشييـت لأـسـهـ.

وـما من إنسـان يـشعر بـمسـؤـليـته الرـسـالـية إـلا ويـحاـول ما أـمـكـنه الـابـتعـاد عنـ المـشارـكة فيـ تحـمـل أـعـبـاءـ الحـكـمـ وـتصـرـيفـ شـؤـونـهـ، لأنـ ذـلـكـ يـعـتـبرـ بمـثـابةـ إـقـرـارـ لـشـرـعيـتـهـ، وـاعـتـرـافـ بـحـقـيقـتـهـ. وـلـكـنـ هـنـاكـ مـنـ وـجـدـ مـنـ الأـسـبـابـ وـالـظـرـوفـ الـإـيجـابـيـةـ الـتـيـ تـسـاعـدـ الـمـؤـمـنـينـ أوـ تـبـرـرـ لـهـمـ مـشـارـكـةـ الـظـالـمـينـ فـيـ سـلـطـانـهـمـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ أـغـرـاضـ إـنـسـانـيـةـ، وـرـبـمـاـ تـقوـيـ المـذـهـبـ أوـ تـمـنـعـهـ مـنـ التـهـاوـيـ، أوـ تـخـفـفـ عـنـهـ بـعـضـ الـمـتـاعـبـ، فـهـنـاـ جـاءـ قـوـلـ الـبعـضـ: لوـ كـانـ الـهـدـفـ مـنـ الـمـشـارـكـةـ، دـفـعـ مـاـ يـمـكـنـ دـفـعـهـ مـنـ الـمـظـلـمـاتـ وـالـتـعـدـيـاتـ الـجـائـرـةـ التـيـ رـبـمـاـ يـتـعـرـضـ لـهـاـ الـأـبـرـيـاءـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ، وـالـتـخـفـيفـ مـنـ حـلـةـ الـتـجـاـزوـاتـ الـأـخـلـاقـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ الـخـطـيرـةـ الـتـيـ تـبـتـعـدـ بـالـأـمـةـ عـنـ الـوـاقـعـ الـمـثـالـيـ لـرـسـالـتـهـ. وـإـذـاـ كـانـ الـهـدـفـ هوـ ذـلـكـ، فـإـنـ الـمـشـارـكـةـ رـبـمـاـ تـكـوـنـ ضـرـورـةـ إـيمـانـيـةـ مـلـحـةـ، وـعـلـىـ هـذـاـ الـأـسـاسـ كـانـ الـأـمـةـ لـمـ يـقـرـرـونـ لـأـحـدـ مـنـ أـتـبـاعـهـمـ توـظـيفـ نـفـسـهـ فـيـ خـدـمـةـ مـصـالـحـ الـحـكـمـ؛ لأنـ فـيـ ذـلـكـ إـعـانـةـ عـلـىـ الـظـلـمـ وـتـقـويـةـ لـمـوـقـعـهـ، إـلاـ أنـ يـكـوـنـ فـيـ ذـلـكـ مـصـلـحـةـ دـيـنـيـةـ، فـإـنـهـمـ كـانـواـ يـقـرـرـونـ بـعـضـ النـافـذـيـنـ مـنـ أـصـحـابـهـمـ عـلـىـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ الـحـكـمـ، وـتوـظـيفـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ جـهاـزـ الـدـوـلـةـ، كـماـ حـدـثـ لـعـلـيـ بنـ يـقطـنـ الـذـيـ حـاـوـلـ الـاستـغـفـاءـ مـنـ مـنـصـبـهـ مـرـاـراـ لـدـىـ هـارـونـ الرـشـيدـ، وـلـكـنـ الـإـمـامـ مـوـسـىـ بنـ جـعـفـرـ عـلـىـ ذـلـكـ كـانـ يـحـثـهـ عـلـىـ الـبقاءـ فـيـ مـوـقـعـهـ، لـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ دـفـعـ لـبـعـضـ الـظـلـامـاتـ عـنـ كـثـيرـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ، وـإـصـلاحـ مـاـ يـمـكـنـ إـصـلاحـهـ مـنـ الـمـفـاسـدـ الـتـيـ يـرـتـكـبـهـاـ الـآخـرـونـ<sup>١</sup>.

وـلـمـ يـكـنـ سـكـوتـ الـأـمـةـ عـلـىـ اـسـتـمـرـارـ قـيـامـ الـدـوـلـتـيـنـ الـأـمـوـيـةـ وـالـعـبـاسـيـةـ

<sup>١</sup> - يـنـظـرـ: الـإـمـامـ الرـضـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ، تـارـيـخـ وـدـرـاسـةـ .٦٢

## ٧٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

يعني إعطاءهما شرعية وحجّة في الاستمرار والتشبّث بالسلطة والحكم، لكن لم يكن بميسور الإمام المعصوم، أو لم يكن يتهيأ له الرجال والعدة الكافية، أو لم يكن له الظرف المناسب والمساعد لكي يقول قوله وي فعل فعلته. وكما لم تساعد الأوضاع والرجال الإمام على عليهما السلام في محنته السياسية الأولى، كذلك جرى لنزريته المعصومين عليهما السلام، حيث لم يجدوا الظروف المناسبة للخروج على السلطة الجائرة وإياحتها من موقعها الذي أخذته بالسيف والرمح، ولكن الحكم وال بصيرة التي كان عليها الأئمة المعصومون عليهما السلام جعلتهم يحجّمون عن أسلوب المواجهة المسلحّة بالسيف والرمح، فهم عليهما السلام وإن لم يشهروا السلاح - لم يغلّقوا أبوابهم، بل نجّد سيرتهم مليئة بالنشاط القيادي حتى في أصعب الحالات وأقسى المواقف والظروف، وأكثرها حساسية، كما في حالة الأسر التي مرّ بها الإمام السجاد عليهما السلام، وحالة السجن التي مرّ بها الإمام الكاظم عليهما السلام، فإنّهم لم ينقطعوا فيها عن أداء دورهم المتاح لهم. هذا بغضّ النظر عن عملهم الدّؤوب في إرشاد الناس وهدايتهم إلى الحقّ في أصول العقائد، ومن ذلك إعلان إمامية أنفسهم، وتعريفهم بالحقّ والصحيح من فروع الأحكام وعلم الشريعة، وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة، وتعليمهم سنن الحياة الحرة الكريمة، هذا العمل الذي هو الهدف لكلّ الأنبياء في رسالاتهم، ولكلّ المصلحين في نضالهم، وهو من أميز وظائف الأئمة وأبرز واجبات الإمامة. والظالمون من الحكام غير الإلهيين يقفون أمام مثل هذا العمل، ويعدّونه تحدياً لسلطانهم ومتافياً لمصالحهم، وبناء على ذلك: فالقائم به يكون معارضًا سياسياً خارجاً عليهم ولو بغير سيف.

وإصرار الأئمة من أهل البيت عليهما السلام على هذا العمل، إلى جانب من كان يقوم من ذوي قرباه بنشاط مسلح، يدلّ على أنَّ الجهاد في هذا المجال له

من الأهمية والأثر في الوصول إلى الأهداف المنشودة من الإمامة، ما يوازي الحاصل من الجهاد المسلّح، على أقل الاحتمالات. ويمكن التأكّد من ذلك من خلال الممارسات العنيفة للحكّام الظالمين تجاه أولئك الأئمّة الذين لم يحملوا السلاح، بنفس الشكل الذي واجهوا به المجاهدين المسلحين.

فعمليّات المراقبة والمطاردة والجلب إلى مراكز القوّة والجند وعواصم الحكّم، بل السجن والتهديد والضغط على بعض الأئمّة الأثني عشر، من الأمور التي كانت قائمة ومستمرة، على الرغم من عدم مذكوريتهم إلى الأسلحة الحديديّة. إن ذلك يدلّ بوضوح على أنّ الحكّام عرّفوا أنّ هؤلاء الأئمّة <sup>لهمّا</sup> يحاربونهم بأسلحتهم من السيف<sup>١</sup>، فانبرأوا للاحتجتهم والتضييق عليهم وعلى صحابتهم وشيعتهم ومن اتّصل بهم، ظنّاً منهم أنّهم قد يتمكّنون من إبطال دعواتهم وإيقاف امتدادهم وامتداد أفكارهم في الأمة، وربما كانوا يخافون حتى من التأثير على مواليهم وأعوانهم، فلذلك كان الحكّام العباسيون يراقبون وزراءهم وخدمتهم؛ خشية تأثيرهم بالثقافة الإمامية القوية التي كانت تفتح قصورهم وبيوتهم، كما كان يجري مع علي بن يقطين الذي وزرَ للرشيد فارتّاب فيه.<sup>٢</sup>

١- ينظر: *جهاد الإمام السجّاح* <sup>لهمّا</sup> ٢١.

٢- روى الشّيخ المفيد أنّ ابن يقطين كتب للإمام الكاظم <sup>عليه السلام</sup> يسألـه عن الـوضـوء، فـأمرـه بـيـقـاعـه الـوضـوء عـلـى فـتوـيـ أـهـلـ السـنـةـ. وـكانـ ابنـ يـقطـينـ يـخلـوـ إـلـىـ حـجـرةـ فـيـ الدـارـ لـوـضـوءـ وـصـلـاتـهـ. فـلـمـ دـخـلـ وـقـتـ الصـلـاةـ وـقـفـ الرـشـيدـ مـنـ وـرـاءـ الحـائـطـ بـحـيـثـ يـرىـ ابنـ يـقطـينـ وـلـايـرـاهـ هوـ، فـدـعـيـ عـلـيـ بـالـمـاءـ لـلـوضـوءـ قـمـضـمـضـ ثـلـاثـاـ وـاستـشـقـ ثـلـاثـاـ وـغـسـلـ وـجـهـ ثـلـاثـاـ وـخـلـلـ شـعـرـ لـحـيـهـ وـغـسـلـ يـدـيهـ إـلـىـ الـمـرـفـقـينـ ثـلـاثـاـ وـمـسـحـ رـأـسـهـ وـأـذـنـيـهـ وـغـسـلـ رـجـلـيـهـ ثـلـاثـاـ، وـالـرـشـيدـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ. فـلـمـ رـآـهـ قـدـ فعلـ ذـلـكـ لـمـ يـمـلـكـ نـفـسـهـ حتـىـ أـشـرـفـ عـلـيـهـ مـنـ حـيـثـ يـرـاهـ، ثـمـ نـادـاهـ كـذـبـ

وكانَ لِدِيَ الْأَئمَّةَ عليهم السلام الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسْلَحَةِ الَّتِي تَقْوَضُ عَرْوَشَ الْكُفَّرِ  
وَالظُّلْمِ وَالْإِنْحَرَافِ وَالْفَسَادِ، وَهُوَ الْإِعْدَادُ التَّرْبِيَّيُّ لِلصَّاحَبَةِ وَالْإِرْفَاعِ بَعْدِهِ إِلَى  
مَصَافِ الْأَنْمُوذِجِ وَالْمَثَالِ، يَقُولُ الْكَاتِبُ مُحَمَّدُ عَلَيْهِ التَّسْخِيرِيُّ: إِنَّ قِيَامَ الْأَئمَّةِ  
فِي الْمَجَالِ التَّرْبِيَّيِّ بِتَرْبِيَّةِ فَتَّةٍ وَاعِيَّةٍ مِنَ الْأَصْحَابِ، وَمِنْهُمَا ذَلِكُ الرَّخْمَ  
التَّرْبِيَّيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ وَالْعِلْمِيُّ، لَمْ يَكُنْ لِيْعْنِي مَوْقِعًا سَلِيبًا مِنَ الْحُكْمِ وَتَطْوِيرَاتِ  
الْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ، بَلْ إِنَّهُ - عَلَى العِكْسِ - كَانَ يَعْنِي مَحَاوِلَةً خَلْقِ الْقَاعِدَةِ  
الَّتِي سِينَطَلُقُ مِنْهَا الْإِصْلَاحُ، وَالَّتِي سِتَّنَبَتْ بَيْنَ الْأَمَّةِ مُؤَجِّجَةً حَمَاسَهَا وَمُجَمَّعَةً  
قَوَاهَا، لِتَبْتَ وَجُودَهَا الْمَحَاسِبُ الْمَرَاقِبُ لِتَحرُّكِ الْإِنْحَرَافِ، وَلِتَنْبَثَ بَيْنَ الْأَمَّةِ  
فَتَحْفَاظُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِنْحَرَافِ الْمُتَزَادِ نَحْوَ خَطَّ الْصَّمْعِ الْمَادِيِّ أَوِ الشَّهْوَانِيِّ،  
الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْبَابِ اِنْتَشَارِهِ كُونُ الْحَاكِمِ مُبْتَلِيًّا بِهَذَا الْإِنْحَرَافِ، أَوْ لِتَقُومُ  
بِمُهِمَّةِ فَضْحِ الْمُتَلَاعِبِينَ وَالْمُتَسْتَرِّينَ بِسْتَارِ الْعِلْمِ أَوِ التَّقْوِيَّيِّ الْعَامِلِيَّنَ عَلَى  
تَقْوِيْضِ أَسْسِ الْمَجَمِعِ الْإِسْلَامِيِّ<sup>١</sup>؛ وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَسْلَحَةُ وَالْأَسْلَابُ تَعمَّقُ  
وَتَؤَكِّدُ الْمَنْهَجُ النَّبِيُّ الْأَصِيلُ الَّذِي يَضْمِنُ لِلْأَمَّةِ السِّيرَ بِاتِّجَاهِ الطَّرِيقِ الْمُوَصَّلِ  
إِلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ صلوات الله عليه وسلم وَالْوَصِيُّ عَلَيْهِ عليه السلام، وَسَارَ  
عَلَيْهِ الْأَئمَّةُ عليهم السلام مِنْ بَعْدِهِمَا، وَدَلَّوْا النَّاسَ عَلَيْهِ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى السِّيرِ فِيهِ  
لِتَكَامِلِ بَهْ دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ.

ياعلي بن يقطين من زعم أنك من الزراضاة. الإرشاد ٢٩٥. وكذلك روى داود بن زربي فقال:  
سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الوضوء، فقال لي: توضأ ثلاثاً ثم قال: أليس تشهد بغداد  
وعساكرهم؟ قلت: بلى. قال: فكنت يوماً أتوضأ في دار المهدى - الخليفة العباسى - فرأى  
بعضهم وأنا لا أعلم، فقال: كذب من زعم أنك فلانى وأنت توضأ هذا الوضوء! قال داود:  
فقدت: لهذا - والله - أمرني. تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ١: ٨٢

من هذا ما روى الصدوق عن الحسن العسكري رض في تعريف هذا الصراط بالمفهوم الإمامي الصحيح والثقافة الإسلامية الحقيقة، فقال عليه السلام:

**الصراط المستقيم صراطان: صراط في الدنيا، وصراط، في الآخرة، وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة.** وروى الصدوق أيضاً عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى:

**﴿إِهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾،** فقال عليه السلام: أرشدنا إلى الصراط المستقيم، أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتكم، والمبلغ إلى دينك، والمانع من أن تتبع أهواءنا فنعطي، أو نأخذ بأرائنا فنهلك. ثم قال عليه السلام: فإن من أتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه، فأحببته لقاءه، من حيث لا يعرفي، لأنظر مقداره ومحله، فرأيته قد أحدق به خلق من غثاء العامة، فوقفت متندداً عنهم متغشياً بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقر، فتفرقوا العوام عنه لحوائجهم، وتبعته أقتفي أثره، فلم يلبث أن مر بخبار فتعجله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان، فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذا إلى المسارقة؟! ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمرتضى فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى. وتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء، فقلت له: يا عبد الله، لقد سمعت بك وأحببتك لقاءك فلقيتك، ولكنني رأيت منك ما شغل قلبي! وإنني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي. قال: وما هو؟ قلت: رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين، ثم

■ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون ٨٠

بصاحب الرمان وسرقت منه رمانتين! فقال لي: قبل كل شيء، حدثني من أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: أين بذلك؟ قلت: المدينة. قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - صلوات الله عليهم - قلت: بلى، فقال لي: فما يفعلك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به، وتركك علم جدك وأبيك لثلا تنكر ما يجب أن يحتمد ويمدح عليه فاعله! قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله. قلت: وما الذي جهلت منه؟ قال: قول الله عز وجل فَمَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُعْذَرُ إِلَّا مِثْلَهَا <sup>١</sup>، وإنني لما سرقت الرغيفين كانت سبعين، ولما سرقت الرمانتين كانت سبعين، فهذه أربع سباتات، فلما تصدقت بكل واحد منها كان لي بها أربعين حسنة، فانتقص من أربعين حسنة، أربع بأربع سباتات، بقي لي ست وثلاثون حسنة. قلت: ثكلتك أمك! أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت أنه عز وجل يقول إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ <sup>٢</sup> إنك لما سرقت رغيفين كانت سبعين، ولما سرقت الرمانتين كانت أيضا سبعين، ولم دفعتهما إلى غير صاحبها بغير أمر صاحبها كنت إنما أضفت أربع سباتات إلى أربع سباتات ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سباتات، فيجعل يلاحظني فانصرفت وتركته. قال الصادق عليه السلام: بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضللون ويضللون، وهذا نحو تأويل معاوية لما قتل عمّار بن ياسر عليه السلام فارتعدت فرائص خلق كثير وقالوا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عمّار تقتلته الفتنة الباغية. فدخل عمرو بن العاص على معاوية وقال: يا أمير المؤمنين، قد هاج الناس واضطربوا. قال: لماذا؟ قال: قُتل عمّار، فقال معاوية: قُتل عمّار، فماذا؟

١- الأئمَّة: ١٦٠

٢- المائدَة: ٣٧

قال عمرو: أليس قد قال رسول الله ﷺ: عمار تقتله الفئة الbagyie! فقال معاوية: دحضرت في قولك، أتحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا! فاتصل ذلك بعلي عليه السلام فقال: إذا رسول الله هو الذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين! ثم قال الصادق عليه السلام: طوبى للذين هم كما قال رسول الله عليه السلام: يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتفال المبطلين، وتأويل الجاهلين.<sup>١</sup>

وحركة الإمام الصادق عليه السلام في هذه الصورة تعكس لنا الدور الذي كان يمارسه الأئمة المعصومون عليهم السلام في حياتهم لتصحيح المسار الديني، وكذلك تقويم وتسليد حركة مجمل الوجود البشري وتوجيهه الوجهة التي أرادها الله لعباده والدفع بهم باتجاه السداد والصلاح والاستقامة، كل ذلك بأسلوب تربوي وتعليمي رائع، وبذلك تنهيأ الأرضية الصالحة لإقامة الحكومة الإسلامية وتحقيق الوعد الرباني في الاستخلاف للصالحين من عباده؛ لأن تسلم سلطة ووضعها بيد صالحين لا يؤثر وحده في إرساء الحكومة الدينية العادلة ما لم تكن هناك أرضية وأمة وقواعد صالحة تستجيب وتفاعل مع قيادتها الصالحة. ومن هنا انطلقت الدعوة والميسرة التربوية والمناهج الهدافـة التي كان يرعاها الأئمة المعصومون عليهم السلام وسار عليها تلامذتهم وأصحابهم في مختلف العصور وأدوار التاريخ، فالإمامـة ترى نفسها بأعلامها فاعلة ومؤثرة في متابعة ما يجري في هذه المعمورة، لما أنيط بها من مسؤوليات عديدة وأدوار ترشحت من الأحاديث والروايات الواردة عن النبي عليه السلام والأئمة المعصومـين عليهم السلام، ذكر العلماء والباحثـون منها هذه النقاط: ١ - حفظ الحياة الإنسانية، لما ورد في

---

١- معانـي الأخـبار ٣٤، باب معنى الصرـاط.

٨٢ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

شأن الإمامة وأهل البيت عليهم السلام من أنهم أمان لأهل الأرض، وأن الأرض بدون الإمامة والحجّة تسود بأهلها. ٢- قيادة التجربة والحكم الإسلامي وولاية الأمر. ٣- المرجعية الدينية والفكيرية للمسلمين. ٤- المحافظة على وجود الشريعة الإسلامية فاعلة ومؤثرة في حياة الناس، وكذلك بقاء أصل الرسالة محفوظاً ومنزهاً عن التحرير والتزوير. ٥- المحافظة على وجود الأمة الإسلامية ووحدتها وحيويتها. ٦- بناء الجماعة الصالحة للقيام بدور المساعد لأهل البيت عليهم السلام عند الغيبة، ولذلك فإنَّ موضوع بناء الجماعة يكون أحد الأدوار والأهداف التي استهدفها أهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية. ٧- تجسيد القدوة والأسوة في السلوك الإسلامي الراقي، وإيجاد المثال الخارجي للتكميل الإنساني الذي يمثل الهدف لوجود الإنسان.

<sup>١</sup>

---

١- ينظر: الإمام وأهل البيت عليهم السلام النظرية والاستدلال . ١٥

## جهاد العلم والمعرفة

عمل الأئمة المعصومون على ممارسة دور المعلم والهادي والمرشد للأمة التي ضاعت، أو كادت أن تضيع في ظلام الجهل والعصبية القبلية والثقافة الجاهلية التي كان المسلطون يسعون إلى إعادتها في جسم الأمة الإسلامية. ولم يكن ممارسة هذا الإرشاد والإصلاح والهداية أمراً ميسوراً لأن البيت وأصحابهم ومن اهتدى بهداهم؛ لأن العداوة والنيران القرشية المنطلقة من أركان البيت الأموي كانت حارقة ولاهبة في مواجهة المعارضين، وخصوصاً الذين يمثلون الإسلام الحقيقي الذين تصدوا لهداية الأمة وإصلاح أمورها، فلم يكدر ينطفئ لهبها طيلة الحكم الأموي الذي تسلط على رقاب المسلمين، فسعت السلطة الأموية لأن تحرق البيت الهاشمي الذي تموت فيه البدعة وتحيا فيه السنة، وتنطلق منه الثقافة الإسلامية الصادقة. وكانت السلطة الأموية تتمىء أن تحرق رموز البيت الهاشمي كما تحرق أوراق الهشيم، فتحيله إلى رذاذ من رماد تذوره الرياح. وكان العلويون من هذا البيت هم المرمى والغرض المباشر لهذه النيران، لأنهم كانوا يرون أن الخطر الحقيقي يكمن في وجود شخص مدير ومدير كامل في هذا البيت اصطلاح عليه الشيعة بالإمام

## ٨٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

المعصوم، ولا يعدو هذا المعصوم في البيت الهاشمي العمود العلوي الذي عنه النصّ النبوّي، وهم أدرى بذلك.

ومن هنا بدأت السلطة الأموية في تدبير مؤامرات القتل لمن يتقدّم للإمامية المنصوصة، فبدأت أول مؤامرة قتل وغدر بذرها عملاًؤها هي مؤامرة اغتيال الإمام الثاني الحسن بن علي عليهما السلام، ثم أعدت العدة للتخلص من الإمام الوراث له، وهو الحسين بن علي عليهما السلام الذي كان يشكل عائقاً ومانعاً لتوسيع يزيد قيادة وزعامة الأمة الإسلامية التي خرجت من جاهليتها، فسواء شارك الحسين عليه السلام أولم يُثُرْ فهم مصممون على إزاحته وتصفيته ونكبه ومحوه من الوجود السياسي، لتخلو لهم الأجواء والظروف، وانتهت الصورة الخارجية للحسين عليه السلام بأعينهم في واقعة الطف المريمة كما أرادوا وأراد الجاهلون المتعنون بأمجاد الجahiliyah الأولى.

وهنا بدأت مرحلة جديدة للأئمة المعصومين سار بها الإمام علي بن الحسين السجادي عليه السلام بين محراب العبادة وبين محراب المدرسة والجامعة العلمية التي بذرها عليه السلام في مدينة جده المصطفى عليه السلام، لتكون نقطة انطلاق لمن بعده، فلربما كان خطابه عليه السلام يخلو من مضامين سياسية آنذاك لثلا ثثار وتترنّج آذان المحاكم الأموي فيغلق هذه المدرسة الهاادية للأئمة، أو يمنع روادها من الاختلاف إليها والتزوّد منها، فيروى عن سعيد بن المسيب أنه كان علي بن الحسين يعظ الناس ويزهدّهم في الدنيا ويرغّبهم في الآخرة بهذا الكلام في

١- يصف أبو نعيم الأصفهاني عبادة السجاد عليه السلام بقوله: زين العابدين ومنوار العانتين، كان عابداً وفيأً وجواباً حفيأً، وكان إذا فرغ من وضوئه للصلوة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفحة فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أجني؟! حلية الأولياء ٣

كل جمعة في مسجد الرسول ﷺ، وحفظ عنه وكتب، فكان يقول ﷺ: أيها الناس، أتقو الله وأعلموا أنكم إليه ترجعون فتجد كل نفس ما عملت في هذه الدنيا من خير محضراً وما عملت من سوء توة لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً. ثم قال: قال الله: ويحذركم الله نفسه... إلى آخر كلامه ﷺ. كانت خطاباته في الجمع وغيرها من المناسبات الدينية ت نحو هذا التحو، ومن هذا ندرك أن السجاد ﷺ لم يكن بعيداً عن الأمة أو منزواً عنها ومتقطعاً في محارب العبادة بمفرده، بل كان على صلة معها، فإن لم يكن يواجه الناس كل يوم فقد كان معهم كل أسبوع يربّهم ويعدهم لأن يكونوا من رجاله ومن منهجه في العقيدة والسلوك، لكنه ﷺ كان يمارس دوراً واعياً ومتفهمما لظروف المرحلة السياسية والدولة الأموية التي كانت تطارد الفكر الثوري والانقلابي للشيعة، لذا لم يستخدم أسلوب الكفاح المسلح أو الدعوة إلى الفكر السياسي الشائر الذي يدعو إلى إسقاط الدولة ونظام الحكم القائم آنذاك بشكل مباشر وعلني يثير سخط أجهزة السلطة ويجرّكها نحوه، بل آثر الأسلوب التوجيهي الوعظي، أو الوجه الآخر للثورة والانقلاب السلمي والمعرفي بأسلحة تبدو غير منظورة، أو أنها تؤتي ثمارها وأثراها ولو بعد حين. وإذا كان ﷺ في مظهره الخارجي مسالماً للدولة غير مخاصم لها، فهو لم يترك أو يتخلى عن الدور الأكبر له، وهو الإمامة التي هي أكبر وأعلى درجة من السلطة السياسية والنظام السياسي للدولة، ومن هذا المنطلق فإن الإمام السجاد ﷺ لم يغمد سلاحه أو يضعه جانبًا تاركاً الأمة وقدرها الذي خطط لها الأمويون، فلم يترك السجاد وكذلك أبناؤه ﷺ موقعهم في هذه الإمامة، وكأنها مؤسسة ساكنة مجردة من

أسلحتها، مسلوبة ضعيفة خاوية لا تتمكن من الدفاع عن نفسها، ولكنه وأولاده رضي الله عنهما كذلك كانوا يدركون أنَّ أسلحة قوية وفاعلة يسعى لأن يضعها بأيدي أصحابه وشيعته، ومن هذه الأسلحة التي كانت متاحة له وأولاده رضي الله عنهما هي سلاح العلم والمعرفة، فقد عمل الأئمة المعصومون رضي الله عنهما على إعداد أصناف وطبقات متعددة من العلماء والفقهاء والمفسّرين والمحدثين والمفكّرين الذين كانوا يؤسّسون القاعدة الفكرية لبنيّة الثقافة والمعرفة الرسالية، والتي تشكّل بمجموعها بنية الثقافة الإسلامية الأصيلة وأساسها التي أرادها محمد وعليه صلوات الله عليهما في إقامة الدولة الإسلامية العادلة.

وقد برزت ونمّت أعيان المعرفة والعلوم هذه في ظاهرة معرفية ضخمة بدأها الباقر رضي الله عنهما حين فتح بابه لأصحابه كي يتلقّوا علوم الرسالة ومعارفها ويتدربوا بها في مواجهة الانحراف والبدع التي بذرتها الدولة الأموية، فقد كانت لها برامج وسياسات تطال الثقافة الإسلامية وتحكم بها، لتضييق جبهة الحقّ وتضييعه في وسط المجموع الجاهله التي لا تستطيع أن تميز بين السنة والبدعة وبين الحقّ والباطل، فأطlocوا العنان لوعاظ البلاط في أن يمتدوا على ثقافة الدين وسننه وأدابه فمسخوها، وكانَ أرض الشام كانت مستعدة لقبول هذا المسمّح والانحراف. «ولقد كان في تسلّم معاوية لولاية الشام، وهي من أهم الولايات في الدولة الإسلامية، فرصة كبيرة للحزب الأموي لأنَّ يركّز وجوده ويبيّثُ أفكاره وأراءه، وأنَّ يبني له قوَّة عسكرية وقاعدة وأنصاراً تناسب المرحلة الجديدة».

ويظهر للباحث في تاريخ الدولة الأموية أنَّ الثقافة والمعرفة قد وقعت

١ قراءة في المسار الأموي ١١، من مقدمة الناشر.

تحت تأثير معاوية وحزبه، ومن هناك بدأت الدولة الأموية في ممارسة سياسة جاهلية، تناهى عن الأخلاق والمثل والأدب الإسلامية، وتدفع الناس إلى التخاصم القبلي والقومي والتهاون والتشاجر والتلاخي، وتضع أئمة الدين تحت نياض وألسنة العامة ينالون حظهم من الشتم والقدح مكافأة لهم على إخلاصهم لدينهم! وكان حظاً على <sup>هذا</sup> وأهل بيته من اللعن وافرًا، بحيث قامت الخطبة في كلّ مكان على المنابر بلعن أمير المؤمنين على <sup>هذا</sup> والبراءة منه والحقيقة فيه وفي أهل بيته<sup>١</sup>. كما أطللت العصبية القبلية الجاهلية من جديد بعد أن كانت نائمة وراقدة في عصور صدر الإسلام؛ لأنَّ <sup>هذا</sup> قاد حملة ضدّها وجاهدها ليرفعها من أذهان المسلمين وقلوبهم، فكان النبي <sup>صلوات الله عليه</sup> حازماً وجاداً في استئصالها، ويقول: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ عَصَبَيَّ بَعْثَةِ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَعْرَابِ الْجَاهِلِيَّةِ<sup>٢</sup>. فلم تعد كقوتها التي كانت عليها في جاهليتها الأولى، فأُوقِد سلاطين الحكم الأموي نار العصبية مرةً أخرى وجدّدوها بشعلة جديدة، إذ إنَّ بني أمية وجدوا في إثارة هذه العصبيات في بعض الأحوال كسباً سياسياً لدولتهم ودعمًا لسلطانهم؛ لأنَّ اشتغال القبائل بعضها ببعض واندفاعها في تيار الخصومات القبلية كان قميئاً بصرفها عن معارضه نظام الحكم الأموي، كما كان قميئاً بالحيلولة دون تكتل القبائل المعارضة لحكمهم وتوحيد صفوفها، فإذا افترقت كلمتها أصبحت عاجزة عن

<sup>١</sup> ينظر: بحار الأنوار ٣٣، ١٧٦. ويصف الكاتب عادل الأديب الانحراف الذي بدأ يتسرّب إلى مراكز التوجيه السياسي والاجتماعي حتى وثبتت التجربة الإسلامية الأصيلة واستبدل بها بحكم قبلي ورأى بدأ بتعطيل الحدود ومصادرة روحية الشريعة وتكدير صفاتها، وقد تحدّى ذلك بالحكم الأموي والعباسي. دور أئمة أهل البيت في الحياة السياسية ٣٤.

<sup>٢</sup>- أصول الكافي ٢: ٣٠٨ ح ٣٥

## ٨٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

أن تقف في جبهة موحدة أمام بنى أمية، وعن أن تحاول انتزاع السلطة من يدهم.

وظلت السلطة الأموية متمددة في غيّها وممارسة دورها في التحرير الثقافي، أو التجهيل والإضلal، والابتعاد والإبعاد عن المنابع الصافية الأصلية للشريعة الإسلامية التي كان يحملها صحبة النبي عليهما السلام والتابعون العدول وأآل البيت عليهما السلام الذين رباهم وعلّمهم البيت النبوى الذي نزل فيه الوحي والكتاب. ومن هنا كان الباقر عليهما السلام يرصد هذه الأوضاع الشادة، فانبأ بالدفاع عن الشريعة وحفظها من الانحراف والضياع. وكان دأب الإمام الباقر عليهما السلام لتبلیغ الرسالة وعمله لأداء الأمانة العلمية قد عطف عليه قلب الشعب المسلم، وجذب إليه العقول تلقائياً، وعاد التلقى منه والأخذ عنه قائماً على قدم وساق.. جمهور إثر جمهور، ورعيل تلو رعيل.. والصادق عليهما السلام يشارك هذا الزحف المقدس، وذلك النفر من الرجال تفقّهاً ودرایة ومعارفٌ، فقد كان الباقر عليهما السلام رمزاً للعلم والمعرفة والثقافة في زمانه، وما كانت تسميه بالباقر إلا لأنّه يقرّ العلم بقراراً، أي شَفَقاً وأظهراً إظهاراً<sup>١</sup>. لقد أعد الله الإمام محمد الباقر عليهما السلام لهذا الدور الذي سيفضلي به كإمام مكّلّف ومحظوظ في فترة عزّ الدولة الأموية وشموخها، فهذه الدولة الطاغية التي انهالت عليها أموال الأنصار وملوکها، وغنائم الفتوحات التي حقّقها مجاهدو المسلمين فسالت أودية الدنيا على ربّاعهم، وصبت في خزانة ملوکها عقود اللؤلؤ والعقيقان، فكانت الأموال التي كسبتها سواعد المقاتلين وسيوفهم تُصرف على مجالس

١ـ العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي .٢٥٥

٢ـ الإمام الصادق عليهما السلام زعيم مدرسة أهل البيت .١٨

٣ـ بحار الأنوار ٤٦: ٢٢١

اللهو والطرب والشرب، وحلقات الوعاظ الزائفين، وتنهال على القصاصن والمتغنين بأمجاد أميّة وأبي سفيان والحكَم بن أبي العاص طريد رسول الله ﷺ، مما ساعد على تنامي ونشوء طبقة من الأدباء والشعراء والعلماء المنحرفين والضالّين، وشروع الميوعة والتحلل الأخلاقي، وتفويت روح الانفلات والتحرر من الوازع الديني في أوساط العامة وجهاً لهم.

## **الدولة الأموية والهدم الثقافي**

كان للعوامل الدينية الأثر الكبير في استقرار الدولة الإسلامية واستمرار بقائها وتماسك أفرادها وانسدادهم لخلفائها وملوكها؛ لأنهم كانوا يرفعون شعارات الدين باسمه، ولكن لما شعر السلاطين أنَّ الدين والثقافات التي اتبعت من هذا الدين هي عامل تهديد لنزواتهم وشهواتهم الغير منضبطة أرخوا العنان للنيلاديني والإلحادي والماجن الذي تسرَّب إلى صفوف المجتمع ليخلخل ويضعف الحسَّ الديني الذي يمنع ويلجم حُكُمَ الدولة وعموم الناس من أن يطلقوا أيديهم في المتعة الحرام، وإن كان بعض الباحثين يعزُّو هذا الانحدار والتهافت إلى عصوربني العباس. والحقيقة أنَّ الدولة الأموية لم تكن أفضل من لا حقنها في ترفاها وانحلالها وانحدارها الأخلاقي، ومن هذا يقول الشیخ محمد الحضری: لبست الخلافة في عهد الدولة الأموية مظهر الملك وأبنته، واستشعرت سطوة الحكم وعظمته، فبعد أن كان الخلفاء السابقون للناس كافة، لا يمنعهم دون الخليفة حجاب، ولا يصدُّهم عنه باب، وجد في العهد الأموي الحجاب والمقاصير في المساجد الجامعة. وقد قال عبدالملك بن مروان في خطبته بعد قتل ابن

الزبير: ولا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه. وبعد أن كان الخليفة يختلط بالناس كأحدهم في الأسواق والمجامع يأمر وينهي، رأينا الوليد بن عبد الملك تصرف له الناس من المسجد النبوي حينما أراد مشاهدته وأثر الصناعة فيه، وكادوا يصرفون سعيد بن المسيب شيخ الفقهاء بالمدينة لولا جلال سنه واحترام الأمير عمر بن عبد العزيز له. وبعد أن لم يكن للخليفة شارة يمتاز بها صرنا نرى الروايات عن قضيب الخلافة وخاتمتها، وننسى الوليد بن يزيد بن عبد الملك حينما جاءه نعيّ عمّه هشام ابن عبد الملك:

طاب يومي ولذ شرب السلافة  
وأتانا نعي من بالرُصافة  
وأتانا بخاتم للخلافة  
وبعد أن كان الخلفاء بعيدين عن مظاهر الترف، صرنا نرىبني مروان قد انغمموا في الترف، فاختيرت لهم الألوان وتبسطوا بما لذ وطاب، فسمعوا الأغاني من القيان، كما يروى عن يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد. وغدت الأمة تُساس بقوة البطش وحده السيف، وكما تمثل يزيد بن معاوية حينما جاءه الخبر بخلع أهل المدينة له:

هم بدأوا الحكم الذي في سجيتي  
فيذلت قومي غلظة بليانٍ

---

١- الدولة الأموية، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣٩٨، روت كتب الصلاح أنَّ النبي ﷺ قال: الخليفة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك. ينظر: الجامع الصحيح للترمذى ٤: ٥٠٣ ح ٢٢٦ من كتاب الفتن ومستند أحمد بن حنبل ٥: ٢٢١، لذا لا يمكن إطلاق مصطلح خلفاء على ملوكبني أمية، وإنما يطلق الكتاب مصطلح خليفة من باب اشتهر هذا اللفظ في عامة البحوث والدراسات.

ويعود هذا التحلل والتهتك في القصور السلطانية وفي المجتمع الإسلامي إلى العهود الأولى للدولة الأموية، فامتداد الدولة وسعتها وكثرة فتوحاتها حسن أحوال العرب الاقتصادية فعم الترف وانتشر معه اللهو والغناء، ولا سيما في الحجاز والشام. وقد اهتم خلفاءبني أمية، ولا سيما يزيد بن عبد الملك، بالمعنى والمغنيات، وراحوا يبذلون الألوف لاستقدامهم من الحجاز وأطراف البلاد، وراح الشعراء ينظمون الشعر في خدمة الغناء، ويضمونه معاني الحب والغرام ويوقعونه على أخف وزن وأسلس عباره. وبانتشار الترف اتسعت ضرورات الحياة، فراح الشعراء يقصدون الخلفاء والولاة للاستجدة والتكتسب، فشاع المديح والهجاء وراجت سوقهما أيما رواج، فالمديح لأصحاب الكرم وال وجود، والهجاء لأصحاب البخل والاقتصاد<sup>١</sup> وبحسب مقاييس ذلك العصر عذ العطاء للمغنيين والمجان حوداً وكرماً، وقبض اليد والإمساك عنهم بخلاً وحساسة، أما الإحسان والتصدق على الزهاد والعباد فلم يُعد له معنى.

وصور كتاب الأغاني ميل بعض خلفاءبني أمية وبني العباس إلى الترف والغناء، حتى كان الوليد بن يزيد مثلاً يلبس من الجوهر العقود ويعيرها في اليوم مراراً، كما يغير الثياب شغفاً، فكان يجمعه من كل وجه ويغالي به. وكان يزيد بن عبد الملك شديد التأثير بالغناء، ومما جاء عنه في الأغاني أنه سمع «عبد» يعني فصاح: أحسنت والله يا مولاي، أعد فداك أبي وأمي! فأعاد فرداد مثل قوله الأول، فأعاد، ثم قال: أعد فداك أبي وأمي، فأعاد فاستخلفه الطرب حتى وشب وقال لجواريه: افعلن كما أفعل، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول:

---

١ الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم .٣٢٠

يا قرقر امسكيني	يا دارِ دُورِيني
حَقّاً لتصرميني	آليتَ منذ حينِ
بِاللهِ فارحْمِيني	ولا تواصِلِيني

### لم تذكرني يميني

فلم يزل يدور كما يدور الصبيان، ويذرن معه حتى خَرَّ مغشياً عليه ووقن  
فوقه ما يعقل ولا يعقلن، فابتدره الخدم فأقاموه وأقاموا من كان على ظهره  
من جواريه وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت<sup>١</sup>.

وهكذا كانوا بهذه الصورة ولهم تائين في مجالسهم الخليعة، ويقال لهم  
رجال أشداء صلحاء كانوا يفكرون بحال المسلمين ومصيرتهم بهم، فيهتزون  
أمام الأمة. وكان الإمام الباقر<sup>عليه السلام</sup> أكثرهم ألمًا وشقاء بهؤلاء الطغاة اللاهين،  
ولكن ما كان عساه أن يفعل<sup>عليه السلام</sup> غير التوجه إلى العلم والمعرفة، كي ينهل  
رجال الزمان الذي عاشه<sup>عليه السلام</sup> من علمه ومعرفته وثقافته، ليقف هذا العلم الذي  
قدّمه لعصره سداً منيعاً بوجه الخلاعة والميوعة والانحراف والمجون. ويصف  
الباحث رونالد سن الرمان الذي كان إبان إمامية الباقر<sup>عليه السلام</sup> بالقول: انتقلت الإمامة  
الروحانية إلى محمد الباقر في السنة الأخيرة أو نحوها من خلافة الوليد.  
وكان ذلك أيام عزّ الأمويين في دمشق، فقد انتشرت فنون العلم وتأسست  
المدارس وانبثَ العلم، ومنح الشعراً الجوائز السنوية. ثم يقول: أمّا الإمام  
الجديد الذي كان يسكن المدينة كأبيه هادئاً، فكان عمره عند انتقال الإمامة  
إليه نحو ١٩ سنة، ثم يقول: وإنّ محمد الباقر كان مشهوراً بعلمه

١- الموجز في الأدب العربي وتاريخه ١٢٠. وينظر: الأغانى لأبي الفرج الأصفهانى ٦ : ١٠١  
وما بعدها

## ٩٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وشريف مولده. ثم يقول واصفًا حياته: عاش مكرماً متفرغاً للعلم في عزلته بالمدينة. وهكذا سار كل من الإمامين: زين العابدين علي بن الحسين ومحمد الباقر عليهما السلام في حياتهما على نهج يتسم بطابع الزهد والترفع عن تفصيلات الحياة وزيرجهما، وكان همتهما الأكبر الانصراف إلى العلم والمعرفة وتأسيس نواة المدرسة العلمية الإمامية.

وكان من الطبيعي الابتعاد عن السياسة وطموحاتها في تلك الأزمنة، ومع ذلك واجه الإمام محمد الباقر عليهما السلام مشاكل كبيرة من العلوين أنفسهم، ومنهم عبد الله بن الحسن الذي ادعى أن آل الحسن عليهما السلام أحق بالرئاسة، باعتبار أنَّ الحسن عليهما السلام أكبر من الحسين عليهما السلام. وهناك من اتَّخذ اسم الباقر عليهما السلام رمزاً لثورته رغم تبرئته منهُم، كثورة المغيرة العجلية وأبي منصور العجلية. وكذلك الحال بالنسبة للإمام الصادق عليهما السلام الذي واجه من أصحابه ما كان يواجهه الإمام الباقر عليهما السلام من انحراف وغلو في الدين.

وكان المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان ويزيع الحاتك وصادق النهدي قد نصبوا أنفسهم أنبياء وألَّا محمد عليهما السلام أرباباً خالقين، وزعموا أنَّهم أبواب وصلوة، وأنَّهم يرون جعفر بن محمد ربياً وحالقاً في ملكوتِه وعظمته، بخلاف ما تراه الشيعة المقصورة، فإنَّهم يرونَه بوادي ولا يدركه بالنورانية إلا هم، إذ كانوا أنبياء وصفوة، وأنَّ من لم يكن من صفوته يدركه بالبشرية.

١- عقيدة الشيعة .١٢٣

٢- التاريخ الإسلامي وفکر القرن العشرين .٩٨

٣- منسوب إلى النهد، وهي قبيلة من اليمن، وكذلك بيان بن سمعان ينتمي إلى هذه القبيلة. مجمع البحرين (نهد).

اللهمائية الدموية يلتبس على أهل الجحود لربوبيته من مقصّرة الشيعة<sup>١</sup>. والظاهر أنَّ المغيرة بن سعيد كان الأستاذ والمربي لهؤلاء المنحرفين والضالّين، وقد وصف الصادق عليه السلام بزيع الحائط بأنه مُغيري، حيث روى ابن أبي يعفور قال: دخلت على أبي عبد الله عليهما السلام فقال: ما فعل بزيع؟ فقلت: قُتل، قال: الحمد لله، أما إله ليس لهؤلاء المغيرة شيء خير من القتل، لأنَّهم لا يتوبون أبداً. وهؤلاء كانوا يشكّلون الخطّ المائل للشيعة الإمامية، فلقد كانت بلية الأئمّة عليهم بهؤلاء وغيرهم من أهل الفساد أكثر من بليةتهم بسلاطين وخلفاء الجور؛ لأنَّ هؤلاء كانوا يسترّون بأسمائهم وعنوانينهم عليهم، وكانوا يقولون للناس إنَّهم أتباعهم وأصحابهم، فيغرون جهال الناس وعواهم بالآفكار المنحرفة الضالة.

وكان المغيرة بن سعيد العجلي قد ادعى أنَّ الإمامة بعد محمد بن علي<sup>٢</sup> الباقر عليهما السلام هي لمحمد بن عبد الله بن الحسن، وزعم أنه حيٌّ لم يمت<sup>٣</sup>. وقيل كان يُلقب بالأبتر، فنسبت إليه البرية من الزيدية<sup>٤</sup>.

وأشار الشيخ النوري إلى المغيرة بن سعيد عند حديثه عن الغلاة الذين كانوا في عصر علي عليه السلام وأحرقهم بالنار، فقال: وكان في أعصار الأئمّة من

١- وكما جاء هذا في المقالات والفرق للأشعري ٥٥، وإليهم نسبت البيانية والبريءة والصادقة.  
يراجع المصدر نفسه ٣٤، ٥٤، ٥٦.

٢- رجال الكشي ٣٠٥ رقم ٥٥٠.

٣- بحار الأنوار ٤٦: ٢٥٠. يروى عن الباقر عليهما السلام أنه قال في واحد من هؤلاء، وهو المغيرة بن شعبة فقال فيه: مثله مثل نعلم الذي أوتني الاسم الأعظم الذي قال الله «آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتّعه الشيطان فكان من الغاوين» الأعراف: ١٧٥، تفسير العياشي ٢: ٤٢.

٤- بحار الأنوار ٢٧: ٢٠٢.

## ٩٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

ولدهما السلام من قبل ذلك ما يطول الخبر بذكرهم، كالمحيرة بن سعيد من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام ودعاته، فاستزله الشيطان.<sup>١</sup> وهذا وغيره لم يأخذ بالعلم الرباني الذي حمله أولياؤه، ولم يسر على جادة الطريق الواضح المستقيم، ولم يلتزم بنهج الإمام الباقر عليهما السلام الذي أراده لهما السلام، من النهج القويم والعلم النافع السديد، فتردى في ضلال الجهل والانحراف والغلو؛ ولكن الباقر عليهما السلام كان يأمل من آخرين من شيعته وغيرهم في أن يسلكوا طريق العلم الهداف المشرم الذي يقود الإنسان إلى التوحيد والقطرة والصلاح والهداية، فأنبرى العلماء للارتقاء من منهل علمه ومعارفه عليهما السلام في صفوف مدرسته التي بدأت بفتح أبوابها في زمان إمامته عليهما السلام، واستمرت بعطائهما الذي أدامه أصحابه عليهما السلام بإشراف ومتابعة وتوجيه من الصادق والكاظم عليهما السلام، فبهرت العلماء وأوقفتهم فانجدبوا للانضمام في حلقات دروسها.

وكان عبد الله بن عطاء المكي يقول في وصفه عليهما السلام: ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغرَ منهم عند أبي جعفر الباقر عليهما السلام، ولقد رأيت الحكم بن عبيدة، مع جلالته في القوم، بين يديه كأنه صبيٌّ بين يدي معلمه. وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي عليهما السلام شيئاً قال: حدثني وصي الأوصياء ووارث علماء الأنبياء محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام. ويروي الشيخ المفيد عن مسلم بن مسلم الثقفي المتوفى سنة خمسين ومائة قوله: ما شجرني في قلبي شيءٌ قطٌّ إلا سألتُ عنه أبا جعفر عليهما السلام، حتى سأله عن ثلاثين ألف حديث، وسألت أبا عبد الله عليهما السلام عن ستة عشر ألف حديث.

١- مستدرك الوسائل ٣: ٢١٥.

٢- الإرشاد للشيخ المفيد ٢٦٣، بحار الأنوار ٤٦: ٢٨٦.

٣- الاختصاص: ٢٠١.

وهذا الرقم من المسائل والأحاديث، طبقاً للوضع السياسي والثقافي في حينه، وكذلك بالنسبة إلى الزمن الذي عاشه الصحابي محمد بن مسلم، يعتبر رقماً قياسياً وهائلاً. فقد كانت الشيعة قبل أن يظهر أبو جعفر الباقر عليهما السلام لا يعرفون مناسك حجتهم وحالاتهم وحرامهم، حتى كان الباقر عليهما السلام، ففتح لهم وبين لهم مناسك حجتهم، وحالاتهم وحرامهم، حتى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس<sup>١</sup>. وهكذا كان دوره العلمي والمعرفي عليهما السلام. كما يتحدث الباحثون القدامى والمحدثون عن هذه الحقبة بالقول بأنه تفرغ في حقبة إمامته المباركة لبعث العلم، وإحياء معالم الشريعة الغراء، وتجديد الحضارة الإسلامية، وبناء حقوق الإنسان، واستيعاب القرآن العظيم في علومه وتفسيره العام، واستلهام فقهه وقصصه وأمثاله وكشف تراكيبيه ودلالة ألفاظه.

ورأينا أنه<sup>عليهما السلام</sup> يحتضن مدرسة الحديث النبوى ويسيّر ركب الفقه الإسلامي، ويبتكر قواعده العامة، ويؤسس علم الأصول، ذلك كله في خطوات وئيدة بناء، وتحطيط منهجي متوازن، وفك ثاقب مفتوح. وكانت مدرسته السيارة متسعة المضارب على نضائل التحضر العالمي، فقصدها المسلمون بلهفة ورغبة ملحة، ونهلوا من معارفها فرادى وجماعات، وضمت إليها الجيل المثقف من شتى أقطار الأرض، ووسعـت دائـرـتها وجـوهـ التـابـعينـ وأئـمـةـ المذاهبـ، فـكانـ الإـقبـالـ شـديـداًـ مـتحـفـزاًـ،ـ والـشـبابـ مـهـيـناًـ لـلـأـخـذـ وـالتـلـقـيـ،ـ وـالـبعـثـاتـ تـتوـالـىـ كـثـرـةـ وـاستـزـادـةـ،ـ وـالـمـعـلـومـاتـ النـادـرـةـ تـنـصـبـ اـنـصـبـابـاًـ،ـ إـفـاضـاتـ الـإـلـامـ تـنـشـالـ اـنـشـيـالـاًـ،ـ وـكـانـ رـوـسـاءـ الدـينـ يـجـلـسـونـ بـيـنـ يـدـيـهـ جـلـسـةـ المـتـعـلـمـ،ـ وـرـوـادـ الـحـدـيـثـ يـتـهـافـتوـنـ عـلـىـ اـسـتـقـبـالـ الرـوـاـيـةـ،ـ وـفـلـاسـفـةـ الـإـسـلـامـ يـتـزـاحـمـونـ فـيـ

## ٩٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

موقع الإفادة، وكان المتكلمون في حياة عقلية جديدة وفقهاء في إمداد فقاوته متواصل، والكل يحيا حقبته الذهبية، ويقترب من حضرة التيقظ الفكري، والفرص متكافئة للجميع، وهم بين عالم ومتعلم، وسائل ومتكلّم، ومستخبر ومتّرجم، والإمام يقذف من ذلك البحر المائج جواهر أفكاره، ولأنّي أراه، فيلتقط تلامذته شذرات المعرفة، حتى أشير إليه بالبيان منفردًا وعاد حامل لواء الإسلام، ومصدر الدراسات الفكرية العليا<sup>١</sup>.

ثم يأتي من بعده وصيّه الصادق عليهما السلام الذي اختُنَّ من بين الأئمة عليهما السلام بكثرة الحديث، ونشر العلم، علمًا بأنّ علمهم عليهما السلام واحد، ولكن الظروف كانت مواطية بسبب اشغال الدولتين في تثبيت قواعد الملك والسلطان، فانتهز الصادق عليهما السلام الفرصة لثبت قواعد العلم، ونشر ألوية الدين، فقد جمع حوله أكبر عدد من الرواة وطلاب العلم<sup>٢</sup>، ففي هذه المرحلة الانتقالية من دولة إلى دولة أخرى استلهم واستمد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام الرواية والحديث من سيرة أبيه الباقر عليهما السلام ومن سبقه من أجداده الطاهرين الذين وطدوا العزم على إكمال هذه المدرسة، والإصرار على مواجهة تيارات وأمواج الانحراف والجهل والإلحاد التي تعاظمت في أواخر الدولة الأموية وامتدت حتى إلى عصوربني العباس وما بعدها، فتأسست وبرزت المدرسة الثقافية والفقهية للشيعة من فيض علمه عليهما السلام، لتقف بصلابة وقوّة بوجه هذا الانحراف والشذوذ الفكري الذي عصف بأفكار المسلمين وثقافتهم، ولعل أبرز التحديات التي واجهت المسلمين في فترة من عصر الباقر عليهما السلام، ولتصل إلى عصر الصادق عليهما السلام، هو التيار الإلحادي الذي حاول أن يزعزع

١ الإمام جعفر الصادق عليهما السلام زعيم مدرسة أهل البيت ٢٦.

٢ ألمّتنا ٤٤٣:

الإيمان الفطري لل المسلمين، ويضيّعهم في متأهّلات الفلسفة الإلحادية التائهة، ويزرع الشكوك في معتقداتهم الدينية العتيدة. وكان الإمام الصادق عليه السلام يعيش في عصر وُجدت فيه آراء منحرفة حول الوحدانية، فمن الناس من كان يتّوّهم أنَّ الله تعالى يدًا وأنَّ الله تعالى وجهًا، ويتّصوّر الله سبحانه وتعالى على صورة إنسان، وهؤلاء هم الحشوّية، وهم بقية الوثنيين. وقد تصدّى لهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام فأرشدهم وهداهم<sup>١</sup>. وعلى العموم كانت هذه الموجة غريبة على العرب والمسلمين، فالعرب قبل الإسلام ومن قبل أن تتسرب إليهم الوثنية، كانوا على دين إبراهيم عليه السلام، وأنّهم كانوا يحجّون إلى البيت على أنه بيت لعبادة الله الواحد، ولكن استبدّ بهم الجهل وشيطان الوثنية في أصنام اتخذوها وسيلة وقربى إلى الله الواحد الأحد في عبادتهم.

ولقد اختلف المؤرخون في أصل عبادة العرب للأصنام، فمنهم من زعم بأنّها محلية، ومنهم من قال بأنّها مجلوبة من الخارج. ويذكر مؤيدو الرأي القائل بأنّها محلية أنَّ أهل الموتى أرادوا إحياء ذكر إبراهيم، فنحتوا صوراً من الحجر على شكلهم تمثّلهم وعبدوها بعد ذلك. على أنَّ العرب لم ينحتوا الأصنام لجهلهم بالفنون الجميلة، لذلك يرجح الرأي القائل بأنَّ الأصنام مجلوبة من الخارج. ويؤيد ذلك ما ذكره مؤرخو العرب في قصة عمرو بن لحي، فيذكر ابن هشام أنَّ عمرو بن لحي زعيم خزاعة خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم أرض البلقاء (الأردن) وبها يومئذ العماليق، رأهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ فقالوا: هذه أصنام نعبدها فنستطرّها فتتصرّنا، ونستنصرها فنتصرنا، فسألهم أن

## □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

يعطوه منها فأجابوه طلبه، وقدم مكّة بهيل، ودعا الناس إلى عبادته وإلى مفارقة الحنيفية، فأجابه جمهور، وأكره من لم يجده حتى تم له ما أراد.<sup>١</sup> وكان هيل معشوق أبي سفيان ولداته وقبيلته ومتهمي أماله، فاستغاث به في معركة أخذ عند مواجهته للمسلمين فقال: أعل هيل. عندها قال رسول الله عليهما السلام لأمير المؤمنين علي عليهما السلام: قل له: الله أعلى وأجل.<sup>٢</sup> وكان أبو سفيان قد بارز يوم أحد حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة فصرعه حنظلة، فأتاه ابن شعوب فأعلن عليه، فقتله أبو سفيان ونجا أبو سفيان، وفي ذلك يقول:

فسلو شئت نجتنبي كميٌّ طمرة  
ولم أحمل النعماء لابن شعوب  
وكان علي عليهما السلام قتل ابنه حنظلة يوم بدر فنادي أبو سفيان: أعل هيل، حنظلة بحنظلة!<sup>٣</sup> وكانه قد نصر معبوده هيل بهذا الطعن القاتل الذي لحق بحنظلة المسلمين فصرعه، فاشتفي وانطفأ غيظه الذي كان مستعرًا في قلبه.  
وقد أنزل علي عليهما السلام هذا المعبد الحجري الميت الذي وضعه المشركون

١- ينظر: عصر النبوة، موسوعة التاريخ الإسلامي ١٨٨. يروي الشهريستاني أن عمرو بن لحي لما صار إلى البلقاء رأى هناك قوماً يعبدون الأصنام فسألهم عنها، فقالوا: هذه أرباب آتحذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية تستنصر بها فتنصر، ونستسقى بها فنسقى، فاعجبه ذلك وطلب منهم صنماً من أصنامهم، فدفعوا إليه هيل، فسار به إلى مكّة ووضعه في الكعبة، وكان معه أساف ونائلة على شكل زوجين، فدعا الناس إلى تعظيمهما والتقرب إليها والتولّ بها إلى الله تعالى. وكان ذلك في أول ملك شابور ذي الأكتاف إلى أن أظهر الله تعالى الإسلام. المثل والتحل ٢: ٢٤٣.

٢- ينظر: بحار الأنوار ٢٠: ٥٦.

٣- المناقب والمئالب لأبي حنيفة النعمان المغربي ١٦١.

على ظهر الكعبة وحطمه، فأمر رسول الله ﷺ بدفعه<sup>١</sup> ، لينهي <sup>عليه</sup> أسطورة الوثن الجامد وأحجار هبل التي افتتن بها طغاة قريش وجهاهم وعبيدهم. وكأنه لم يكن التيار الإلحادي وليد عصر من العصور المتأخرة، بل كان له جذور تاريخية عريقة، فهذا الإحساس الوثني الحجري هو التيار الذي جمع كلَّ مَنْ غَيَّبَ بصيرته عن رؤية الحق، وتغلَّبَ هواه على عقله، أو زرع الشكوك في معتقدات الناس الفطرية. وقد احتلَّتْ لدى عموم الناس، وحتى عند بعض الباحثين مفاهيم الزندقة بالفسق والفحور والإلحاد والكفر والشرك والارتداد وغير ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى أفكار طائفة من هذه الجماعات التي كانت تلقى بعض الشكوك بين الناس، أو تثير مسائل كلامية أو فلسفية أو غير ذلك، ومنها هذه الطائفة من الناس الذين يسمون زنادقة، ولهم تسميات أخرى تسُمُّوا بها وفقاً لتصورهم كالدهرية والمانوية أو غير ذلك. وقد أشير لهم بقوله تعالى: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَا تَنَاهُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظْلَمُونَ»<sup>٢</sup>.

وكان من أبرز تلك التيارات التي عرفت في عصر الإمام الصادق <sup>عليه</sup> بالمعنى الاصطلاحي تيار الزنادقة<sup>٣</sup>، وقد عرَّفَ الإمام موسى بن جعفر <sup>عليه</sup> هذا التيار بقوله لهارون الرشيد حين سأله عن الزنديق، فقال <sup>عليه</sup>: الزنديق هو الراء على الله ورسوله، وهم الذين يجادلون الله ورسوله، قال الله <sup>ع</sup> لا تجده قوماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِونَ مِنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبْنَاءَهُمْ أَوْ

<sup>١</sup> ينظر: مجمع البحرين ٤٩٧: ٥.

<sup>٢</sup> الجاثية: ٢٤.

<sup>٣</sup> الإمام جعفر الصادق رمز الحضارة الإسلامية ٣٧.

أَبْنَاءُهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»<sup>١</sup> وهم الملحدون عدلوا عن التوحيد إلى الإلحاد. وقال الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: أول من أخذ وتنزدق في السماء إبليس اللعين فاستكبر.<sup>٢</sup> وحسب الظاهر لم تكن الزندقة شائعة ورائجة في البيئة العربية، أو لم تكن معروفة كتيار فلسفياً له قوته، بل تكاد لا ترى هذه الظاهرة عندهم، ومن عرف منهم بهذا الاتجاه كانت تعتبر العرب عنه بقولهم: ملحد.<sup>٣</sup> ويقول الباحث مروان خليفات: كان أكثر العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفي، فرغم عبادتهم للأصنام وغيرها إلا أنهم كانوا يعتقدون بوجود الخالق. أما أبو سفيان فكان له مذهب خاص هو الزندقة. قال المقريزي فيه: وكان كهفاً للمنافقين، وأنه كان في الجاهلية زنديقاً، ومن هنا فإنفرد أبو سفيان بهذا المذهب ربما يفسر لنا ظهور بوادر زندقة أو مواقف متزندقة أو نحوها في مسيرة الخلافة الأموية، نظراً لتأثير العامل الوراثي وتلقين الآباء والأجداد للأبناء بعموم ثقافاتهم ومعتقداتهم.

ومن الواضح أنَّ العرب والمسلمين من الأمم الأخرى من غير العرب الذين دخلوا في الإسلام وعاشوا معهم لم يكونوا مستعدين لقبول فلسفة

١- المحادلة: ٢٢.

٢- تحف العقول ٤٠٥، بحار الأنوار ١٠: ٢٤٣.

٣- زندقة الرجل تعني أنه لا يؤمن بالأخرة ووحدانية الخالق. قال أبو حاتم: الزنديق فارسي معرَّب، كان أصله زندة كر، أي يقول بدوام الدهر. قال أبو بكر: زندة: الحياة، والكر: العماء بالفارسية. لسان العرب (زندق). ترتيب جمهرة اللغة ٢: ١٤٤ (زندق). وقال الفيروزآبادي: هو معرَّب زن دين. أي دين المرأة. القاموس المحيط ٣: ٢٥٠. وقيل: مأخوذ من الزند وهو كتاب الفهلوية كان لزراذشت السجوسى. مجمع البحرين (زندق).

٤- مجمع البحرين ٥: ١٧٨ (زندق)

٥- قراءة في المسار الأموي ٢٣.

الزنادقة وأرائهم، إلا أن تأييد الحكام للفرق المتزندقة، أو غض النظر عنهم، أو رفع السوط الرادع لهم عند إظهار أفكارهم عنهم، أو الصمت والسكوت أحياناً عند ظهور نحلة أو فرقة مارقة عن التوحيد والإيمان، قد يؤدي بالنهاية إلى بروز ظاهرة التزندق والإلحاد في أوساط الناس وجهاً لهم، وربما يصل الأمر في أحيان أخرى إلى أن يتجاهر الحاكم بفسقه وتزندقه ويحمل الناس عليه. ويشير الحافظ ابن كثير الدمشقي إلى أن الناس قد تحدثوا عن تزندق الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فيقول: كان هذا الرجل مجاهراً بالفواحش مصرأً عليها، متھكاً محارم الله عزَّ وجلَّ، لا يتحاشاً من معصية. وربما أتھم بعضهم بالزنادقة والاتحال من الدين فالله أعلم، لكن الذي يظهر أنه كان عاصياً شاعراً ماجناً متعاطياً للمعاصي، لا يتحاشاً من أحد، قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولـي. وقد روى أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتلـه<sup>١</sup>. وقال ابن العماد الحنبلي في وصفـه: كان صاحب شراب ولهـو، وهو أول من حمل المغـنيـن إليهـ منـ الـبلـدانـ، وجـالـسـ المـلـهـيـنـ، وأـظـهـرـ الشـرـابـ وـالـمـلاـهـيـ وـالـعـزـفـ. وفي أيامـهـ كانـ ابنـ سـرـيـعـ المـغـنـيـ وـمـعـبدـ وـالـغـرـيـضـ وـابـنـ عـائـشـةـ وـابـنـ مـحرـزـ وـطـوـسـ وـدـحـمانـ منـ المـغـنـيـنـ. وـغـلـبـتـ شـهـوـةـ الغـنـاءـ فـيـ أـيـامـهـ عـلـىـ الـخـاصـ وـالـعـامـ، وـاتـخـذـ الـقـيـانـ<sup>٢</sup>. وقد أنكر هشام بن عبد الملك على الوليد إسرافه وإلحاده على شرب الخمور وتطليبه للذـاتـ والمـعـاصـيـ، فيـرـويـ المؤـرـخـ الطـبـرـيـ قـائـلاـ: وـتـمـادـيـ الـولـيدـ فـيـ الشـرـابـ وـطـلـبـ الـذـاتـ فـأـفـرـطـ، فـقـالـ لـهـ هـشـامـ: وـيـحـكـ يـاـ وـلـيدـ، وـالـلـهـ مـاـ أـدـرـيـ أـعـلـىـ الـإـسـلـامـ أـنـتـ أـمـ لـاـ، مـاـ تـدـعـ شـيـئـاـ مـنـ الـمـنـكـرـ إـلـاـ أـتـيـهـ غـيـرـ

١- البداية والنهاية : ١٠ : ٨.

٢- شهـراتـ الـذـهـبـ فـيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ : ١٦٨.

١٠٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

متحاشٍ ولا مستتر به ! فكتب الوليد له:

نَحْنُ عَلَى دِينِ أَبِي شَاكِرٍ  
يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا  
بِالسُّخْنِ أَحْيَانًا وَبِالْفَاتِرِ  
شَرِبَهَا صِرْفًا وَمِمْزُوجَةً

بغضب هشام على ابنه مسلمة، وكان يكفي أبا شاكر وقال له: يعيّرنني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة ! فالزم الأدب واحضر الجمعة . وبالنتيجة أدى إيغال الوليد وانغماسه في المعاصي والفحور إلى قتله وإناته، يقول ابن كثير: قتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، ووقدت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله، ومع ذلك إنما قتل لفسقه، وقيل: زندقته. ويشهد على ذلك أخوه سليمان بن يزيد بن عبد الملك، قال أخوه: أشهد أنه كان شريراً للخمر ماجناً فاسقاً، ولقد أرادني على نفسي الفاسق. وحكي المعافى بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبى: أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفري فأحببها، فبعث يراودها عن نفسها فأبانت عليه، فألح عليها وغشّها فلسم تطاوّعه، فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم لعيدهم، فذهب الوليد إلى بستان هناك فتنكر، وأظهر أنه مصاب فخرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان فرأيته فأحدقون به، فجعل يكلم سفري ويحادثها، وتضااحكه وهي لا تعرفه، حتى اشتفي من النظر إليها، فلما انصرفت قيل لها: ويحك أندرين من هذا الرجل؟ فقالت: لا، فقيل لها: هو الوليد، فلما تحققت ذلك حنت عليه بعد ذلك، وكانت عليه أح规矩 منه عليها قبل أن تحن عليه، فقال الوليد في ذلك أبياتاً:

صَبَّاً قَدِيمًا لِلْجَسَانِ صَبَّيُودًا  
بَرَّزَتْ لَنَا نَحْوَ الْكَنِيسَةِ عِيدًا  
حَتَّى بَصَرْتَ بِهَا تَقْبِلُ عُودًا  
مِنْكُمْ صَلِيبًا مَثَلَهُ مَعْبُودًا!  
وَأَكُونُ فِي لَهْبِ الْجَحِيمِ وَقُودًا!

أَضْحَى فَؤَادُكِ يَا وَلِيُّ عَمِيدًا  
فِي حَبَّ وَاضْحَى الْعَوَارِضُ طَفْلَةً  
مَا زَلْتَ أَرْمَقُهَا بِعَيْنِي وَامْقُ  
عُودَ الصَّلِيبِ، فَوَيْحَ نَفْسِي، مِنْ رَأْيِ  
فَسَالْتَ رَئِيْسَى أَنْ أَكُونَ مَكَانَةً  
وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ فِيهَا أَيْضًا:

كَلَفْتُ بِنَصْرَانِي تَشْرِبُ الْحَمْرَا  
إِلَى اللَّيلِ لَا ظَهَرَ أَنْصَلَى وَلَا عَصْرًا!  
وَيَرَوِي أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ الْأَمْوَى قدْ أَنْفَذَ مَجْوِسَيَا لِيَنِي عَلَى الْكَعْبَةِ  
مَشْرِبَةً لِلْخَمْرِ اسْتَهْتَارًا وَاسْتَهَانَةً بِهَا. كَمَا يَرَوِي أَنَّهُ ذَهَبَ فِي عَهْدِ هَشَامِ إِلَى  
مَكَّةَ وَمَعَهُ خَمْرٌ وَقَبْةٌ دِيَبَاجٌ عَلَى قَدْرِ الْكَعْبَةِ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْصِبَ الْقَبْةَ عَلَى  
الْكَعْبَةِ وَيَجْلِسَ فِيهَا فَخَوْفَهُ أَصْحَابِهِ مِنْ ثُورَةِ النَّاسِ حَتَّى امْتَنَعَ.<sup>١</sup> وَقَالَ ابْنُ  
الْعَمَادِ الْحَنْبَلِي: إِنَّ الْوَلِيدَ يُدَعِّي خَلِيلَ بْنِ مَرْوَانَ، وَقَرْأَ ذَاتَ يَوْمٍ (وَاسْتَقْتَحُوا  
وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ \* مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ)، فَدَعَا  
بِالْمَصْحَفِ فَنَصَبَهُ غَرَضًا وَأَقْبَلَ يَرْمِيهِ وَهُوَ يَقُولُ:

فَهَا أَنَا ذَاكَ جَبَارٌ عَنِيدٌ  
فَقُلْ: يَارَبُّ خَرَقْنِي الْوَلِيدٌ!

أَتَوْعَدُ كُلَّ جَبَارٍ عَنِيدٍ  
إِذَا مَا جَئَتْ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرٍ

١- الْبَدَأَةُ وَالنَّهَايَةُ ١٠: ٧.

٢- الصَّحِيحُ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ١: ٣٩.

٣- إِبْرَاهِيمٌ: ١٦ وَ ١٥.

١٠٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون  
ويروى أنه ألحَد في شعر له ذكر فيه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، ومن ذلك الشعر:

تلعُب بالخلافة هاشميٌ  
بلا وحِي أتاه ولا كتابٍ  
فقل لله يمْنعني طعامي  
وقلَّ لله يمْنعني شرائي

فلم يمهل بعد قوله هذا إلا أياماً حتى قُتِلَ<sup>١</sup>.

وحفظ صاحبة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ما ورد فيه من مؤثر الأخبار بأنه واحد من جبابرة الأمة وفسيتها، ومن ذلك ما يروى عن سعيد بن المسيب أنه قال: لما ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه غلام سموه الوليد، فقال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: تسموه باسم فراعنةكم! غيروا اسمه، فسموه عبد الله. فقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: ليكون في هذه الأمة رجل يقال له: الوليد، فهو أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون قومه.<sup>٢</sup> وكذلك نسب مروان بن محمد شيخ بنى أمية إلى الزندقة، وإنما سُمِّي مروان الجعدي بالجعد بن درهم، وهو رجل كان يرمي بالزندقة، وكان مؤذب مروان فيقولون: هو الذي فتح له بابها وحمله عليها.<sup>٣</sup>

وربما كانت أصابع الوليد ومروان وغيرهما من كبار مشايخ وخلفاء بنى

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١: ١٦٩ و ١٧٨.

٢- إعلام الورى بأعلام الهدى ٤٥، بحار الأنوار ١٨: ١٣٦.

٣- بغداد مدينة السلام لابن الفقيه الهمданى ٨٧ . والجعد بن درهم أول من نفى الصفات، وعنه انتشرت مقالة الجهمية، إذ متن حداه في ذلك الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقandi الذي كان ينكر العبرات ويزيء الباري عنها، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في كل الأمكناة. سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦ . والجهمية وأتباعها وصفوا بأنهم مرحلة أهل خراسان. المقالات والفرق للأشعري ٦ . وينسب إلى الجعد أنه قال: لم يتحذ الله إبراهيم خليلاً ولا موسى كليماً. شذرات الذهب ١: ١٦٩ . وقد وصف الذهبي الجعد بأنه مبتدع ضال. ميزان الاعتدال ١: ٣٩٩.

أمّيّة قد فعلت فعلها في تشجيع وتفوّقية التيار الإلحادي، وشيوخ وامتداد موج الرندة الذي كان كامناً، فأطلّ برأسه معلناً عن وجوده، فانبرى هذا التيار ليلغى القيم والمقدّسات الدينية التي لا تفارق الإنسان وفطرته السليمة. وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى ظهور هذا التيار الجاحد المارد بقوله عليه السلام: رأيت في مصحف فاطمة عليها السلام أنَّ الرندة والرنادقة سيكون ظهورهم في سنة ثمانية وعشرين ومائة<sup>١</sup>. وهذا التاريخ يعود إلى أواخر الدولة الأموية التي قذفت بأجيال من الأمراء والقادة الضالّين التائبين في بحار اللهو والمعصية.

وبالجملة فوجود خليفة ماجن على رأس السلطة، كالوليد وأضرابه، يشجع ويساعد على خلق مناخ وجوًّ متهدّك ومتخلّل من الالتزامات والضوابط الشرعية والاجتماعية، وبالتالي تدلّف المدارس والفرق والجماعات الخارجبة على قانون الفطرة البشرية فتمارس دورها التخريبي الهدام لأفكار المسلمين ومعتقداتهم وأدابهم.

وكان اختلاط المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات الذين لم يدخلوا في الدين الإسلامي، قد نتج منه إثارة الشكوك حول العقائد الإسلامية وانتشار الإلحاد في البلاد الإسلامية مما اضطرّ المسلمين إلى دراسة الفلسفة اليونانية بواسطة السريان من المسيحيين المنتشرين في العراق وسوريا، تلك الفلسفة التي كانت تبحث عن الإله والعالم وعلاقته بمخلوقاته، وغير ذلك من المواضيع الدينية الأخرى، فكان ذلك عاملاً قوياً لانتشار الإلحاد والتشكيك في بعض المواضيع الإسلامية التي لم يعرف المسلمون خلافاً بها قبل هذا التاريخ<sup>٢</sup>.

١- بحار الأنوار ٤٧: ٦٥.

٢- الشيعة بين الأشاعرة والمعترضة ٢١.

وقد صادفت هذه الأوضاع المتردية عصر الإمام الصادق عليه السلام وإمامته للخلق، ففي عصره عليه السلام بدأ المترجمون بنقل الفلسفة من الإغريق وراجت سوقها بين المتكلمين، كما أن الترعة المذهبية قويت آنذاك، فظهرت على الساحة مذاهب جديدة وأراء فقهية، كلّ هذا ساعد على كثرة المناظرات بين علماء المسلمين، وفي نفس الوقت ظهرت موجة إلحادية قوية لا عهد للMuslimين بها من قبل. وكان يترעם هذه الموجة كلّ من ابن أبي العوجاء، وأبي شاكر الديصاني، وعبد الله بن الملقّع، وعبد الملك البصري. وقد لعبت هذه الجماعة دوراً كبيراً حتى اهتمت الحكومة بوضع حد لنشاطها، فأخذت تتبعهم وقتل من ظفرت به منهم. وكان المتكلمون وأرباب المذاهب والملحدة يقصدون الإمام الصادق عليه السلام لكشف شباهتهم، وللمناظرة فيما عندهم، فكان عليه السلام يكلّم كلّاً منهم باختصاصه ويدينه من كلامه، يكلّم المسلم بالكتاب والسنة، والفيلسوف بالفلسفة والحكمة، والطبيعي بالطبيعة، والطبيب بالطب. وربما ابتدأ غيره بالمناظرة إظهاراً للحق وإقامة للحجّة وقطعاً للمعذرة.<sup>١</sup> وكان كلّ هذا يجري في مدرسته وجامعته المباركة والتي أسسها أبوه الباقر عليه السلام وأكمل دروسها وعلومها هو، ليتمكنه ويمكن العلماء من بعده من الوقوف بوجه المذاهب المارقة والجاحد الذي ركب الزنادقة والملحدون وذوو الأفكار الشاذة والهداة الذين أرادوا تحطيم الأخلاق والشريعة بعناوين كثيرة. ومن المناسب أن نذكر هنا أن مصطلح الزندقة والزنادقة كانت له دلالات مختلفة في العصور الإسلامية وأدوار الدول المختلفة، وقد أتّخذ سيرورته وفقاً لهذه المعانى:

- ١- المعنى الرسمي الذي اتّخذته واستخدمته السلطة العباسية كان يدلّ على أنَّ الزنديق هو من يعتنق المذهب المانوي، وهو من المذاهب الشتوية الإبرانية التي كانت في إيران قبل الإسلام.
- ٢- أتسع هذا اللفظ ليدلّ كما في أقوال بعض المؤرخين والباحثين على الشعوبية باعتبار أنَّ العروبة والإسلام مفهومان متراوكان في القرنين الأول والثاني الهجريين، ولذلك فإنَّ الشعوبية والزنديقة لابدَّ أن يكونا متراوكان أيضاً، فإنَّ من يكره الإسلام يكره العرب كذلك، والعكس صحيح.
- ٣- أصبح لهذا الاصطلاح دلالات دينية، سياسية عامة حين استخدمته السلطة العباسية لضرب خصومها السياسيين أو الدينين، ولذلك اتهم العديد من الأشخاص من شيعة الأحزاب الأخرى بالزنديقة، كما شمل هذا الاصطلاح بعض الذميين وخاصة من النصارى.
- ٤- شمل الاصطلاح بعض الحلّاء والمجحان والظفاء.
- ٥- كما شمل المشككين والدهريين ومستقلّي التفكير وأهل الكلام (المتكلمين) وغيرهم ممَّن اتهموا بكونهم يبطون الكفر ويظهرون بالإيمان، وهدفهم العبث الفكري والتشكيك بالعقيدة أو تفسيرها تفسيراً مغايراً لجمهور الفقهاء والعلماء.

أما الجذور التاريخية للزنديقة فيعزّو بعضهم ذلك إلى ما بعد سقوط الدولة الساسانية على يد العرب والمسلمين، فقد تمتَّ أتباع المانوية، مثلهم مثل سائر الديانات الأخرى، بحرمة التعبير عن عقيدتهم. وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أنَّ العديد من المانويين عادوا من المنفى إلى مناطقهم ونشطوا في الدعاية ثانية لتعاليهم. وقد شهد العراق الجنوبي وخاصة منطقة بابل نشاطاً دينياً ملحوظاً للمانوية بعد تحرير العراق من النفوذ الساساني. ومن

## ١١٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

المعلوم أن المانوية كانت تحمل اسم الزندقة في العهد الساساني، ثم شمل هذا الاصطلاح المزدكية إضافة إلى المانوية. وقد استعمله العرب بعد تأسيس الدولة العربية الإسلامية، حيث وجده مستعملًا باللغتين الفارسية والأرامية في العراق للدلالة على البيانات الإيرانية المنشقة عن الزرادشية وخاصة المانوية، إلا أن هذا الاصطلاح اتسع معناه منذ النصف الثاني الهجري فشمل، إضافةً لأنبياء الديانة الشاوية الإيرانية، كل مسلم منشق أو ملحد أو متكلم أو متحرر شكاك أو معارض للسلطة العباسية<sup>١</sup>.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: فلهذه الأسباب كلها ولغيرها من الأسباب وجه المستشرقون عنيتهم إلى هذه الدراسة، لكن دراستهم لا تزال حتى اليوم ناقصة، فيها الكثير من التشويه واللبس. وذلك راجع إلى أن تاريخ الزندقة في الإسلام موضوع غامض كل الغموض، مضطرب كأشد ما يكون من الاضطراب. ويقول: ثم إن المصادر التي تحدثنا عن الزندقة والزنادقة قليلة غير مأمونة، وهذه القلة إما لأن كتب الزنادقة قد فقدت كلها تقريباً، أو لأن بعض المصادر التي تحدثنا عن الزندقة والزنادقة لا تزال مخطوطة حتى اليوم، فليس في متناول أيدي الباحثين.<sup>٢</sup>

ومع كل الظروف والأوضاع التي كانت معهم أو عليهم في مسارهم العلمي والسياسي، كان الأئمة المعصومون عليهما السلام لهؤلاء الزنادقة بالمرصاد فأخذوا بخناقهم، فلم تنقطع مناظراتهم واحتجاجاتهم مع كبارهم وفلاسفتهم الذين أرادوا المقولات الشك والإلحاد أن تدخل بلاد المسلمين فنكس عليهم اعتقاداتهم. ويروي الشيخ الصدوق من مناظرات الصادق عليه السلام مع هؤلاء عن

١- التاريخ الإسلامي وفكير القرن العشرين ١٣ و ١١٧.

٢- من تاريخ الإلحاد في الإسلام ٣٦.

أبي منصور المنطقب فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفع<sup>١</sup>: ترون هذا الخلق! وأواماً بيده إلى موضع الطواف، ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلا ذلك الشيخ الجالس - يعني جعفر بن محمد<sup>عليه السلام</sup> - فأمام الباقيون فرعان وبهائم<sup>٢</sup>. هكذا كان الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup> كبيراً وعظيماً في أعينهم رغم التباين والتناقض في الرؤى والمنطلقات الاعتقادية.

وجاء في رواية الشيخ المفيد: إنَّ ابنَ أبيِ العوجاءِ وابنَ طالوتِ وابنَ الأعمىِ وابنَ المقفعِ في نفرٍ من الزنادقةِ كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام، وأبو عبد الله جعفر بن محمد<sup>عليه السلام</sup> فيه إذ ذاك يفتني الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبيانات، فقال القوم لابن أبي العوجاء: هل لك في تغليط هذا الحالِ وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحظيين به؟ فقد ترى فتنة الناس به وهو علامة زمانه، فقال لهم ابن أبي العوجاء: نعم، ثم تقدم ففرق الناس وقال: يا أبا عبد الله، إنَّ المجالسَ أماناتٌ، ولا بدَّ لكلَّ من كان به سعالٌ أن يسعل، أفتأذن لي في السؤال؟ فقال له أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup>: سل إن شئت، فقال له ابن أبي العوجاء: إلىكم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتبعدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر<sup>٣</sup>? من فكر في هذا وقدر علم أنَّ هذا فعل أئته غير

١- هو عبد الله بن المقفع الماهر في صناعة الإنشاء والأدب، كان مجوسياً وأسلم على يد عيسى ابن عليّ عم المنصور. وكان كابن أبي العوجاء وابن طالوت وابن الأعمى على طريق الزنادقة. عرب كتاب كليلة ودمنة، قتل سنة ١٤٣ بيد عامل المنصور في البصرة بأمر المنصور نفسه.

أعلام الزركلي ٢٨٣:٤.

٢- التوحيد ١٢٦.

حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أسته ونظامه.

فقال الصادق عليهما السلام: إنَّ من أضلَّه الله وأعمى قلبه استوخم الحقَّ فلم يستعدْ به، وصار الشيطان ولية وربِّه يورده مناهل الهلكة ثمَّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه فتحتُّهم على تعظيمه وزيارةه، وقد جعله الله محلَّ الأنبياء وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدِّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحقَّ من أطيع فيما أمر ونهى عنه واجر، الله المنشئ للأرواح والصور.<sup>١</sup> وفي رواية الصدوق أنَّ ابن أبي العوجاء كان متربداً في علم الصادق عليهما السلام فقال لابن المقفع: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ فقال: لأنَّي رأيت عنده مالَمْ أرَ عندهم. فقال ابن أبي العوجاء: ما بدَّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفع: لاتفعل، فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال: ليس ذا رأيك، ولكنه تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إيهَا في المحلِّ الذي وصفت، فقال ابن المقفع: أمَّا إذا توهمت علىَّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل، ولا تشن عنانك إلى استرسال يسلِّمك إلى عقال، وسمِّه مالك أو عليك. فقام ابن أبي العوجاء.<sup>٢</sup> قال الراوي: وبقيت أنا وابن المقفع<sup>٣</sup> فرجع إلينا وقال:

١- الإرشاد للشيخ المفيد ٢٨٠ ، أمالِي الصدوق ٤٩٣، بتفاوت في الألفاظ الرواية فيها.

٢- كان عبد الكليم بن أبي العوجاء خال معن بن زائدة، وكان متأثراً بأفكار ماتي الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير وأحدث ديناً بين الماجوسية والنصرانية، وكان يزعم أنَّ العالم من نور وظلمة. وكان أول أمره من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد فقتلته محمد بن سليمان عامل المنصور في الكوفة. ينظر الاحتجاج لنطبرسي ٣٣٥ وبخار الأنوار ٣٥٧:٥٨.

٣- الراوي هو صاحب أبي منصور المتني.

يا ابن المفعم ما هذا ببشر! وإن كان في الدنيا روحاني يتجلسن إذا شاء ظاهراً، ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا، فقال له: وكيف ذاك؟ قال: جلست إليه، فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، وهو على ما يقولون - يعني أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر كما تقولون، وليس كما تقولون، فقد استويتم وهم، فقلت له: يرحمك الله، وأي شيء تقول وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلا واحد. فقال الصادق عليه السلام: كيف يكون قولك وقولهم واحداً، وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً، ويدينون بأن للسماء إله، وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد. فاغتنمتها منه فقلت له: ما منعه - إن كان الأمر كما تقول - أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان، ولما احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل، ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به! فقال الصادق عليه السلام: ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك! نشوؤك ولم تكن، ويكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك، وبغضك بعد حبك، وعزتك بعد إباءك، وإباءك بعد عزتك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، و Yasak بعد رجائه، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده من ذهنك. يقول ابن أبي العوجاء: وما زال يعاد علي قدرته - التي هي في نفسي التي لا أدفعها - حتى ظنت أنه سيظهر فيما بيني وبينه . وجاء

في أخبار ابن أبي العوجاء بعد مناظرته مع الصادق عليهما السلام أَنَّهُ قال لأصحابه: سألكم أن تلتمسوا لي جمرة فأقيمتوني على جمرة! فقالوا له: اسكت، فوالله لقد فضحتنا بخيরتك وانقطاعك، وما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه، فقال: أَبِي تقولون هذا؟ إِنَّهُ أَبْنَى مَنْ حَلَقَ رُؤُسَهُ مِنْ تَرَوْنَ، وَأَوْمَأَ إِلَى أَهْلِ الْمَوْسَمِ.<sup>١</sup> والمراد بالموسم هنا هو موسم الحج في مكة. وكأن الجمرة هنا هي الحصاة واللعبة. وأَمَّا معنى إلقائه على جمرة فالمراد حجّة الصادق عليهما السلام التي أحرقت أفكاره وأبطلتها ولعبت به.

ومن مدرسة ابن أبي العوجاء كان أبو شاكر الديصاني<sup>٢</sup> الذي قال: إِنَّ فِي القرآن آية هي قوّة لنا، فقال هشام بن الحكم له: وما هي؟ فقال «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ»<sup>٣</sup>، فقال هشام: فلم أدر بما أجيبيه، فحجّجت فخبيرت أبا عبد الله عليهما السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكونفة؟ فإنه يقول فلان، فقل له: ما اسمك بالبصرة؟ فإنه يقول فلان، فقل كذلك الله ربنا في السماء إليه وفي الأرض إليه، وفي البحار إليه، وفي كل مكان إليه. فقال هشام: فقدمت فأتيت أبو شاكر فأخبرته، فقال أبو

١- بحار الأنوار ١٠: ٢١٠.

٢- ينسب أبو شاكر إلى الديصانية، وهي فرقـة دهرية، وأتباعها أصحاب ديانـة الذين أثـبـوا أصلـين نوراً وظـلـاماً؛ فالنـور يـفـعـلـ الخـيـرـ، وـالـظـلـامـ يـفـعـلـ الشـرـ طـبـعاًـ وـاضـطـرـارـاًـ، فـمـاـ كانـ مـنـ خـيـرـ وـنـفـعـ وـطـيـبـ وـحـسـنـ فـمـنـ النـورـ، وـمـاـ كـانـ مـنـ شـرـ وـضـرـ وـنـشـ وـقـبـحـ فـمـنـ الـظـلـامـ، وـزـعـمـواـ أـنـ النـورـ حـيـ عـالـمـ قـادـرـ حـسـنـ دـرـاكـ، وـمـنـهـ تـكـوـنـ الـحـرـكـةـ وـالـحـيـاـةـ، وـالـظـلـامـ مـيـتـ جـاهـلـ عـاجـزـ جـمـادـ مـوـاتـ لـاـ فـعـلـ لـهـ وـلـاـ تـمـيـزـ. يـنـظـرـ: بـحـارـ الـأـنـوـارـ ٢١١: ٣ وـ ٣٢١.

٣- المـزـخرـفـ: ٨٤.

شاكر: هذه نقلت من الحجاز<sup>١</sup>.

وقد سأله أبو شاكر هذا هشام بن الحكم: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تكبر ولا تصغر الدنيا؟ فسأل هشام الصادق عليهما السلام عن ذلك، فقال الصادق عليهما السلام: إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها، قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لاتصغر الدنيا ولا تكبر البيضة. فعلم الديصاني أن هشاما دخل على أبي عبد الله عليهما السلام فعلمه الجواب، فمضى حتى أتى باب أبي عبد الله عليهما السلام فاستأذن عليه فأذن له، فلما قعد قال له: يا جعفر بن محمد، لأنني على معبودي! فقال له أبو عبد الله عليهما السلام: ما اسمك؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه، فقال له أصحابه: كيف لم تخبره باسمك؟ قال أبو شاكر: لو كنت قلت له: عبد الله، كان يقول: من هذا الذي أنت له عبد؟ فقالوا له: عد إليه فقل له بذلك على معبودك ولا يسألك عن اسمك، فرجع إليه وسأله ذلك، فقال الصادق عليهما السلام: اجلس، فإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال أبو عبد الله عليهما السلام: ناولني يا غلام البيضة، فناوله إليها، فقال أبو عبد الله عليهما السلام: يا ديساني، هذا حِصن مكون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبَة مائعة وفضة ذاتية، فلا الذهبَة المائعة تختلط بالفضة ذاتية، ولا الفضة ذاتية تختلط بالذهبَة المائعة، هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها، لا يدرك للذكر خلقت أم للأئمَّة، تنافق عن مثل ألوان الطواويض، أترى لها مدبر؟ فأطرق أبو شاكر مليأً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّك إمام وحجَّة من الله على خلقه.

وأنا تائب مما كنت فيه<sup>١</sup>. فترى الصادق عليه السلام هنا يمارس دور الأستاذ والباحث والمعلم في هذه الجامعة العلمية الحرّة المفتوحة لكلّ الفرق والمذاهب والأديان. وقد كانت هذه الجامعة سداً منيعاً قوياً بوجه الموجات الضالة والممارقة التي حاولت تمزيق ثقافة المسلمين وتشويشها.

ولم يكن الإمام موسى بن جعفر رض بعيداً عن هذه الجامعة وعن الحوارات التي كانت تجري فيها، وكان الإمام الكاظم رض يشارك في بعض حواراتها وما يثار فيها من مسائل علمية، وكان رض يعد العدة لاستكمال مسيرتها. ويصف الأديب سليمان كتاني هذا الدور الذي كان يتظاهر به رض قائلاً: وقبل أن يرحل الإمام الصادق لمقابلة ربّه بعده شهر استدعى إليه ابنه موسى، وكان يدور بعمره حول العشرين وقد أضحت يعاونه كأستاذ في إدارة شؤون الجامعة، قال له: لست أطّلتك الآن إلا المتسع بجميع ما أنت متدب إليه في توّلي الإمامة والسير بها بحكمة وصبر وحسن روية. وإنّي على ثقة تامة بك بعد أن أحطتك بكلّ المعلومات المتعلقة بالأمة والإمامية.<sup>٢</sup>

وأكمل الإمام الكاظم رض هذا الدور في مدة إمامته التي امتدت من خلافة المنصور حتى خلافة هارون الرشيد لم يفتر فيه رض عن مكافحة الإلحاد والانحراف والتتصدّع والضعف الذي دبّ في جسم الأمة الإسلامية.

وكان جهاد الإمام الكاظم رض في ميدان الثقافة والعلوم أكبر من أن تخفيه أفلام أو تحده صحف، فقد حدث صحابته عنه رض من الأحاديث التي غطّت أصول الدين وفروعه. وكان من كثرة المراجعات والمسائل والقضايا التي ترد على الإمام موسى بن جعفر رض في زمان عزّ الدولة العباسية وشموخها

١- بحار الأنوار ٤: ١٤٠، وج ٣١٣.

٢- الإمام الكاظم ضيوء مقهور الشعاع ٨١.

وهذا التوسيع والشمول في الدور الذي أراده الله له أشار حسد وغيره السلطان العباسى، فزاد من التضييق عليه عليه السلام وعلى أصحابه وشيعته ومن يتصل به، فاضطررته الأوضاع هذه، وكذلك اضطررت أصحابه وعامة شيعته إلى التقى في ذكره والإشارة إليه في المكاتبات والمحاطبات والاتصالات، لتلا يقعوا في حرج من ذلك، فقد كثُرت الروايات عنه بأوصافٍ وكُنْيٍ وألقاب متعددة، فلا عجب أن امتلأت كتب الشيعة بكُنْيٍ أبي إبراهيم وأبي الحسن وأبي الحسن الأول، وبالوصف بالعبد الصالح والفقير والشيخ وغير ذلك من الألقاب والكنى والأوصاف التي تحكي سعة علم الإمام عليه السلام وتصديه للإجابة عن معضلات هذه الأمة ودفاعه عن دينها ورسالة أجداده الطاهرين. وكان

١- وقد أشار الشيخ الصدوق إلى ذلك بالقول: لم يكن موسى بن جعفر عليه السلام من يجمع المال، ولكنه حصل في وقت الرشيد وكثير أعداؤه ولم يقدر على تفريغ ما كان يجتمع إلا على القليل من يثق بهم في كتمان السر، فاجتمعت هذه الأموال لأجل ذلك. عيون أخبار الرضا ١١٤.

## □ الإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> شمس في ظلمات السجون

هذا هو السبب والداعي لأن ينتفأ بالإمام أثناء إقامته في يثرب جمع غفير من كبار العلماء ورواة الحديث ومن تلذموا في جامعة أبيه الكبرى، فزود الفقه الإسلامي ببطاقات كبيرة من آرائه الحصيفة، ولهذا تُنسب له مجموعة كثيرة من الأحكام الإسلامية التي دوّنت في موسوعات الحديث والفقه.<sup>١</sup> لكن الدولة التي عاصرها الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup> لم تُطبق ذلك منه<sup>عليه السلام</sup>، فكان ما جرى له من ويلات ومحن صبّتها هذه الدولة عليه.

---

١- ظهرت ودُوّنت في الكتب الأربع للشيعة. ينظر: الأئمة الاثنا عشر ١٨٦.

## علي بن عبد الله العباس وأحلام الدولة

يعود أصل الدولة العباسية ونسبها القريب إلى علي بن عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب، الذي ولد في حياة علي عليهما السلام. وفي بعض الأخبار أنَّ الذي سُمِّيَ وَكَنَّاه ولقبه بأبي الأملالك هو الإمام علي عليهما السلام، وذلك لما ولد علي بن عبد الله بن العباس أخْرَجَه أبوه (عبد الله بن عباس) إلى علي عليهما السلام، فأخذَه علي عليهما السلام وتقلَّ في فيه وحْنَكَه بتمرة قد لا يَكُنْها ودفعه إليه وقال له: خذ إليك أبا الأملالك. ويقال إنَّ علياً بن عبد الله بن عباس هذا ولد يوم قتل علي عليهما السلام، فسُمِّيَ أبوه باسمه وَكَنَّاه بكتينته. ولكن الأشهر أنَّ علياً هذا ولد في حياة

---

١\_ البداية والنهاية ٣٥١ : ٩

٢\_ بحار الأنوار ٤١: ٣٥٣. روى أبو العباس المبرد أنَّ عَنْيَاً عليهما السلام اتَّقدَ عبد الله بن العباس فقال: ما بال ابن العناس لم يحضر؟ فقالوا: ولد له مولود. فلما صلَّى علي عليهما السلام قال: امضوا بنا إليه. فأتاه فهناه فقال: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، ما سُمِّيَتْه؟ قال: أو يجوز لي أنْ أسُمِّيه حتى تسمَّيه؟ فأمر به فأخرج إليه. فأخذَه وحْنَكَه ودعا له، ثمَّ رَدَه إليه وقال: خذ إليك أبا الأملالك، قد سُمِّيَتْه علينا وَكَنَّاه أبا الحسن. الكامل في اللغة والأدب ١: ٣٦٧.

٣\_ البداية والنهاية ٣٥١ : ٩

١٢٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

عليهما السلام

وفي رواية عماد الدين الطبرى من أعلام القرن السابع الهجرى أنه ولد عبد الله بن عباس ولد، فلقيه فى قماط وجاء به إلى أمير المؤمنين عليهما السلام، فقال أمير المؤمنين: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، خذ إليك أبا الأملأك، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين سمه وكنته، فقال علي عليهما السلام: سميته عليناً وكنته أبا الحسن.<sup>١</sup> قال ابن عباس: صيفه، فقال علي عليهما السلام: هو أبو الملوك الأربعين، قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين صفهم، فوصفهم أمير المؤمنين عليهما السلام كما هو مسطور في خطبته، إلى أن قال: والله، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والهنود والسند والبربر على أن يزيلوه ما أزالوه.

ويشير المؤرخون إلى أن علي بن عبد الله كان على زهادة وحسن مظهر إلا أنه لم يكن متفاعلاً على ما يبذو مع عقائد الشيعة القائلة بوجود إمام معصوم يرجع إليه الخلق في زمانه. ويروى المجلسي أن غانم بن أم غانم كان يحمل معه حصاة لا يختتم على هذه الحصاة إلا إمام معصوم، فلما أتصل هذا بعلي بن عبد الله أخذها منه واستخف به وكذبه.

ويحمل علي هذا في محيطه أمالاً عريضة وأحلاماً طاغية كانت تملأ رأسه بأن يملك زمام الأمور ويلج هو أو أولاده قصور الخلافة الراوية، وتطأ أقدامه

١- يروى ابن الجوزي أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان كان متزعجاً من تشابه الاسم والكنية له مع علي عليهما السلام، فقال له عبد الملك: لا أحتمل الاسم والكنية، فغير كنيته فصيّرها أبا محمد. صفة الصفة ٢: ٦٢.

٢- تحفة الأبرار في مناقب الأنفة الأطهار ٨٩

٣- ينظر: بحار الأنوار ٤٦: ٣٥. وقد وردت نحو هذه الرواية مع هذه الحصاة عن أم سليم، وهي امرأة من النمر بن قاسط. ينظر بحار الأنوار ٢٥: ١٨٥.

أو أقدامهم أعتاب السلطة التي كان يسهل لها العاب بني العباس. فحلم الخلافة كان يسيراً مع خطواته التي يخطوها، وتزايد وتشعّ أحلامه وأحلام بنيه يوماً بعد يوم، فلم تكن لهم أحدوثة غير السلطة والخلافة، ولذا لم يكن يدور في خلده وخالد أولاده غير هذا الحلم الكبير، فلم يكن ينفك في مبادئ أو مثل يخوض لها معركة رسالية فاصلة، وإنما كانت خطواته وحركاته التي حسّس عليها أنفاسه هي السلطة لا غير، لذا فالاتصال بيني أمية أو غيرهم لم يكن يشكل لديه مشكلة، فالفاصلة والفجوة الرسالية لم تكن واسعة بينه وبين البيت الأموي، أو كأنها لم تكن. ومن هنا تحدث المؤرخون عن تواصل أموي عباسى بيته وبينهم، نظراً للموادعة التي أظهرها العباسيون للحكومة الأموية. وكان سبب اتصال عليّ بن عبد الله بالحكام الأمويين هو مواجهة عبد الملك بن مروان لكثير من المشاكل السياسية، فقد ثار الشيعة التوابون في بلاد العراق مطالبين بثأر الحسين عليه السلام، ثم ثأر المختار بن أبي عبيدة الثقفي في العراق أيضاً. كما كان عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز لا يزال مسيطرًا على بعض الأمصار الإسلامية، ولذا رأى عبد الملك بن مروان استعماله البيت العباسى باعتباره الفرع الهاشمي الذي أثر الهدوء، في حين ظلّ العلويون معلنين ثورتهم وسخطهم على الدولة الأموية. ولذا استعمال عبد الملك بن مروان عليّ بن عبد الله وأغدق عليه الهدايا والصلات، ثم أقطعه قرية الحُمَيْمَة في أرض الشّرارة من ناحية البلقاء في شرق الأردن، ومنحه قدرًا كبيراً من المال ليبني له فيها قصرًا، وبنى بعض العباسيين دورهم حول القصر، وأصبحت الحُمَيْمَة مركزاً للبيت العباسى بدلاً من الطائف التي كان عبد الله ابن العباس قد انتقل إليها<sup>١</sup>. وكانت هناك شرارة من نار أموية كادت أن تحرقه

١- جهاد الشيعة في العصر العباسى الأول .٧٠

## ١٢٢ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

تحرقه من قبل جيش مسلم بن عقبة لما استباح المدينة في واقعة الحرة، إلا أن أخواه من كندة وأناساً من ربيعة كانوا في جيش مسلم منعوا هذه الشرارة أن تصل إليه أو تحرقه، فقال عليّ بن عبد الله في ذلك شعرًا:

أبي العباس قرم بنى لؤيٌ وأخواли الملوك بنو وليعه٢

ولم يُشر مصدر تاريخي إلى خلاف حقيقي كان له مع حكامبني أمية، بل أنه كان متواصلاً معهم. ويروى أنه وفد عليّ بن عبد الله على عبد الملك بن مروان وأجلسه مجلسه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره، فقال له عبد الملك: ألك ولد؟ قال: نعم، ولد لي ولد سمّيته محمدًا، فقال له عبد الملك: أنت أبو محمد.<sup>٣</sup> وأجزل عطائه وأحسن إليه.

لكنَّ الأمر لم يستمر طويلاً بهذا الشكل، فقد توترت وسائط علاقته معهم حينما تزوج عليّ بن عبد الله لبابة بنت عبد الله بن جعفر التي كانت تحت عبد الملك بن مروان فطلّقها. وكان سبب طلاقه إياها أنه عضَّ تفاحاً ثمَّ رمى بها إليها فأخذت السكين فحزَّت من التفاحة ما مسَّ فمه منها، فقال: ولم تفعلين هذا؟ فقالت: أزيل الأدي عنها، وذلك لأنَّ عبد الملك كان أبخر، فطلّقها عبد الملك، فلما تزوجها عليّ بن عبد الله هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك فضربه بالسياط وقال: إنما أردت أن تذلَّ بنيها من الخلفاء، وضربه مرة ثانية لأنَّه اشتهر عنه أنه قال: الخلافة صائرة إلى بيته. ولكنَّ الأمويين لم يكونوا يكترون لما يقول، ولذا لم يتذدوا موقفاً حازماً معه، أو ي فعلوا معه كما كانوا يفعلون مع من يتسبَّ إلى الأئمة المعصومين أو من والاهم من آل

١- مروج الذهب: ٧١.

٢- أشرنا فيما تقدَّم إلى أنَّ عبد الملك كان لا يرحب في كنيته التي طرق بها وهي أبو الحسن، فلذا قال لها: أنت أبو محمد، إرادة منه في تغيير كنيته الأولى أبي الحسن.

عليّ<sup>ع</sup> في مثل هذه المواقف.

وذكر المبرد أنه دخل عليّ بن عبد الله بن العباس على هشام بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه السفاح والمنصور وهما صغيران، فأكرمه هشام وأدى مجلسه فأواسع له على سريره وسأله عن حاجته، فقال: ثلاثون ألف درهم على دين، فأمر بقضائها. وقال له عليّ بن عبد الله: وتسوّصي بابني هذين خيراً، ففعل فشكّره وقال: وصلتك رحمة. فلما ولى عليّ قال الخليفة لأصحابه: إنّ هذا الشيخ قد اختلط وأحسن وخلط، فصار يقول: إنّ هذا الأمر سيتقلّل إلى ولده، فسمع ذلك عليّ فالتفت إليه فقال: والله ليكون ذاك وليملكن هذان<sup>١</sup>. وظلّ عليّ بن عبد الله بن العباس مقیماً على الحال التي كان عليها في بلاد الشام بعد أن أقطعه بنو أمية قرية الحميمة بالشراة هناك، وهي صيق بالشام في طريق المدينة من دمشق بالقرب من الشويك، وهو من إقليم البلقاء، فأقام بها وفيها ولد أكثر أولاده، وكانت وفاته سنة ١١٧. وأعقب عليّ اثنين وعشرين ولداً ذكراً وإحدى عشرة أنثى، وذكور أولاده هم: محمد، وداود، وعيسي، وسليمان، وصالح، وأحمد، وبشر، ومبشر، وإسماعيل، وعبد الصمد، وعبد الله الأكبر، وعبد الله، وعبد الملك، وعثمان، وعبد الرحمن، وعبد الله الأصغر، ويحيى، وإسحاق، ويعقوب، وعبد العزيز، وإسماعيل الأصغر، وعبد الله الأوسط. ستة منهم لا عقب لهم، والباقيون أعقّبوا كثيراً. ومنهم انتشر البيت العباسى وكثير جداً، وبيت الخلافة في محمد أكبر أولاده<sup>٢</sup>. ويعبد محمد أكبر أولاد عليّ بن عبد الله قائد التنظيم السري العباسى مؤسّسه الحقيقي، ويطلق

١- ينظر: الكامل في اللغة والأدب ١: ٣٦٨

٢- الدولة العباسية ٩

١٢٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

عليه الإمام<sup>١</sup>. وكان محمد قد تصدر لإمامية الشيعة للدعوة في حياة أبيه ليديلي بالأمر من بعده إلى ابنه إبراهيم.<sup>٢</sup>

وبعد إبراهيم تداول الدعوة والدولة الخلفاء العباسيون الأوائل، ومنهم امتدت عري الدولة وأركانها على مدى خمسين عاماً، عاصر ستة من الأئمة المعصومين عليهم السلام جانياً من زمان هذه الدولة بما قدر لهم من عمر، فكان لهم من العنط والأذى نصيب تراوح بين خليفة عباسي وأخر حتى انتهى بغيبة الإمام الثاني عشر غيبة قدر الله فيها له ما شاء حتى يظهر.

---

١- العصر العباسى، موسوعة التاريخ الإسلامى .٨

٢- تاريخ الشعوب الإسلامية .١٦٦

## المعارضة السياسية وفرقها

كانت خريطة المعارضة السياسية للحكم الأموي واسعة وكبيرة، وأخذت حركات الخوارج والجبهة الهاشمية موقعاً بارزاً وملحوظاً في هذه الخريطة. وبعد الحزب الخارجي من الأحزاب القوية والمقلقة للدولة الأموية آنذاك. وقد أفرزت معركة صفين هذا الحزب المعارض، فحين رفع أهل الشام المصاحف على أسنة الحرب ودعوا إلى تحكيم كتاب الله وأدرك عليّ بن أبي طالب رض الحيلة فلم يقبل بذلك، لكنه أجبر على إصدار الأوامر بإيقاف الحرب وقبول التحكيم، وتقدّم الأشعث بن قيس وفرض نفسه ممثلاً لعليّ رض في مفاوضاته مع معاوية، وتبنّى الأشعث بن قيس اقتراح معاوية الذي يقوم على أن يختار كلّ فريق من يمثله ليقرّ حكم القرآن فيمن هو الأحقّ منهما بالخلافة. عرض ابن الأشعث ذلك على جيش الإمام عليّ، فوافقوا عليه دون استشارته رض واختاروا دون موافقته أباً موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص. وحدّد الطرفان دومة الجندي مكاناً للاجتماع، على أن يكون في شهر رمضان، وكتبوا وثيقة بذلك. وأتوا لمعاد الحكم بعد أشهر، مع كلّ حكم طائفة كبيرة من أشراف الناس؛ فبعث على رض

أبا موسى الأشعري، وبعث معاوية عمرو بن العاص، فاجتمع الحكمان بذؤمة الجندي، وهي مسيرة عشرة أيام من دمشق، وعشرة من الكوفة، وعشرة من المدينة، فلم ينبرم أمر، ورجع الشاميون فباعوا معاوية.<sup>١</sup> ثم عاد علي عليه السلام بعد ذلك مع أتباعه إلى العراق، وقد وقع الانقسام في صفوفهم وكانوا يتشاركون ويتضاربون في الطريق، وانفصل عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام اثنا عشر ألفاً رفضوا العودة معه إلى الكوفة، وساروا إلى قرية حَرُوراء حاملين شعار: لا حكم إلا لله! في حين عاد جند معاوية وهم متّحدون متضامنون.<sup>٢</sup> وبذلك تشكّلت قوّة سياسية وعقارنديّة جديدة رفضت القوى والسمّيات المألوفة في الساحة الإسلامية، طارحة رؤيتها الصدامية الرافضة، وكان أول منازلة لها مع الجبهة العلوية بعد مناشدة ومناظرة أجرهاها على عليه السلام معهم، ليعودوا إلى صفة

١- دول الإسلام للذهبي ١ : ٢٩ .

٢- العصر الأموي، موسوعة التاريخ الإسلامي ٦٠ .

٣- ذكر العبرد أنَّ علياً عليه السلام ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس. فكان متنا قال لهم: أتعلمون أنَّ هؤلاً القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم: إنَّ هذه مكيلة ووهن، وأنتم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني. ثم سألهما التحكيم أفعلتم آنَّه كان منكم أحد أكْرَه لذلك مَنْ؟ قالوا: اللهمَّ نعم، قال: فهل علِمْتُم أنَّكُم استكروهتموني على ذلك حتى أحبتكم إليه، فاشترطت أنَّ حكمهما نافذ ما حكم الله عزَّ وجلَّ، فإن خالفاء فأنتم من ذلك براء، وأنتم تعلمون أنَّ حكم الله لا يدعوني. قالوا: اللهمَّ نعم - وفيهم في ذلك الوقت ابن الكواه - وهذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب، فإنما ذبحوه يكسرون في الفرقة الثالثة. فقالوا: حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرؤون بإنَّا قد كفربنا، ونحن تائبوه فأقررت بمثل ما أقررتنا وتب نهض معك إلى الشام. فقال: أما تعلمون أنَّ الله جلَّ شأنه قد أمر بالتحكيم في شفاق بين رجل وامرأة، فقال تبارك وتعالى: «فَابقُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ» (النساء: ٣٥) وفي صيد أصيـبـ في الحرم كأربـبـ يساويـ ربـ دينـارـ، فقال عزَّ وجلَّ «يَحْكُمُ بـهـ ذـوا عـدـلـ

وصف جماعة المسلمين، فعاد جمع منهم إلى صفة الجبهة العلوية، لكن هناك من ركبه العناد والجهل فواصل عناده واحتكم للرماح، مما كان من على<sup>ي</sup> إلا توجيه سيفه تحومه بضربة قوية كادت أن تستأصلهم، ولكن قادر لهذا العدد المحدود أن يتکاثر ويترك أثراً كبيراً في تاريخ المسلمين. ولم يكن مقدراً للضربيات التي وجهها على<sup>ي</sup> لهذا الحزب - رغم قوتها وقدرتها - أن تمحو وجود هذا الحزب أو تخرجه من الساحة السياسية، بل ظلت أنفاسه توقع أثراً، وظل ينمو ويتشعب داخل صفوف المسلمين الذين استأعوا وامتعضوا من تسلط البيت الأموي على رقاب الأمة.

وروي عن الصادق<sup>ع</sup> القراءة المستقبلية للخوارج، فقال<sup>ع</sup>: ذكرت الحرورية<sup>١</sup> عند علي<sup>ع</sup> فقال<sup>ع</sup>: إن خرجوا من جماعة أو على إمام عادل

ِنِّكُمْ (الماندة : ٩٥). قالوا: إنَّ عَمَراً لَمَّا أُبَيَّ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ فِي كِتَابِكَ: هَذَا مَا كَتَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَحْوَتْ اسْمَكَ مِنَ الْخِلَافَةِ وَكَتَبَتْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَيْ بَرْسُولُ اللَّهِ أَسْوَهُ حِسْبَنَةٍ أَسْوَهُ أَبِي سَهِيلِ بْنِ عُمَرٍ وَأَنْ يَكْتُبَ: هَذَا كِتَابُ كَتَبَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَسَهِيلٌ بْنُ عُمَرٍ، فَقَالَ: لَوْ أَفْرَدْنَا بِإِنْكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا حَالَفَنَاكَ وَلَكُنْيَ أَقْدَمْكَ لِفَضْلِكَ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَيْ: يَا عَلِيَّ امْحُ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَلَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَسْخُنْ نَفْسِي بِمَحْوِ اسْمِكَ مِنَ النَّبِيَّةِ، فَقَالَ<sup>ع</sup>: قُنْيَ عَلَيْهِ فَمَحَاهُ بِيَدِهِ<sup>ع</sup>، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ إِلَيْيَ فَقَالَ: يَا عَلِيَّ، أَمَا إِنْكَ سَتَسْأَمَ مِنْهَا فَتَعْطِيَ فَرَجَعَ مَعَهُمْ أَلْفَانَ مِنْ حَرَوْرَاءَ، وَقَدْ كَانُوا تَجْمَعُوا بِهَا فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ: مَا تَسْمِيكُمْ؟ ثُمَّ قَالَ: أَنْتُمُ الْحَرَوْرَةَ، لَا جَمَاعَكُمْ بِحَرَوْرَاءِ، الْكَامِلُ فِي الْلُّغَةِ وَالْأَدَبِ ٢: ١٣٦، ١٣٥.

١- الحرورية: هم أصل ظهور هذه الفرقـة ونواتها العقائدية والسياسية. لكن عذـها أغلب المؤرخـين طائفة من الخوارج تسبـوا إلى حرورـاء، وهو موضع في صحراء الكوفـة كان أول اجـتماع الخوارج فيه. وذلك لـما وصلـ على<sup>ي</sup> إلى الكوفـة فاعتـزلـ جـمـاعة مـن رأـوا التـحـكـيم ضـلاـلاً، فـأـتوا حرـورـاء وـنـزـلـوا بـهـا فـي اثـيـ عشرـ ألفـاً، وـأـمـروا عـلـى القـتـالـ شـبـيثـ بنـ زـبـعيـ، وـعـلـى

فقاتلواهم، فإن لهم في ذلك مقلاً<sup>١</sup>. فالخوارج لهم فلسفة سياسية وعقائدية ولهم فقههم الخاص بهم، وكان علي عليه السلام متفهمًا لهم، ولذلك حين سُئل عليه السلام أكفارهم؟ قال عليه السلام: من الكفر فرروا، فقيل له عليه السلام: متفقون؟ فقال عليه السلام: إن المنافقين لا يذكرون الله بكرة وأصيلاً، هم قوم أصابتهم فتنَة فعموا وصموا<sup>٢</sup>. ونحو هذا ينسب إلى واصل بن عطاء أنه قال : الخوارج لا مؤمنون ولا كفار، فطرده الحسن من مجلسه<sup>٣</sup>.

ومع هذه الفتنة والحيرة التي كانوا عليها في فهم النصوص الدينية أسلّموا بإضعاف الدولة الأموية وزعزعوا استقرارها بالثورات العارمة المتأتية، وبالنظريات والأفكار التي كانوا يشوروها بين صفوف المسلمين. وقد انعكس هذا الفكر الخارجي على أوضاع البصرة التي اضطربت وكانت أن تخرج من قبضة السلطة الأموية، فقد كانت الأوضاع الاجتماعية والسياسية متدهورة هناك عند مجيء زياد بن أبيه. ويبدو ذلك واضحًا من مضمون الخطبة التي ألقاها زياد على أهل البصرة عندما وصل إليها. وقد حاول زياد إصلاح الأوضاع هناك، كما أشار في خطبه هذه، فتصدى زياد للخوارج وقمع حركتهم بشدة؛ لأنَّه رأى أنَّ هؤلاء هم المسؤولون عن قيام الاضطرابات وعدم الاستقرار في الولاية<sup>٤</sup>. ولكنَّ حركة الخوارج لم تتراجع أو تستسلم

الصلة عبد الله بن الكوثر الشكري. ينظر: إتمام الوقائع في سيرة الخلفاء ٢١٦. مجمع البحرين للطريحي (حرز).

١- علل الشرائع للصدوق ٦٠٣.

٢- مجمع البحرين للطريحي ٢٩٤ (حرج).

٣- شعرات الذهب في أخبار من ذهب ١: ١٨٣.

٤- الإدارة، أمراء وولاة العراق وسلطاناتهم، حضارة العراق ٦: ١١٤.

لهذه الضغوط والضربات الموجعة المتتالية التي تلقتها في البصرة وغيرها من الأقاليم الإسلامية، بل راحت تلملم صفوفها وتعيّن أفرادها وتعيد تنظيم قواها لتنقض في مكان وزمان آخر، وأبرز فرقهم آنذاك كانت هي فرقة الأزارقة والإباضية. وكان العراق ساحة خصبة لثوراتهم وانتفاضاتهم المتعاقبة لفرقهم. وقد أخذت جماعة نافع بن الأزرق استعدادها وأهبتها للمنازلة، فكانت قوّةً وشوكةً للأزارقة قد اشتدت سنة ٧٤<sup>١</sup>.

والظاهر أنَّ فرقة الأزارقة قد تبرَّعت بذرتها في تلك الفترة هناك أكثر من غيرها من الفرق الملحوظة بالخوارج، نظراً لقوتها التنظيمية والتلاف أ أصحابها حول قائدتهم، وقد يكون تذمر الناس من ولادة الأمويين هناك من العوامل المساعدة للأزارقة. وكانتوا يرون أنَّ جميع الناس سوى الخوارج كفرة يجب أن يُقتلوا مع نسائهم وأطفالهم<sup>٢</sup>، إلا أنَّ سائر الفرق من الخوارج لم تكن بهذا التحول من التطرف، والفرقة التي أطلق عليها اسم الإباضية كانوا أكثر اعتدالاً منهم، فلم يقولوا بمقولة الأزارقة في سفك الدماء، فبقيت منهم بقية صمدت بوجه الدول وأعاصير الزمان وحافظت على تماسكها التنظيمي والعقائدي،

١- الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق بن قيس البكري الواثلي من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس، وله عنه مسائل رواها عنه، توفي سنة ٦٥٠. ينظر أعلام الزركلي ٧٨، والإباضية: هم أتباع عبد الله بن إياض التميمي المتوفى سنة ٨٠. أعلام الزركلي ٤: ٦١، ولهم فرق أخرى منها: والمحكمة والتجداد والبيهسيّة والعجارة والتعالية والنصرية. ينظر: الملحق للشهرستاني ١: ١١٤ و ١١٥.

٢- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ١٤٩. ويصف عبد القاهر البغدادي مقالاتهم بالقول: زعمت الأزارقة أنَّ كلَّ كبيرة كفر وشرك، وأنَّ دار مخالفتهم دار كفر. وزعموا أنَّ كلَّ من أقام في دار الكفر فهو كافر وإنْ كان على رأيهما. وزعموا قتل الأطفال، وزعموا أنَّ أطفال مخالفتهم مخلدون في النار، وأنكروا الرجم الملل والنحل ٦٣.

## ١٣٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

فاستقر لهم وجود في سلطنة عمان وعدد من دول الشمال الإفريقي .<sup>١</sup>  
وعموم فرق الخوارج كانت ترى ضرورة الثورة والانتفاضة ضد حكام  
وولاة الجور، فأوجبوا لذلك الخروج على الإمام العجائر، فخاضت فرقهم  
بمجموعها معارك شرسة وضاربة مع رجال السلطة الأموية.<sup>٢</sup>

١ - ينظر: موسوعة جمال عبد الناصر الفقهية ١: ٣٦.

٢ - يعتقد الخوارج أن الإمامة تكون في غير قريش، وليس محصراً بهم، وقالوا: كل من  
نصبه برأيه، وعاشر الناس على ما مثلوا به من العدل واجتناب الجور كان إماماً، وجوزوا  
أن لا يكون في العالم إمام أصلاً، وإن احتجي إليه، فيجوز أن يكون عبداً أو حرراً أو نبطياً أو  
قرشياً. العلل والنحل ١: ١١٦. كما أنهما اختلفوا مع سائر فرق المسلمين في تفصيلات  
الفروع الفقهية؛ فالMuslimون بمذاهبهم المشهورة وفرقهم الأخرى يسقطون الصلاة عن المرأة  
الحاضنة أيام حيضها إلا هم يوجبون على المرأة القضاء عمداً فاتها من صلاة واجبة كما  
تفضي الصوم الواجب عن أيام الصوم التي قعدت فيها. ينظر عمدة القاري شرح صحيح  
البخاري ٣: ٣٠٠. وهناك من يشكك في بدايات دخولهم إلى الإسلام على أساس أنهما دخلوا  
في الدين دخولاً قلقاً، فكان البعض يقول: بأن الخوارج كانوا عرباً من قبائل تميم وحنفة  
وربيعة الذين كان لهم في الجاهلية شأن كبير بين العرب، وقد اعتنقوا الإسلام لاعجابهم  
بمبادئه الديمقراطية، وأبلوا في الفتوح بلاعاً عظيماً، وطمعوا في مجد جديد يضيفونه إلى  
مجدهم التليد، ولكنهم غلبوا على أمرهم واستأثرت أرستقراطية مكة والمدينة، فأعادوا حركة  
الردة ولكن في صور إسلامية. وبدا هذا في موقفهم من التحكيم. ويؤيد ذلك أنهما على  
اختلاف فرقهم مجمعون على أن الخلافة ليست حقاً للقرشيين وحدهم وإنما هي حق  
لالأفضل من جميع المسلمين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم. وقد هيأا لهم هذا المبدأ  
الأنصار والأنبياء من الموالي وغيرهم ممن انضموا إليهم في حركاتهم في وجه الأمويين  
والعباسيين. هذا بالإضافة إلى أن أكثرهم كانوا من عرب البادية الذين دخلوا في الإسلام على  
فقرهم وسذاجة تفكيرهم، ومع أن الإسلام قد احتل جانباً من نفوسهم وقلوبهم إلا أنهما لم  
ينجروا من التزاعات القبلية، وظللت معهم تسيطر عليهم وتسيّرهم أحياناً من حيث لا

وأعنف المعارك التي خاضوها كانت مع الحجاج بن يوسف التقي، ففي سنة سبع وسبعين كانت للحجاج حروب مع شبيب الخارجي، فولى الحجاج عنه بعد قتل ذريع كان في أصحابه حتى أحصي عددهم بالقضيب فدخل الكوفة وتحصن في دار الإمارة، ودخل شبيب وأمه وزوجته غرالة الكوفة عند الصباح. وقد كانت غرالة نذرت أن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيها سورة البقرة وأل عمران، فأتوا الجامع في سبعين رجلاً، فصلوا به الغداة وخرجت غرالة مما أوجبته على نفسها. وكان عبد الملك بن مروان حين بلغه خبر هروب الحجاج وتحصنه في دار الإمارة بالكوفة من شبيب بعث من الشام بعساكر كثيرة عليها سفيان بن الأبرد الكلبي لقتال شبيب، فقدم على الحجاج بالكوفة، فخرجوا إلى شبيب فحاربوه فانهزم شبيب وقتلت غرالة وأمه<sup>١</sup>. ولكن أوار الخوارج لم ينطفئ بهذه المعركة التي فقدوا فيها عدداً من فرسانهم ورجالهم، وظلو يشاركون الهاشميين وغيرهم من قوى المعارضة السياسية في توجيه الضربات الموجعة والقوية في جولات وحروب متالية، وضفت دولـة بنـي أمـيـة في مرمـى السـهـامـ الثـائـرةـ التـيـ فـكـكتـ النـظـامـ السـيـاسـيـ وـجـعـلـتـهـ نـظـامـ آـيـاـ وـمـرـشـحاـ لـلسـقـوطـ وـالتـهـاوـيـ بـيـنـ لـحـظـةـ وـأـخـرـىـ. فـتـلـقـفـتـهـ صـبـيـانـ بـنـيـ العـبـاسـ فـيـ حـرـكـةـ أـبـيـ مـسـلـمـ الـخـراسـانـيـ وـأـنـصـارـهـ.

يشعرون، وهم بحكم طبيعتهم لم يتعودوا الخضوع للسلطان ولم يألفوا الحكم المفروض عليهم أن يعيشوا في ظله خاضعين لأنظمته وقوانينه، ولذا فإنهم لا يرون وجود العاـكـمـ منـ الضـرـورـاتـ الـأـمـلـحةـ. يـنظـرـ: الشـيـعـةـ بـيـنـ الـأشـاعـرـةـ وـالـمعـتـزـلـةـ .٢٩

<sup>١</sup>- مروج الذهب .١٣٩ .٣

## الرضا من آل محمد في رؤية الفرق السياسية

من المؤكّد أن التقلّل والحجم الأكبر والأقوى للمعارضة التي ناهضت الحكم الأموي كان يتوزّع على فرق الخوارج والجبهة الهاشمية وأنصارها باعتبارهما أهم كتلتين وأوسعهما آنذاك. ولم تكن الجبهة الهاشمية متّحدة ومتّفقة على قيادة موحدة واتّجاه واحد متّجانس يجمعها بكلّ فصائلها تحت عنوان مركزي واحد، إلا أنَّ هذه الجبهة كانت ترفع شعاراً عاماً ينصوّي تحته كلّ مظلوم وموتور يعبر عنه شعار سياسي عام «الرضا من آل محمد». وهذا الشعار الذي يستبطّن في مداريله مضموناً سياسياً ورسالياً أيضاً لا يمكن تعوييمه أو منحه لمن تستر به أو قال به أو رفعه.

وعلى العموم كان الشعار الذي غير التاريخ وقلب الدول وموازين القوى يحمل رسائل وأهدافاً ورؤى وعقائد، منها أن تكون عملية تسلّم زمام أمور السلطة السياسية وإدارة شؤون وأحوال المسلمين من اختصاص هذا البيت، أو من يخوله أو يرتضيه القائم والناطق باسم آل البيت، أو آل محمد<sup>عليهم السلام</sup>؛ لأنَّ تسلّم مقاليد السلطة السياسية وتدبير أمورها العامة في حال وضعها في هذا البيت النبوي يعني استمرار الخط الرسالي وديموّته، إذ إنَّ أئمّة أهل

البيت<sup>١</sup> هم دون سواهم المؤهلون إلهياً لإماماة البشرية وقادتها إلى الله عزّ وجلّ. واستمرار خطّ الرسالة في أهل البيت<sup>٢</sup> يبدو وكأنه قضية تكرير لرسول الله<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، باعتباره الرسول الخاتم، فأراد الله تعالى أن يكرمه بذلك، ويجعل ذلك نعمة منه سبحانه وتعالى على هذا عبده الذي أفنى وجوده في سبيل الله، من أجل تكامل مسيرة الإنسان، أو أن تكون القضية تعويضاً إلهياً عن الجهد التي بذلها في سبيل الله والحق والعدل والإنسانية، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: «قُلْ لَا أُسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ»<sup>١</sup>، فيكون أجراً له على ذلك. وإنما اختصّ هذا الأجر به دون سائر الأنبياء الذين أكد القرآن على أنهم لا يغدون أجراً على رسالتهم إلا الإيمان بالله تعالى؛ لأنَّ النبي<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup> قد بذل جهداً لم يبذل مثله أحد من الأنبياء، وقد تحملَ من الآلام والمحن ما لم يتحمله أحد قبله ولا بعده.

ولم يكن المسلمون آنذاك على وعي سياسي وعقائدي كامل لكي يفهموا المراد الحقيقي من هذا الشعار الذي احتوى المصطلح المشهور «آل البيت» أو «آل محمد» أو غيره من المصطلحات، لذلك تستَّر العباسيون من دعاة السلطة بمقولة آل البيت أو آل محمد<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، فانضموا تحت هذه العباءة التي وسعت كلَّ هاشمي ينشد الحقَّ الذي ضاع بين الشعارات والرايات المرفوعة كلَّ يوم مطالبة بالحقَّ المزعوم. وقد يكون للاضطهاد الذي كان يعانيه الهاشميون، أو الإبعاد العمدي أو الابتعاد الاضطراري عن المسار السياسي لهم ما هيأ الأذهان والأفكار القائلة بسعة هذا الشعار وعموميته. ولعلَّ محمد ابن الحنفية هو من الذين رأوا أنَّ آل البيت ورضاهم لا ينحصر في البيت

١- الشوري: ٢٣.

٢- ينظر: الإمامة وأهل البيت<sup>صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</sup>، النظرية والاستدلال، ٤٥.

١٣٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام شمس في ظلمات السجون

ولم يمض هذا الحدث بدون أثر سياسي يذكر، فقد أدت حادثة تنازل أبي

هاشم للإمام العباسى محمد بن علي إلى نتائج كثيرة هامة، فقد بدأ كل من العلويين والعباسيين يختطرون طريقهم الخاص الذى يوصلهم إلى الهدف الذى يطمح الفريقان إليه وهو الخلافة، فقد بدأ العباسيون يسعون من أجل توسيع الخلافة، كما استمر العلويون من أحفاد فاطمة فى كفاحهم ضد الدولة الأموية.<sup>١</sup>

وبدا لبني العباس أن ينافسوا أبناء عمّهم بني علي<sup>عليه السلام</sup> في طلب الخلافة، ولكنهم أثروا إلا يدعوا إلى أنفسهم رأساً؛ لأنَّ الموالي كانوا قد ألقوا في مواجهتهم إلى دعاة العلويين مرة واحدة، ففضل بنو العباس أن ينالوا بالدهاء ما أيقنوا أنَّهم عاجزون عن نيله بالقوة والغلبة<sup>٢</sup>، فركبوا أمواج النصوص المروية عن النبي<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> في الفتنة والמלחמות، وهي في الحقيقة لم تكن تعنى أكثرها بيني العباس ودولتهم، وإنما كانت تتحدى بعضها عن دولة آخر الزمان التي تعنى دولة الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup>، لكنهم هيأوا من الوعاظ والقصاصين وخطباء الزور، وإن كان بعضهم لا يعي ما يقول، لكنهم وظفوه في شبكة الدعاية العباسية المنظمة بمهارة فائقة.

وقد استغل التنظيم العباسى التنبؤات والملاحم الشعبية، فأشاعوا أحاديث

١- جهاد الشيعة في العصر العباسى الأول .٤٤

٢- يقول المؤذخون: إنَّ أبا مسلم الخراسانى كان في بدو أمره يدعوا إلى زجل من بني هاشم غير معين، ثمَّ أظهر في أيام الأخيرة الدعوة لإبراهيم بن محمد، وكان إبراهيم بحران، فقبض عليه مروان وجعل رأسه بحرب نورة وشنه عليه فمات غماً، وهرب أخوه عبد الله السفاح فتوارى بالكونفه حتى أتته جيوش أبي مسلم. بنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب .١:

.١٧٩

٣- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية .١٧٦

عن اللباس الأسود والرايات السود، وأنها ستظهر من المشرق وأنها متصرة لا محالة. ولم يكتف التنظيم العباسي بذلك، بل طرح شعارات عديدة متنوعة لكي يكسب كل الكتل المتذمرة من الحكم الأموي، وخاطب كل فئة باللغة التي تفهمها. ومن الممكن تلمس تلك الشعارات من الكتل والجماعات التي انضمت تحت لواء التنظيم العباسي والتي أيدت الثورة العباسية بعد ذلك. على أن الشعار الرئيسي الذي رفعه الثوار العباسيون كان للرضا من آل محمد يوضح إلى حد كبير أن العباسيين قد توجهوا بالدرجة الأساس نحو المسلمين من عرب وغير عرب<sup>١</sup>. في الإعداد للثورة وطرح المبادئ والأسس التي يتوصّلون بها إلى السلطة.

وتحدّث الدكتور سهيل زكار عن تاريخ الدولة العباسية قائلًا: إن العباسيين وصلوا إلى السلطة على طريق شرعية الثورة مع حق الميراث، وذلك بعد عمل دعوي منظم، فقد قالوا بأنه عندما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان واحد من أعماله حيًّا وهو العباس، وحيث أنه لم يكن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولد ذكر يرثه، ولما كان العَم بمنزلة الأب فال Abbas كان الوريث الشرعي الوحيد للنبي<sup>٢</sup>. ومن هذا المنطلق عدوا أنفسهم من آل البيت، أي أنهم هم المعنيون بالشعار السياسي والديني، وهم الذين يجب على الناس طاعتهم وإرضاؤهم وتسليم مفاتيح الحكومة والدولة الإسلامية وخرائطها بأيديهم دون غيرهم، فاستغلوا المسلمين، أو تستروا وراء الدعوة للرضا من آل محمد، ثم استغلوا في ذلك العاطفة العلوية عند جمهور الناس، كما استغلوا وجاهة العلوين عند الموالي خاصة. وكان المفهوم من الدعوة للرضا من آل محمد نقل الخلافة إلىبني علي بن أبي

١- العصر العباسى، موسوعة التاريخ الإسلامى .١٢

٢- أخبار القراءة في الأحساء - الشام - العراق - اليمن .١٧

طالب<sup>بِيَّنَ</sup>، ذلك لأنَّ الذين قاوموا الأمويين في قرن كامل من الدهر واستشهدوا في سبيل ذلك كانوا آل أبي طالب، وأنَّ علياً<sup>عَلَيْهِ السَّلَامُ</sup> وأبناءه هم أولى بهذا الأمر. ولكن العباسيين كانوا يضمرون أن يستبدوا بالخلافة لأنفسهم حين تظفر تلك الدعوة. وأبدى العباسيون براعة في سبيل دعوتهم للرضا من آل محمد، فقد بثوها في خراسان بين الفرس وفي بلاد ما وراء النهر بين الترك، ذلك لأنَّ سياسة الخلفاء الأمويين قامت على تقديم العرب في الولاية والقيادة على غير العرب<sup>١</sup>.

وهذا التمييز في السياسة الأموية الذي كان يجري ليس فقط بين العرب وغير العرب، إذ كان يجري بين العرب أنفسهم. فالعرب الذين استوطنا فرى مرو كانت لهم أسباب للتذمر ترجع إلى حرمانهم من الامتيازات التي يتمتع بها المقاتلة من العرب، ومنها حرمانهم من العطاء والمناصب السياسية والعسكرية والإدارية المهمة، ومما زاد تذمرهم أنَّ الوالي الأموي سلط عليهم الدهاقين لجباية خراج الأرض منهم. ومن الطبيعي أن يستاء هؤلاء العرب المسلمين من سيطرة الأمراء المحليين الذين كان أغلبهم غير مسلمين في ذلك الوقت. هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان للمقاتلة العرب أسباب للتذمر تتلخص أولاً: بإيقائهم على خطوط النار شتاءً، وهذا ما يسمى بالتجمير. وثانياً: كانوا لا يتسلّمون حصتهم من الفيء والغنيمة أحياناً، أو يأخذون أقلَّ من حصتهم. وثالثاً: كان ربع خراسان لا يصرف على خراسان وأهلها، بل غالباً ما يرسل كلَّه أو بعضه إلى دمشق. ورابعاً: النزاع المستمر بين شيوخ القبائل وبين الوالي للوصول إلى السلطة في خراسان. والوضع المرتكب في

---

١- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية .١٧٦

بلاد الشام أوجد عند القبائل الخراسانية نوعاً من القلق وعدم الاستقرار، ولذلك كانت الدعوة العباسية بالنسبة لهم أملاً جديداً لحياة أكثر استقراراً ويسراً<sup>١</sup>.

ويرى المؤرخ شمس الدين الذهبي أنَّ الناس كانوا يحبون آل العباس وألَّ على عليهم السلام ويودون أنَّ الأمر ينحِّي إلَيْهم، حبَا لآل رسول الله صلوات الله عليه وسلم، وبغضاً لآل مروان بن الحكم، فبقوا يعملون على ذلك زماناً حتى تهيأت لهم الأسباب، وأُقْبِلَت دولتهم وظهرت من خراسان<sup>٢</sup>.

والحق الذي يقال: على العموم كانت الدولة الأموية غير عادلة مع مواطنيها، وحتى الجنود الذين ترسلهم إلى أطراف الأقاليم وتُقذف بهم في أتون الحروب ولهمها لم ينالوا حقَّهم من الغنائم التي غنمتها رماحهم، وإنما كانت تقع في جيوب حفنة قليلة قربتهم السلطة وآثرتهم، إما من شعرائها ومذاخيها، أو من المغتَّلين والمطربين من الجواري والمخثَّلين الذين يصدحون لجلساتهم وأسمارهم، أو من الساقين والساكين الخمور في كؤوس فتيانهم ومجانهم، أو من عشاقهم الذين يطوفون حول قصورهم ويترئمون بامجادهم وأصنامهم ويرددون مقولاتهم الجاهلية. فهذا الوضع والتمييز والتبعيض الذي أحسَّه ورآه المسلمون في سياسة الأمويين أدى إلى استياء عارم بين صفوف المسلمين وحتى غير المسلمين، وبالأخصَّ الذين تشرفوا بالدين الإسلامي الحنيف الذي لا يرتضي التمييز والإقصاء العرقي والقومي والطبيقي، فتحرَّكت واستتعلَّت في نقوسهم شرارة الثورة والانتفاضة لتغيير الأوضاع وتصحيحها، فاستفاد بنو العباس من هذا الهيجان العاطفي

١- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية .٩

٢- سير أعلام النبلاء ٦ : ٥٨

الذي ظهر من هؤلاء الناقمين فصبوه باتجاه الثورة عند قيامها، بل صبروهم وقود الثورة ولهبها الذي أحرق الدولة الأموية وأحالها إلى رماد تطاير مع رياح الزمن العاصف.

وكان الخراسانيون وما اتصل بهم من بلاد ما وراء النهر يحملون تصوّراً عاماً بأنَّ آل محمد هم من ارتبط بالنبيِّ محمد<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> بصلة القرابة والنسب الهاشمي القرشي، فاستغلَّ العباسيون ودعاتهم هذا الأمر فلبسوا عليهم المعنى الحقيقي الذي هو أبناء على<sup>رضي الله عنهما</sup> من فاطمة<sup>رضي الله عنها</sup>، ولكن كان جماعة ونخبة من الدعاة يعرفون الحقيقة إلا أنَّهم ضاعوا واندمجوا بالمذهب العباسي الجارف، أو أنَّهم تربُّوا لحين استقرار الأمور وانكشفها، كما يظهر من موقف أبي سلمة الحال الذي انتظر الظرف المناسب لتحويلها ربما إلى رئيس البيت العلوي، كان يكون الإمام المعصوم، أو إلى شخص آخر يرضى به رئيس هذا البيت أو يشير إليه.

ويشير المسعودي في تاريخه إلى أنَّ أبي سلمة حفص بن سليمان حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب.<sup>١</sup> وفي رواية أخرى تنسب إلى أبي مسلم: لما بلغه موت إبراهيم الإمام وجّه بكتبه إلى الحجاز، إلى جعفر بن محمد<sup>رضي الله عنهما</sup> وعبد الله بن الحسن ومحمد بن عليّ بن الحسين يدعو كلَّ واحد منهم إلى الخلافة، فبدأ بجعفر<sup>رضي الله عنهما</sup>، فلما قرأ الكتاب أحرقه وقال: هذا الجواب، فأتى عبد الله بن الحسن، فلما قرأ الكتاب قال: أنا شيخ، ولكنَّ أبني محمدٌ مهديٌّ هذه الأمة، فركب وأتى جعفراً، فخرج إليه ووضع يده على عنق حماره وقال: يا أبي

## ١٤٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

محمد، ما جاء بك في هذه الساعة؟ فأخبره، فقال: لا تفعلوا، فإنَّ الأمر لم يأتِ بعد، فغضب عبد الله بن الحسن وقال: لقد كان علمك خلاف ما تقول، ولكنكَ يحملك على ذلك الحسد لابني! فقال: والله، ما ذلك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبناءه دونك، وضرب بيده على ظهر أبي العباس السفاح. ثمَّ نهض فأتبَعَه عبد الصمد بن عليٍّ وأبو جعفر محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن العباس فقال له: أنتَ تقول ذلك! قال: نعم، والله أقول ذلك وأعلمُه.

ويصف الذهبي علم أبي سلمة الخلال بالسياسة وهمته في تأسيس البناء العباسي وإخلاصه لهذه الدولة التي صنعتها بأمواله، فيقول: كان أدبياً عالماً بالسياسة والتدبير، وكان السفاح يأنس به لحسن مفاكهته، وكان من مماسير الصيارة بالكوفة، فأنفق أمواله في دولة بني العباس، وسار بنفسه إلى خراسان في هذا المعنى، وكان أبو مسلم الخراساني تابعاً له. وقد توهموا من أبي سلمة الخلال عند إقامة السفاح ميلاً إلى آل علي عليه السلام، فلما بُويع السفاح واستوزره بقي في النقوس ما فيها.

وهناك من يعتقد أنَّ السبب الرئيسي الذي دفع الخلال إلى الانحراف إلى العلوين هو طموحه السياسي ورغبته في الاحتفاظ بموقع قويٍّ في الدولة الجديدة جعله يخطط لترشيح خليفة علويٍّ ضعيف يختاره بنفسه، فيكون أبو سلمة المدبر الفعلي للدولة، وليس لل الخليفة غير الاسم. وكان أبو سلمة قد راسل ثلاث شخصيات من كبار العلوين عارضاً الخلافة لأحد منهم، وهم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، وعبد الله بن الحسن المحض، وعمر بن عليٍّ بن الحسن. وكان أبو سلمة الخلال قد أمر رسوله بأن يقابل أولاً جعفر

١- بحار الأنوار ٤٧ : ١٣٢.

٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٣ : ٦٣٤.

الصادق عليهما السلام ويعطيه الرسالة الخاصة به، فإن قبلها أعدّم الرسالتين الآخرين، وإلا ذهب إلى الثاني فالثالث. أما جعفر الصادق عليهما السلام فإنه رفض ذلك العرض رفضاً قاطعاً، حيث قال: وما أنا وأبو سلمة هو شيعة لغيري؟! وقام بإحرق الرسالة فور وصولها إليه. وأما عبد الله بن الحسن فقد قبل العرض، ولكنه تردد قليلاً، حيث توجه إلى جعفر الصادق عليهما السلام فحذره جعفر عليهما السلام من عاقبة ذلك.<sup>١</sup>

وعلى العموم كانت المعرفة المتحصلّة لدى النخبة من الدعاة والقادة للثورة الهاشمية ترى أنَّ العلوين هم أقرب إلى النبي عليهما السلام من العباسين؛ لأنَّهم يتصلون بالنبي عليهما السلام من جهتين: الجهة الأولى من جهة فاطمة عليهما السلام، والثانية من جهة علي بن أبي طالب عليهما السلام. وقد أقام العتاسيون حُقُّهم في الحكم بوصفهم وارثي بيت الرسول عليهما السلام كما أشرنا من قبل. ويقال: إنَّ العباسين أخذوا عن الفرس نظرية الحق الإلهي أو المقدس للحكام، بمعنى أنَّ الحاكم يتولى بتفويض مقدس من الله، وكلَّ حاكم لا يتسبَّ إلى البيت المالك ويتوَلِّ الملك يعتبر مغتصباً للحكم. وهكذا أصبح الخلفاء العتاسيون يحكمون بتفويض من الله، مما جعل خليفة مثل أبي جعفر المنصور يقول: إنَّما أنا سلطان الله في أرضه<sup>٢</sup>. والسلطان الذي أراده المنصور هو الخليفة الديني والسياسي الكامل، وهو باعتقاد الشيعة الإمام المعصوم، أو من ينوب عنه، أو يحظى برضاه وقبوله على الأقل. ويفهم من خطبة داود بن علي عم المنصور والسفاح حين خطب في أول قيام الدولة العباسية، أنَّهم كانوا يتسبّبون ببناء علي عليهما السلام ويَتَّخذون ظلامتهم جسراً ومعبراً لأهدافهم السياسية، فيقول في خطبته: الحمد

١- العصر العباسى، موسوعة التاريخ الإسلامى ٣٥ و ٣٧.

٢- المرجع في الحضارة العربية الإسلامية .٣٧

## ١٤٢ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

لله شكرًا الذي أهلك عدوتنا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. أيها الناس،  
الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها،  
وطلعت الشمس عن مطلعها، ويزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها،  
وعاد السهم إلى متزعه، ورجع الحق إلى نصابه في أهل بيتكم أهل  
الرأفة والرحمة بكم، والعطف عليكم، أيها الناس إنا - والله - ما خرجنا في  
طلب هذا الأمر لنكثر لجيئنا<sup>١</sup> ولا عقيانا<sup>٢</sup> ولا نحفر نهرًا، ولا نبني قصراً، وإنما  
آخر جتنا الألفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمّنا، وما كرها من أمركم.  
فلقد كانت أموركم ترمضنا<sup>٣</sup> ونحن على فرشنا، ويشتدا علينا سوء سيرةبني  
أمّة فيكم واستنزالهم لكم، واستشارة لهم بفيشككم وصدقاتكم ومحاذيمكم علينا. ثم  
قال: في آخر كلامه: ألا وإنّه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلا  
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد. وأشار  
إلى السفاح<sup>٤</sup> وهذه القناعة بعلي عليه السلام والاعتقاد به التي كان عليها العباسيون  
الأوائل لم تحصل لدى الأجيال العباسية اللاحقة، وإذا كانت لديهم قناعة  
بعلي عليه السلام فهم كانوا مرددين في أولاده المعصومين عليهم السلام بين السيف أو السجن  
أو الملاحقة والإبعاد عن الأمة، ومن هنّا لم تكن حياة الأنمة المعصومين عليهم السلام  
هادئة وطبيعية وخالية من التوتر مع سلاطين بني العباس، وكأنّهم نسوا أنّهم  
الآل الحقيقي الذين رفعوا لواء الرضا منهم.

١- التجين : الفضة. ترتيب جمهرة اللغة ٣: ٢٦٨.

٢- العقيان : الذهب الخالص، وقيل: ما ينبع منه نباتاً. لسان العرب (عقا).

٣- الإرماس: كلّ ما أوهج، يقال: أرمضني أي أوجعني، وارتضى الرجل من كذا، أي اشتدا عليه  
وأقلقه، وارتضت لفلان، أي حرست له النسان (رمض).

٤- الكامل في التاريخ ٥: ٦٦-٦٨

ولا مراء في أنَّ كون الخليفة من آل بيت النبوة أحبَّ إلى قلوب الجمهور في الأمم الإسلامية، وهم لهم أطوع؛ لأنَّ المؤثر الديني يكون مستحکماً، ولذلك صادفت الدعوة إلى أهل البيت نجاحاً عظيماً في صدر المائة الثانية من الهجرة. وكان البيتان العلوی والعباسي يسابق كلَّ منهما الآخر في القرب من رسول الله.<sup>١</sup>

وأتَخذ كلَّ من البيتين العلوی والعباسي أسلوبه وإعلامه الخاصُّ به في إثبات أحقيته بالحبل النبوي لكي يتمسّك به ليصل إلى مراده في إمامية الأمة وفق الشعار والراية الخفّاقة باسم الرضا من آل محمد. وقد أوجد العباسيون تياراً يقول بأنَّ الخلافة بعد النبي ﷺ من نصيب العباس عم النبي ﷺ، وهذا التيار شكّله جماعة أطلق عليهم الرواندية، وكانوا يشتمون أباً بكر وعمر وعثمان ويقولون إنَّ خلافتهم غير مشروعة، بل الخلافة لعليٰ عليه السلام؛ لأنَّ العباس صاحب هذا الحقَّ بايع علياً بها، وهم يستندون إلى الآية القائلة «وأولُوا الأرحام بعْضُهُمْ أُولَى بِيَعْضٍ»<sup>٢</sup>. ويقولون: إنَّ الأقرب هو العُمَّ أبي العباس، وعلىِّه هو ابن العُمَّ. وظهر هذا القول في أيام الخليفة المنصور ثمَّ المهدي، أي ما بين عام ١٣٦ إلى عام ١٦٩.<sup>٣</sup>

ويصف المسعودي الاعتقادات السياسية والدينية لهم بالقول: أجازوا بيعة عليٰ بن أبي طالب عليهما السلام بإجازة العباس لها، ذلك لقوله له: يا ابن أخي، هلْم إلى أنَّ أباً يبعك فلا يختلف عليك اثنان، ولقول داود بن عليٰ على منبر الكوفة يوم بيعة لأبي العباس: يا أهل الكوفة، لم يقم فيكم إمام بعد رسول الله ﷺ إلا

١- الدولة العباسية ٤١٨.

٢- الأحزاب: ٦.

٣- ينظر: الإمامة وأهل البيت ١: ٦١، وينظر أيضاً: تاريخ العلوبيين ١٩٨.

عليّ بن أبي طالب، وهذا القائم فيكم، يعني أبا العباس السفاح. ثم يذكر المسعودي بعض اعتقدات الرواوندية قائلاً: وقد صنف هؤلاء كتاباً في هذا المعنى الذي ادعوه هي متداولة في أيدي أهلها ومتاحليها، منها كتاب صنفه عمرو بن بحر الجاحظ، وهو المترجم بكتاب «إمامه ولد العباس» يحتاج فيه لهذا المذهب، ويذكر فعل أبي بكر في فدك وغيرها وقصته مع فاطمة  عليها السلام، ومطالبتها بارثها من أبيها  عليه السلام، واستشهادها ببعضها وابنيها وأم أيمن، وما جرى بينها وبين أبي بكر من المخاطبة، وما كثر بينهم من المنازعات، وما قالت وما قيل لها عن أبيها  عليه السلام، من أنه قال «نحن معاشر الأنبياء نرث ولا نورث» وما احتجت به من قوله عز وجل: **«وَرَثَ سُلَيْمَانٌ دَوْدَهٗ**<sup>١</sup> على أن النبوة لا تورث، فلم يبق غير التوارث، وغير ذلك من الخطاب. ولم يصنف الجاحظ هذا الكتاب، ولا استقصى فيه الحجاج للراوندية، وهم شيعة ولد العباس، لأنّه لم يكن مذهبهم، ولا كان يعتقدونه، ولكن فعل ذلك تماجناً وتطرّباً<sup>٢</sup>.

ولحق الرواوندية ما لحق الفرق الأخرى من التفرق والتشظي فانقسمت إلى ثلاثة فرق: ١- فرقة يسمون المسلمين، وهم أصحاب أبي مسلم عبد الرحمن ابن مسلم قالوا بإمامته بعد قتله، وزعموا أنه حي، ودانوا بالإباحات وترك جميع الفرائض وجعلوا الإيمان المعرفة لإمامهم فقط. ٢- فرقة أقامت على ولائية أسلافها ومذاهبهم وولائية أبي مسلم سرّاً، وهم الرزامية أصحاب رزام. ٣- فرقة يقال لهم الهريرية أصحاب أبي هريرة الرواوندي، وهم العباسية الخلّص الذين أثبتوا الإمامة بعد رسول الله  صلى الله عليه وسلم للعباس، وهم الذين غلوا في

١- التمل : ١٦

٢- صریح الذهب : ٢٣٦ . ٣

القول في العباس وولده.<sup>١</sup> ولم تلقَ فرق الرواندية تجاوباً كبيراً في أواسط المسلمين، بل ظلت حيسة نفسها وتحاور ظلها في شعارات رذدها العباسيون مع أنفسهم، فلم تتجاوز قصورهم المشبعة بتراتيلهم ونغماتهم المحبوبة بين جدرانهم السميكة. في حين كان للدعوة لأبناء العم من البيت العلوي جمهورها الواسع القوي، ولذلك قيل: إن السفاح سلك سبيل الحيلة وأظهر نفسه بأنه يتولى الخلافة مؤقتاً، على أن يسلّمها لمستحقها من أهل البيت. ثم قال: إن الخلافة تبقى في يده ويد أولاده أمانة حتى يظهر المهدى.<sup>٢</sup> ولكن الخلافة صارت من نصيب أخيه المنصور الذي استبد بها وداولها بين أبنائه ليحاجج من طالب بها من البيت العلوي، وينسب له أنه تبنّى رؤية قريش السياسية المعادية لعلي<sup>عليه السلام</sup> بقوله لمحمد بن عبد الله بن الحسن: أمّا ما فخرت به من علي<sup>عليه السلام</sup> وسابقته فقد حضرت رسول الله<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> الوفاة فأمر غيره بالصلاحة، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل، فلم يأخذوه وكان في السنة فتركوه كلّهم دفعاً له عنها، ولم يروا له حقاً فيها، وقتل عثمان وهو له متهم، وقاتلته طلحة والزبير، وأبي سعد يعنته وأغلق دونه بابه.<sup>٣</sup>

وهذا الانقلاب المفاجئ الذي أعلنه المنصور على سيد البيوت الهاشمية وعزّهم السياسي والاجتماعي من بعد النبي<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> جاء في ظرف كان المنصور منفعلاً ومتشائماً من أن يتزلزل البناء الجديد الذي لا يدرى إلى أي شيء يقول، كما أنّ الثورة التي أشعلها محمد وإبراهيم أفقدته صوابه ورؤيته التي كان يرى فيها من قبل علياً<sup>عليه السلام</sup>، والمنصور يعلم قبل غيره أن شرفهم وعزّهم

١- المقالات والفرق للأشعري ٦٤.

٢- تاريخ العلوبيين ٢٠٤.

٣- ينظر: الكامل في اللغة والأدب ٢: ٢٨٦.

جاء من سيرة واسم علي عليه السلام وجهاذه، وقد اعترف هارون الرشيد بذلك لما تكشف له موضع قبره فيروى أنه خاطب علياً عليه السلام قائلاً: يا ابن عم، أنا - والله - أعرف فضلك وسابقتك، وبك - والله - جلست مجلسي الذي أنا به، وأنت أنت، ولكن ولدك يؤذوني ويخرجون علي <sup>عليه السلام</sup> ! وينقل راوي الخبر أن الرشيد كان يقوم ويصلّي ويعبد الكلام ويدعو ويبكي.<sup>١</sup>

ومعرفة الرشيد وسائر العباسين بفضل الإمام علي عليه السلام يعود إلى جدتهم الأولى العباس بن عبد المطلب الذي كان يباهي رجال قريش بعلويته عليه السلام وسابقته وجهاده، بل كان يطالبهم بحقوقه، ولكن هذا الاعتراف والإقرار بفضل أمير المؤمنين عليه السلام وسابقته في الإسلام لم يكن يظهر في شبكة الدعاية والإعلام العباسية التي كان يظهرها دعاتها ورجالها وخلفاؤهم، بل كانوا يتاجبون ويهملون اسم الإمام علي عليه السلام ، ولكن المؤمنون أعلنوا فضائله وعرفوا بها في كتاب كتبه لبني العباس جاء فيه: إن الله تعالى بعث محمداً صلوات الله عليه على فترة من الرسل وقريش من أنفسها وأموالها لا يرون أحداً يساميهم ولا يباريهم، فكان نبينا صلوات الله عليه أميناً من أوسطهم بيته وأقلهم مالاً، وكان أول من آمنت به خديجة بنت خويلد فواسطه بمالها، ثم آمن به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ابن سبع سنين، ولم يشرك بالله طرفة عين، ولم يعبد شيئاً، ولم يأكل رباً، ولم يشاكل الجاهلية في جهالاتهم، وكانت عمومه رسول الله صلوات الله عليه إما مسلم مهين أو كافر معاند، إلا حمزة؛ فإنه لم يتمتع من الإسلام ولا يمتنع بالإسلام منه، فمضى لسيمه على بيته من ربته، وأما أبو طالب فإنه كفله ورباه.. إلى آخر الكتاب الذي يعدد فيه فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام وسابقته في

١- فرحة الغري في تعين قبر أمير المؤمنين علي <sup>عليه السلام</sup> ١١٩، وينظر: بحار الأنوار ٣٧: ٦٤.

الجهاد والإسلام ودوره العظيم في تشيد الدولة الإسلامية التي قطف ثمارها المهاجرون والأنصار والقرشيون خاصة.<sup>١</sup>

وفي فترة الكفاح المشترك للتيار العلوي والعباسي كان على <sup>بنية</sup> يظهر في لافتات الدعاية التي إسقاط الحكم الأموي واقتلاعه، ولكن استثمار الفرصة والاستفادة من الظروف الاجتماعية والاقتصادية، التي كانت تشكل العامل المساعد لإنضاج الثورة والتعجيل بانطلاقتها، كانت يد دعاة البيت العلوي وصوب أعينهم ونظرهم، فاستطاعوا ركوب عربة القيادة للجماهير الثائرة. وفي النهاية تمكّن العباسيون من تجميل الفتات المتأوّلة للحكم الأموي تحت قيادتهم؛ لأنّهم استطاعوا تفهّم مطالب هذه الفتات ورفع الشعارات التي تتجاذب مع تطلعاتها. فقد رفعوا شعار الدعاية إلى الرضا من آل محمد <sup>بنية</sup> لإرضاء الفتات التي ترى أنَّ آل البيت هم أحق الناس بها، ودعوا إلى العدل والمساواة، كما دعوا إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله لإرضاء بعض الفقهاء وغيرهم ممن كانوا يهتمون ببني أمية بعدم مراعاة أحكام الدين في سلوكهم وحكمهم<sup>٢</sup>.

ولم يهمل العلويون الحجج التي كان العباسيون يتسبّبون بها، إلا أنَّ التسرّع في توقيت ثوراتهم، وضعف الدعاية، في هذه الثورة أو تلك، وأحياناً عدم التحرّك المدروس، أو التحرّك في وقت ومكان غير مناسب للثورة، أو عدم التحرّك المنظم المبرمج الذي يباغت الخصم ويهزمه، كلَّ ذلك أفقد العلوين فرص النجاح والفوز بالسلطة، أو على الأقلّ الوصول إلى بعض الأهداف التي كان يطمح للوصول إليها أبناء علي <sup>بنية</sup>. وكان العباسيون قد درسوا الأمر جيداً

١- ينظر: الطراف في معرفة مذاهب الطوائف . ٢٧٦

٢- الخلاصة شأتها وتطوراتها، حضارة العراق ٦: ٧.

من كل جوانبه، فالحاجة والحدر والتأني في اتخاذ الخطوات الازمة لنقل السلطة من البيت الأموي إلى البيت الهاشمي كانت محور اهتمامهم وتحرّكاتهم. وكان رئيس البيت العباسى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يرى أنه لا بد أن يسبق بإعداد أفكار الأمة إلى هذا النقل، وأن كل محاولة فجائية لا بد أن تكون عاقبتها الفشل، فرأى أن يسير في المسألة بالأئمة المصحوبة بالحزم، فعهد إلى شيعته بأن يؤلفوا منهم دعاية يدعون الناس إلى ولادة أهل البيت بدون أن يسموا أحداً، خوفاً من بني أمية أن يقضوا على المدعو إليه إذا عرف، ورأوا أن أحسن منطقة يثبتون فيها الدعوة هي الكوفة وببلاد خراسان<sup>١</sup>. وهذا الاختيار لهما من غيرهما له ما يبرره، لأنَّ فيما هو هاشمياً، ونفوراً من السلطة الأموية.

وكانَت الكوفة وببلاد خراسان وما اتصل بها من بلاد ما وراء النهر، تمثلاً أو تعبّراً عن مزاج وهوى عرب أهل العراق وقبائلهم، وكذلك الموالى الذين ذاقوا مرارة الحكم الأموي وعصبيته وانحيازه إلى جماعات وقبائل معينة. وتعتبر خراسان من الأقاليم المشابهة لإقليم العراق في المزاج السياسي والتركيبة السكانية؛ لأنَّ زياد بن أبيه أمر بنقل خمسين ألف من البصرة والكوفة بعاثلاتهم إلى خراسان وأسكنهم في ما وراء النهر، ولعل ذلك يعود إلى رغبة زياد في التخفيف من حدة التوتر السياسي في العراق، أي رغبته في إبعاد القبائل التي يخاف منها، أو أنه أراد أن يشجع حركة التعرّيب في خراسان. ولغرض القضاء على حركات العصيان المستمرة في خراسان، ولجعل خراسان مركزاً لغزو بلاد ما وراء النهر، ولكي تصبح خراسان قاعدة

---

١- الدولة العباسية، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية .١٤

ثابتة للعرب، وربما قصد من نقلهم أيضاً تخفيف التضييق الاقتصادي في البصرة والكوفة حيث جذبت البصرة الكثير من القبائل العربية من البحرين والمحاجز وجميع أنحاء الدولة، وكان بعضهم يتمتع بالعطاء، وبعضهم محروم منه، وكذلك لتخفيف التدهور الأخلاقي الذي كانت تعشه البصرة لكثره اللصوص والقتلة. ويظهر أنه وبعد بعض هؤلاء المشاغبين مع الأعداد التي هجرها<sup>١</sup>. ومفهوم الشغب لديهم هو جبهة المعارضة للحكم الأموي. ولم يكن العرب وحدهم من حمل لواء المعارضة للسلطة الأموية. فلقد كانت العناصر والقوميات الأخرى التي دخلت الإسلام تقول إن حكومة الأمويين لم تكن منذ البدء خلافة حقيقاً، بل ملك دنيوي معاذ الله. ولقد ذهبوا إلى أنَّ آل النبي ﷺ، أي عقب عليٍّ<sup>عليه السلام</sup> هم أصحاب الحق في أن يحكموا الدولة الإسلامية، ولكن العباسيين استطاعوا أن يحولوا التيار المعادي للأمويين في الشرق لمصلحتهم<sup>٢</sup>. وظلَّ الفريقان الهاشميان العلوي والعباسي يحاولان كسب الجولة الأخيرة، والانقضاض والإجهاز على معاقل الحكم الأموي، كلَّ حسب برنامجه السياسي والعسكري الذي أعدَّه للمنازلة. وعلى الرغم من أنَّ كلاًً من الفريقين كان له وسائله، إلا أنهما لم ينفصل أحدهما عن الآخر تمام الانفصال، فقد أصبح شيعة العلويين أساساً للدعوة العباسية، كما أصبح بعض العباسيين أنصاراً لبعض الثورات العلوية التي قامت في أواخر العصر الأموي. ولم يقتصر الاتصال بين الفريقين على التعاون بينهما أحياناً، بل كثيراً ما اصطدمت الحركات العلوية بالدعوة العباسية<sup>٣</sup>. ومن المناسب للذكر هنا أنَّ

١- العصر الأموي، موسوعة التاريخ الإسلامي ١٤.

٢- تاريخ الشعوب الإسلامية ١٦٦.

٣- جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول ٤٤.

١٥٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

مصطلح الهاشميين الذي كان يطلق ليشمل البيتين العباسى والعلوى، صار إطلاقه في العصر العباسى مقصوراً على العباسيين دون غيرهم من بني هاشم، وظلّ مصطلح العلوىين هو الفاصل والمميز للبيت العلوى من بني هاشم.<sup>١</sup>

---

١- ينظر: التاريخ الإسلامى وفكرة القرن العشرين .٧٦

## آل البيت والفرق المنسوبة إلى الشيعة

كانت فرق الشيعة ومن التحق أو أُلحق بهم من أنصار ومؤيدين تعبّر إجمالاً عن فكر وفلسفة البيت العلوي في العقائد والفقه والرؤى السياسية للحكم والسلطة وإدارة الدولة. وقد بدأت هذه الفرق والحركات كفاحها ودعوتها إلى تغيير نظام الحكم القائم آنذاك وتحويله إلى نظام حكم آخر يعتمد على مقوله نصيّة تقضي بتوريث الحكم السياسي إلى أوصياء النبي ﷺ، لأنّهم الأحقّ بحكم المسلمين وتدير شؤونهم السياسية. وكانت أطروحة معاوية بن أبي سفيان في جعل النظام السياسي وراثياً في عقبه عندما عهد لابنه يزيد في خلافة الدولة الإسلامية، تمثل خروجاً صارخاً على التقاليد العربية والسوابق الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة. يقول الشيخ محمد خليل الزين: انتقل الأمر إلى معاوية، فانتقل من خلافة إلى ملكٍ عَصُوضٍ. والفرق بينهما أن الخلافة أساسها انتفاء أثر الرسول ﷺ والاعتماد في حل المشاكل على شورى أهل الحلّ والعقد و اختيار الخليفة منهم، حسب ما يرون أنه الأصلح. أما الملك فشبه الملوك الأقدمين من فرس وروم، واستبداد بالرأي، وقصر الخلافة على الأبناء والأقرباء، ولو لم يكونوا صالحين لذلك،

وهذا كله فعله معاوية.<sup>١</sup>

ولقد قوبل عمل معاوية في العهد لابنه يزيد باستنكار من قبل معظم زعماء وأفراد الأمة، ولم يؤيده في عمله هذا إلا بنو أمية وأنصارهم في بلاد الشام. ورغم حرص الأسرة الأموية على الاحتفاظ بمنصب الخلافة لأنفسهم إلا أن نظام الوراثة لم يستقر طوال العهد الأموي على قاعدة ثابتة. وقد استمر التنازع في هذا العهد بين ثلاثة مبادئ: المبدأ الذي يؤكد على ضرورة اختيار أصلح المسلمين وأفضلهم لمنصب الخلافة. والمبدأ القبلي الذي يعترف بسيادة القبيلة أو الفخذ ويقبل باختيار أقدر أفرادها من حيث الحنكة والخدمة والتجربة. والمبدأ الوراثي، أو مبدأ الوراثة المباشر من الأب إلى ابن. وبعتبر موقف معاوية الثاني من وراثة الخلافة خير دليل على الصراع بين هذه المبادئ، فهو قد تسلم الخلافة عن كرهه، ورفض أن يعهد لأخيه خالد بالخلافة، وتوفي دون أن يعهد لأحد بهذا المنصب.

وقد تصارعت هذه المبادئ الثلاثة بقوية بعد وفاة معاوية الثاني؛ فقد عمل ابن الزبير من أجل توقي الخلافة استناداً إلى المبدأ الأول، وعمل مروان بن الحكم على توقي الخلافة استناداً إلى المبدأ القبلي؛ لأنَّه أحقُّبني أمية بالخلافة، وإن كان ليس من أسرة أبي سفيان. وكافع خالد بن يزيد لاحتلال منصب الخلافة استناداً إلى قاعدة الوراثة، وكانت النتيجة فوز مروان بن الحكم بالخلافة لنسبه وخبرته وسنّه. وقد استمرَّ التنازع بين المبدأ القبلي والمبدأ الوراثي في داخل البيت الأموي طوال مدة حكمهم، ولم يستقرُّوا على أحدهما حتى النهاية. أما حركات المعارضة فكانت ترفع المبدأ الإسلامي

شعاراً لها في معارضة الحكم الأموي، وإن اختلفت في مفهومها لمن يعتبر أصلح المسلمين للخلافة<sup>١</sup>.

وكان هذا الجو والمناخ السياسي، وما رافقه من التحرّك الذي ظهر باشجاه التيارات والمبادئ الثلاثة المذكورة آنفاً، باعثاً قوياً لأن تتحذ فرق الشيعة أهل بيته النبي ﷺ عروة يمسكون بها، وقاعدة يرجعون إليها ويستندون عليها في أمورهم الدينية والسياسية، فتحرّكت عامة فرق الشيعة على أساس وبنى واحد يرى أنَّ زعامة المسلمين الدينية والسياسية هي من اختصاص آل محمد عليهما السلام وحدهم دون سواهم. وبناء على هذا لا ينبغي أن تناط هذه الزعامة بشخص أو جماعة أو بيت خارج هذا الإطار، وما ظهر من فرق وجماعات انتسبت إلى الكتلة الشيعية كانت مقيدة في ظاهر دعواتها بهذا المبدأ، إلا أنَّ جماعات وفرقًا صغيرة لاحت في الأفق السياسي والعقائدي ثم تلاشت، قد تجاوزت ذرية الصديقة فاطمة ة ورأى أنَّ الإمامة والزعامة لا تختص بنسل فاطمة ة، كما في الفرقة التي قالت بإمامنة محمد بن الحنفية، وزعمت أنه لم يبقَ بعد الحسن والحسين ة أحد أقرب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ة من ابن الحنفية، فهو أولى الناس بالإمامية، كما كان الحسين ة أولى بعد الحسن ة من ولد الحسن ة، فمحمد هو الإمام بعد الحسين ة. وهناك فرقة منهم قالت: إنَّ محمد بن الحنفية هو المهدى، وهو وصي علي ة، ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر

١ـ الخلافة نشأتها وتطوراتها، حضارة العراق ٦ : ١٣. ويعتبر صالح الورداوي أنَّ الإسلام الأموي هو امتداد للحسن القبلي، ونظامه السياسي تأسيس جديد للإسلام، وأصبح هذا النظام، أي الإسلام الأموي، الذي يعتمد النورانية في الحكم، هو الإسلام الذي حاز على رضى الحكام على مر الأزمان من بنى العباس وغيرهم. ينظر: السيف والسياسة في الإسلام . ١٦٣

سيفه إلا بإذنه، وإنما خرج الحسن عليهما السلام محارباً إلى معاوية بإذنه ووادعه صالحه بإذنه، وخرج الحسين عليهما السلام إلى قتال يزيد بن معاوية بإذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلاً! ومن خالق ابن الحنفية من أهل بيته وغيرهم فهو كافر مشركاً<sup>١</sup> وتقول هذه الفرقة أيضاً: إنَّ محمد بن الحنفية استعمل المختار بن

١- روى الشيخ علي بن موسى بن بابويه القمي: لما قُتل الحسين عليهما السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليهما السلام فخلا به، ثم قال له: يا ابن أخي، قد علمنت أنَّ رسول الله عليهما السلام كان جعل الوصية والإمامية من بعده لعلي بن أبي طالب عليهما السلام، ثم إلى الحسن، ثم إلى الحسين عليهما السلام. وقد قُتل أبوك ولم يوصي، وأنا عنك وصنو أبيك وولادتي من علي عليهما السلام، في سني وقد مي أحق بها منك في حداشك، فلا تنازع عنني الوصية والإمامية، ولا تحالفني. فقال له علي بن الحسين: يا عم، أتف الله، ولا تدع ما ليس لك به حق، إني أعطيك أن تكون من الجاهلين، يا عم، إنَّ أبي صلوات الله عليه أوصى إليَّ قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله عليهما السلام عندي، فلا تعرض لهذا، فإني أخاف عليك نقص العمر وتشتت الحال، إنَّ الله تعالى لما صنع الحسن عليهما السلام مع معاوية ما صنع بداره، فالآن لا يجعل الوصية والإمامية إلا في عقب الحسين عليهما السلام، فإنْ أردت أن تعلم ذلك فانتقل إلى الحجر الأسود حتى تحاكم إليه ونسأله عن ذلك. قال أبو جعفر عليهما السلام: وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة. فانتلقا حتى أتيا الحجر. فقال علي بن الحسين عليهما السلام: أبدأ فابتله إلى الله وسئله أن ينطق الحجر لك ثم سله. فابتله محمد في الدعاء، وسأل الله، ثم دعا الحجر فلم يجبه، فقال علي عليهما السلام: أما إنك، يا عم، لو كنت وصيًّا وإماماً لأجبارك، فقال له محمد: فداعُ أنت يا ابن أخي وسله. فدعا الله عليهما السلام بما أراد، ثم قال: أسألك بالذي جعل فيك ميثاق العباد وميثاق الأنبياء والأوصياء، لما أخبرتنا بنسان عربى مبين من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليهما السلام؟ فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه، ثم أطلقه الله بنسان عربى مبين، فقال: اللهم إنَّ الوصية والإمامية بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلى علي بن الحسين عليهما السلام ابنه رسول الله عليهما السلام. فانصرف محمد بن علي بن الحنفية وهو يتوأى على بن الحسين عليهما السلام. وقال الصادق عليهما السلام: ما مات محمد بن الحنفية حتى آمن

أبي عبيدة الثقفي على العراقيين بعد مقتل الحسين عليه السلام وشاره، وقتل قتله وطلبهم حيث كانوا سماه كيسان لكيسه<sup>١</sup>، ومن هذا أطلق مصطلح الكيسانية على أصحاب المختار الشفوي، ويرى أيضاً أن علياً عليه السلام هو الذي سماه بذلك لقوله عليه السلام له وهو صغير: كيس كيس<sup>٢</sup>.

ويبدو أن الكيسانية كانت فرقة غير منضبطة وغير مقيدة بقواعد العمل الحركي المنظم آنذاك، حيث يتطلب العمل الحركي إلى حد ما التحرك السري والكتمان والسرية في نقل الأخبار ونشرها وعدم إذاعتها، وضبط النفس والتأنى والتروي في اتخاذ القرارات والموافقات. ومن هذا الاعتبار يفسر حديث الصادق عليه السلام: مازال سرنا مكتوماً حتى صار في يدي ولد كيسان، فتحدثوا به في الطريق وقرى السوداء<sup>٣</sup>. وذهب الشيخ المجلسي إلى أن أولاد كيسان هم أولاد المختار. ونقل عن آخرين قولهم: المراد بهم أصحاب الغدر والخيانة والمكر الذين ينسبون أنفسهم من الشيعة وليسوا منهم.

وقد تأثرت من الكتلة الشيعية القائلة بإمامية أولاد فاطمة عليها السلام رؤى وأطروحات غريبة أيضاً، حيث ظهرت وخرجت من أردان الشوب العلوي قوى وفرق اشتغلت عن مسار التيار والبيت العلوي، بل صارت له نداً وعدواً شوه الصورة المثالبة الرائعة للحركة الإمامية. ومن الطبيعي أن الأئمة عليهم السلام قد تصدوا لهذه المقالات والرؤى بحزم وقوة. وقد تجلّى وبرز هذا المسار والتيار

<sup>١</sup> علي بن الحسين عليه السلام. الإمامة والتبصرة من العبرة ١٩٤ و ١٩٣.

<sup>٢</sup> المقالات والفرق للأشعري ٢٥.

<sup>٣</sup> بحار الأنوار ٣٧ : ١.

<sup>٤</sup> أصول الكافي ٢ : ٢٢٣ ح ٦.

<sup>٥</sup> بحار الأنوار ٧٥ : ٧٥.

المنحرف بعد وفاة الإمام الصادق عليهما السلام سنة ثمان وأربعين ومائة، حيث افترقت الشيعة من بعده إلى علة فرق: فرقة منهم قالت: إنَّ جعفر بن محمد عليهما السلام حيٌ لم يمُتْ ولا يموت حتَّى يظهر ولِيُّ أمْرِ النَّاسِ، وهو القائم المُهدي. وزعموا أنَّهم رأوا عنه أَنَّه قال: إنْ رأيْتُ رَأْسِي يُدْهَدَهُ عَلَيْكُمْ مِنْ جَبَلٍ فَلَا تَصْدَقُوا؛ فَإِنِّي أَنَا صَاحِبُكُمْ، وَإِنَّه قال لَهُمْ: إِنْ جَاءَكُمْ مَنْ يُخْبِرُكُمْ عَنِّي أَنَّهُ مَرْضِنِي وَغَمْسِنِي وَكَفْنِنِي وَدَفْنِنِي فَلَا تَصْدَقُوا، فَإِنِّي صَاحِبُ السَّيفِ. وهذه الفرقة تسمى الناووسية، سميت بذلك لرئيسها كان لهم يقال له ابن الناووس.<sup>١</sup>

وفرقة زعمت أنَّ الإمام بعد جعفر عليهما السلام ابنه إسماعيل، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه عليهما السلام، وقالوا: كان يتبع على الناس؛ لأنَّه خاف عليه نفسه، وزعموا أنَّ إسماعيل لا يموت حتَّى يملك الأرض ويقسم بأمور الناس. وإليه وإلى ابنه محمد بن إسماعيل تُسبَّب الفرقة الدينية والسياسية التي سميت بالإسماعيلية. وكانت البابكية والقرامطة والإسماعيلية من الحركات السياسية التي لعبت أدواراً متفاوتة الأهمية في تاريخ الإسلام السياسي، وأهمتها من هذه الناحية الإسماعيلية في صورة الفاطمية، إذ كوتَّت دولة واسعة شملت المغرب ومصر والشام واليمن، وبثَت الدعاة في كلِّ بلاد الإسلام من الهند حتَّى المغرب الأقصى، وما تزال باقية حتَّى اليوم.<sup>٢</sup>

والإسماعيلية كانوا أنشط من غيرهم من الفرق في بثِ الدعاة في أنحاء الدولة الإسلامية، خصوصاً في الأقاليم النائية منها كاليمن والمغرب. وبالغ

١- الناووسية: أتباع عبد الله بن ناووس من أهل البصرة، الذي كان يقول بأنَّ الصادق عليهما السلام يحيٌ لم يمُتْ وسيظهر. ينظر: بخار الأنوار ٣٧ : ٩.

٢- المقالات والفرق للأشعري ٧٩.

٣- مذاهب المسلمين ٢ : ٩.

أنصار محمد بن إسماعيل في سرية الدعوة حذراً من العباسيين.<sup>١</sup>  
 وهناك فرقة ثالثة زعمت أن الإمام بعد جعفر عليهما السلام محمد بن إسماعيل بن جعفر عليهما السلام وقالوا: إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه، فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد عليهما السلام الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك، لأنها لا تتقل من أخي إلى أخي بعد حسن وحسين عليهما السلام، ولا يكون إلا في الأعقاب، ولم يكن لأخوة إسماعيل عبد الله وموسى عليهما السلام حق في الإمامة، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية فيها حق مع علي بن الحسين عليهما السلام.  
 وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية، رئيس لهم كان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر.

أما الإسماعيلية الخالصة فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن زينب الأسدي الأجدع. وقد دخلت منهم فرقة في فرقة محمد بن إسماعيل وأقرّوا بموت إسماعيل في حياة أبيه. وبعد قتل رؤساء الخطابية اتجهوا إلى التعبّد، ولزم كلّ رجل منهم أسطوانة، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سراً.<sup>٢</sup>  
 وكان أبو الخطاب قبل أن يفسد يحمل المسائل من شيعة الصادق عليهما السلام وأصحابه إليه عليهما السلام وبجيء بجوابتها.<sup>٣</sup>

وكان انحراف أبي الخطاب في حياة الصادق عليهما السلام يتبرأ منه ويلعنه. وروى زيد النرسى أنه لما ظهر أبو الخطاب بالكوفة وادعى في أبي عبد الله الصادق عليهما السلام ما ادعاه، دخلت عليه مع عبيدة بن زرار فقلت له: جعلت فداك، لقد ادعى أبو الخطاب وأصحابه فيك أمراً عظيماً، إنه لبني بلبك

١- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة ٢٦٧.

٢- المقالات والفرق للأشعري ٨١

٣- بحار الأنوار ٤٧: ٣٤٦

جعفر، لبيك معراج! وزعم أصحابه أنَّ أبي الخطاب أُسرِيَ به إلَيْكَ، فلَمَّا هبَطَ إلَى الْأَرْضِ دعا إلَيْكَ، ولَذَا لَبَّى بَكَ، قَالَ زَيْدٌ: فَرَأَيْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟<sup>١</sup> قَدْ أُرْسِلَ دِعْتَهُ مِنْ حَمَالِيقٍ<sup>٢</sup> عَيْنِهِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَبَّ، بَرَّئْتَ إِلَيْكَ مِمَّا ادْعَى فِي الْجَدْعِ<sup>٣</sup> عَبْدُ بْنِ أَسَدٍ، خَشِعَ لَكَ شَعْرِيْ وَبَشَّرِيْ، عَبْدُ لَكَ ابْنُ عَبْدِ لَكَ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ.<sup>٤</sup> وَلَمْ يَكُنْ انْحِرَافُ أَبِي الخطابِ فِي الْمَسَائِلِ الْاعْتَقَادِيَّةِ فَقَطْ، بَلْ تَطاوِلُ وَامْتَدَّ حَتَّى فِي تَشْرِيعَاتِ الْمَسَائِلِ الْفَقِيهَيَّةِ، وَصَارَ يَفْتَنُ وَيَقُولُ بِمَقْوِلَاتٍ غَرِيبَةٍ صَارَتْ كَأَنَّهَا عِلْمًا وَشَعَارًا لَهُ يُعْرَفُ بِهِ وَيُمْتَزَّ. وَمِنْ هَذَا رَوْيَ الشِّيخِ الطَّوْسِيِّ عَنْ زَيْدِ الشَّخَامِ فَقَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَوْ قَالَ لِلصَّادِقِ<sup>عليهما السلام</sup>: أَؤْخِرُ الْمَغْرِبَ حَتَّى تَسْتَبِينَ النَّجُومَ؟ فَقَالَ<sup>عليه السلام</sup>: خَطَابِيَّةٌ! إِنَّ جَرْئِيلَ نَزَلَ بِهَا عَلَى مُحَمَّدٍ<sup>عليه السلام</sup> حِينَ سَقْطِ الْقَرْصِ.<sup>٥</sup> وَكَانَ الْخَطَابِيَّةُ يَسْمَونَ بِاسْمِ الْمُخْمَسَةِ أَيْضًا، وَإِنَّمَا سَمَّوْا الْمُخْمَسَةَ لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مُحَمَّدٌ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ فِي خَمْسَةِ أَشْبَاحٍ وَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، ظَهَرَ فِي صُورَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحَسِينِ<sup>٦</sup>.

وَاخْتَلَفَتِ الْخَطَابِيَّةُ بَعْدَ قَتْلِ أَبِي الخطابِ عَلَى مَقَالَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي رِئَاسَاتِ أَصْحَابِهِمْ وَمَذَاهِبِهِمْ، حَتَّى تَرَاقِي بَعْضُهُمْ إِلَى القَوْلِ بِرِبِّيَّتِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ الَّتِي صَارَتِ فِي آدَمَ وَمِنْ بَعْدِهِ فِي أُولَى الْعَزَمِ مِنَ الرَّسُلِ صَارَتِ فِيهِ.

١- النَّحْمَلُوقُ وَالْحَمْلُوقُ: هُوَ بَاطِنُ الْجَنْنَنِ. تَرْتِيبُ جَمِيعِ الْلُّغَةِ ١: ٤٥٣ (حَمْلُون).

٢- الْجَدْعُ: الْقُطْعُ، وَهُوَ الْقُطْعُ الْبَائِنُ فِي الْأَنْفِ وَالْأَذْنِ وَالشَّفَةِ وَالْبَدْنِ وَنَحْوِهَا. لِسَانُ الْعَرَبِ (جَدْع).

٣- بَحَارُ الْأَنْوَارِ ٤٧: ٣٧٨.

٤- تَهْدِيْبُ الْأَحْكَامِ ٢: ٢٨.

٥- مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ ٢: ٥١.

وقالت فرقة منهم: إن روح جعفر بن محمد عليه السلام تحولت عن جعفر في أبي الخطاب، ثم تحولت بعد غيبة أبي الخطاب ومصيره في الملائكة في محمد ابن إسماعيل، ثم ساقوا الإمامة على هذه الصفة في ولد محمد بن إسماعيل. وتشعبت بعد ذلك فرقة منهم من المباركية ممَّن قال بإمامية محمد بن إسماعيل تسمى القرامطة. سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من الأباطِّ <sup>١</sup> كان يُلقب بقرمطويه <sup>٢</sup>. والقراطمة أخلاف المباركية، والمباركية سلفهم <sup>٣</sup>.

واختلف المؤرخون في تفسير اصطلاح القرامطة، ويغلب على الظن أنَّ قرمط كان لقباً لحمدان بن الأشعث زعيم قرامطة العراق الجنوبي، ومعناها في

١- كان اصطلاح النبط عاماً في لغة المؤرخين، لذا لا يمكن حصره بأقوام وجماعات محددة على وجه الدقة، قال الفيومي: النبط جيل من الناس كانوا ينزلون سواد العراق. ثم استعمل في أخلاق الناس وعواهم. المصباح المنير ٥٩٠. وقال ابن الأثير: كانوا ينزلون البضائع بين العراقيين، النهاية ٩ (نبط). وقيل: هم عرب استجمموا، أو عجم استعربوا. مجمع البحرين ٤: ٢٧٥ (نبط). وقال الخطيب البغدادي: إن النبط كانوا في السواد قبل ملك فارس. وإن النبط هم الذين استبطنوا الأرض وعمروا السواد وحرفوا الأنهر العظام فيه، ويقال لهم ملوك الطوائف. تاريخ مدينة السلام ١: ٣٦٢.

٢- في بعض النسخ والمصادر: قرمطية، وكما في مقالات الأشعري ٨٣ والظاهر أنَّ الإسماعيلية لهم اطلاقات وأسماء كثيرة، قال الشهرياني: للإسماعيلية ألقاب كثيرة، ففي العراق كانوا يسمون الباطنية والقراطمة والمردكية، وفي خراسان التعزيمية والملحدة. الملوك والنحل ١: ١٧٢. وقال القلقشلندي: إن القرامطة ينسبون إلى رجل اسمه الفرج بن عثمان يُلقب بقرمط. ومعناه بال Brittية أحمر العيدين، قيل إنَّ الذي أتى به إلى السواد رجل أحمر العين شهر بشهرته. مأثر الإنابة في معالم الخلافة ١: ٢٤٥.

٣- بخار الأنوار ٣٧: ١٠.

أصلها البطيء: أحمر العينين. وترتبط الحركة القرمطية بالحركة الإسماعيلية العامة<sup>١</sup>; لأن العلاقة بين القرامطة والإسماعيلية موجودة في الأصل، وفي دور التكوين الأول، لأن القرامطة ورقة ثانية من الشجرة الإسماعيلية. ويعتبر الكاتب مصطفى غالب أن الحركة الإسماعيلية أو القرمطية هي حركة إصلاحية قامت على أساس دينية واجتماعية وسياسية في مرحلة ملائمة بالقلق والاضطراب والانحدار السياسي والاجتماعي، في جو مشبع بالظلم والاستبداد والإرهاب.

ولاقت الدعوة القرمطية رواجاً كبيراً بين القبائل العربية وفي أوساط الفلاحين والعمال؛ لنظمها المالي المتقن الذي أوجب أن تجمع الأموال في موضع واحد، وأن يكون الجميع في أسرة واحدة، لا يغفل أحد صاحبه ولا أحاه في ملك يملكه، وأصبح ما يقدّمه الفرد من خدمات للجماعة، وما يبذله من نشاط في نصرة الدعوة هو الذي يكون مركزه في المجتمع القرمطي.<sup>٢</sup>

وعدَّ الشيخ الطريحي القرامطة من فرق الخوارج فقال: القرمطي واحد القرامطة، وهم فرقة من الخوارج، ومنه: تحول الرجل قرمطياً. ونقل عن الشيخ البهائي أنهم في سنة عشر وثلاثمائة دخلوا مكة أيام الموسم وأخذوا الحجر الأسود وبقي عندهم عشرين سنة بعد أن قتلوا خلقاً كثيراً<sup>٣</sup>. ويقول ابن العماد الحنبلبي : إنَّ هذا الحادث وقع في سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقال: قُتِّل أبو طاهر القرمطي الحجاج قتلاً ذريعاً في المسجد وفي فجاج مكة، وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى هجر، وبقي

١- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية .١٦١

٢- القرامطة بين المذاهب والجزر ٥ - ٧

٣- مجمع البحرين ٤ : ٢٦٧ (قرمط).

بهاجر نيفاً وعشرين سنة<sup>١</sup>. ويروي المجلسي أن الإمام علياً عليه السلام قد أشار إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة وقال: كأني بالحجر الأسود منصوباً هاهنا، ويحهم! إن فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه وأنته، يمكن هاهنا برهة ثم هاهنا برهة - وأشار إلى البحرين - ثم يعود إلى مأواه وأمّ مثواه. ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام<sup>٢</sup>.

وكان القرامطة في بدو أمرهم يقولون في المسائل الاعتقادية بمقالة المباركية، ثم خالفوهم وقالوا: لا يكون بعد محمد غير سبعة أئمة: علي، وهو إمام رسول، والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر ابن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو القائم المهدى وهو رسول، وهؤلاء رسل أئمة، وزعموا أن النبي انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بتنصب علي بن أبي طالب عليه السلام بعدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم إلى أمير المؤمنين<sup>٣</sup>.

ولم يكن للقرامطة في أول أمرهم أثر قوي في تغيير الخارطة السياسية للدولة الإسلامية، وبرواية الذهبي فقد كان أول ظهور لهم بسoward الكوفة سنة ثمان وسبعين وما تئن، ويشير الذهبي إلى ظهور آخر لهم بالقول: وفي سنة ست وثمانين وما تئن ظهر أبو سعيد الجنابي، وقويت شوكته وانضم إليه جمع من الأعراب فعاد وأفسد وقصد البصرة<sup>٤</sup>. والظاهر أن تأثيرهم القوي

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢ : ٢٧٤.

٢- بحار الأنوار ٤٠ : ١٩١.

٣- المقالات والفرق للأشعري ٨١ و ٨٣.

٤- يتحدث الذهبي عنه فيقول: كان أبو سعيد فقيراً يرفو أعدال الدقيق، فخرج إلى البحرين وانضم إليه طائفة من بقايا الرنج والمتصوص حتى تفاقم أمره وهرم جيوش الخليفة مرتات.

والفاعل بدأ يظهر على الساحة السياسية بعد أن استطاع القرامطة أن يجدوا لهم موضعًا مكيناً ومستحکماً في البحرين في القرن الرابع الهجري، وذلك حين قدم إليها حمدان قرمط، بث الدعوة في العرب الذين بتلك النواحي فقبلوها، فانفتحت الديار على يده وأجابته القبائل والعشائر رغبةً ورهبةً، بعد أن حاصر هجر وافتتحها بضرورب من الحيل ومشاق من الأعمال<sup>١</sup>. وقد استقامت الأمور للقرامطة هناك وصارت لهم شوكة وشدة فهابتهم الأقاليم والممالك والدول الصغيرة والكبيرة فكانت تتّقي شرّهم وتتألّفهم، وحسبت لهم أغلب الدول القائمة آنذاك ألف حساب.

وقد واجه الفاطميون في بلاد الشام خطر قرامطة البحرين الذي هدد حكمهم في تلك البلاد. ووجد هؤلاء القرامطة أن استيلاء الفاطميين على الشام قد حرّمهم من الضريبة التي كان يؤدّيها الأخشيديون لهم سنويًا، مما حمل أميرهم الحسن بن أحمد الملقب بالأعصم على مهاجمة الفاطميين، متحالفاً في ذلك مع البويعيين الذين أمدّوا القرامطة بالأموال والسلاح. كما طلب عز الدولة بختيار إلى الحمدانيين مساعدة القرامطة، فأجابوه إلى طلبه وأمدّوا الحسن بن أحمد القرمطي بأربعمائة ألف دينار وسيّر معه من كان عنده من الأخشيديين، فزحف القرامطة إلى دمشق ونجحوا في هزيمة الفاطميين هناك واستولوا على دمشق، وواصلوا بعد ذلك زحفهم فاستولوا على الرملة ويافا، ولم يلبثوا أن قصوا على نفوذ الفاطميين في كل بلاد الشام، ولم يبق أمامهم سوى الزحف نحو مصر نفسها، لكن مُثُوا بهزيمة هناك

---

وجنابة التي ينسب إليها: قرية من قرى الأهواز، العبر في أخبار من غير ١: ٣٩٩ و ٤١١.

١- مذاهب المسلمين ٢: ١١١.

فانسحبا إلى بلاد الشام ومنها إلى الأحساء في مستهل سنة ٣٦١<sup>١</sup>.  
ويبدو أن القرامطة قد تركوا أيضاً على الساحة الثقافية والفكرية للمسلمين بعض الأثر في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وكما يفهم من اتهام الحسين بن منصور الحلاج بأنه كان من دعاة القرامطة<sup>٢</sup>. والحلال من الشخصيات التي أثرت بعض الشيء في أفكار المسلمين الذين كانت تتقاذفهم الفلسفات والرؤى المتزلزلة والمضطربة التي يحملها هذا وأصرابه.<sup>٣</sup>

---

١- تاريخ الدوليات العربية والإسلامية في العصر العباسي في المشرق والمغرب ٢٧١. وللقرامطة والإسماعيلية امتداد في القارة الهندية ما زال باقياً إلى اليوم، فمنذ عهد هارون الرشيد لجأ الإسماعيلية إلى إقليم السندي وقاموا بنشر الإسلام في إقليم الملتان حوالي سنة ٢١٠ للهجرة حيث لا يزال يوجد الداود بوتراف في خير بور إلى اليوم. وبين البهرة في كجرات بفضل عبد الله الحرّازي (٤٦٠ للهجرة)، وبين قبائل البوكمين والأفریدين بفضل ناصر خسرو (٤٧٣)، وبين الخوجات في كجرات بفضل إسماعيليين محدثين هما نور ستجر (المتوفى سنة ٥٣٥) وصدر الدين (المتوفى سنة ٨٣٤ للهجرة). تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ٢٩.

٢- ينظر: العبر في أخبار من غير ١ : ٤٤٠.  
٣- الحسين بن منصور الحلاج، يعد ثارة من المتعبدین وتارة من الملحدین. أصله من بضا، فارس ونشأ بواسط أو بستر. وانتقل إلى البصرة وحج ودخل بغداد. ظهر أمره سنة ٢٩٩ فائعاً بعض الناس طريقة في التوحيد والإيمان، وكان ينتقل في البلدان ويشعر طريقة سراً. قالوا: كان يصلّي كثيراً ويأكل بسيراً. الأعلام لنزركاني ٢٦٠. وذكر بأنه امتد إلى عوالم وافق أبعد فيها، فقالوا بأنَّ الحلاج توجه بأسفاره إلى بلاد الهند وتركستان يقابل الصوفيين من أتباع الديانات غير الإسلامية، وفيهم المانوية والبوذية يحاربهم في المجاهدة ويحارونه، وصعد نهر السندي حتى وصل إلى كشمير ثم ماسن، وتعقدت صلاته بالسائلين في تلك المناطق. رغم اختلاف المضامين الاعتقادية والأصول الدينية. حركة التصوف الإسلامي ١٩٥. ولم يكن الحلاج على وفاق مع علماء الشيعة الإمامية، فقد ذكر الشيخ الطوسي أنَّ آباء

وذهب المستشرق ستيرن إلى أنَّ اصطلاح القرامطة والإسماعيلية لهما معنى واحد، ولا يعتقد أنَّهما فرقان منفصلتان عن بعضهما. والواقع أنَّ غالبية المؤرخين يتَّفقون على أنَّ حركة القرامطة، خاصة في البحرين والعراق وبِلَاد الشام، تعتبر جزءاً من الدعوة الإسماعيلية. ولم يكن الإسماعيلية الأوائل يسمون بهذا الاسم، بل كان أعداؤهم المعاصرُون لهم يطلقون عليهم لقب باطنية أو قرامطة.<sup>١</sup> أما هم فكانوا يسمون دعوتهم الدعوة الهادية.

أما اصطلاح الإسماعيلية فهو اصطلاح استعمله كتَاب الفرق للدلالة على الفرق التي اعتقدت بإمامية إسماعيل بن جعفر الصادق عليهما وابنه محمد<sup>٢</sup>. وكان إسماعيل أكبر إخوته، وكان الصادق عليهما شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه. وكان قوم من الشيعة يظُنون أنَّ القائم بعد أبيه وال الخليفة له من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنًا ولم يلِمْ أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه بالغُرَيْض وُحْمِلَ على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة حتَّى دُفِنَ بالبقيع<sup>٣</sup>. ولمَّا مات

سهل بن إسماعيل التويختي والحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، وهما من أعلام الشيعة في زمانهما، سُلِّمَا العلاج وأبعداه عنهما وعن مسیرهما. ينظر: كتاب الغيبة ٢٤٦-٢٤٨. وقد حكمت فئة قليلة من الصوفية بکفر العلاج وأتباعه، أي أنَّهم كفروا عقيدته الفائلة أنه يمكن أن تمتزج ذات الله بالبشر بحيث يصبح الفرد البشري إليها وينادي: أنا الحق، قاسم غني، تاريخ التصوف الإسلامي ٦٤٧.

- ١- جاءت تسمية الباطنية لهم لأنَّهم كانوا يؤذنون بأنَّ للعقيدة ظاهراً وباطناً، وأنَّ الراسخين في العلم هم وحدهم الذين يدركون كنه الباطن. وقد أدى بهم هذا الاعتقاد إلى تأويل أحكام الشريعة، فجعلوا لكلَّ نوع من أنواع العبادة ظاهراً وباطناً، فالظاهر للعوام، والباطن للراسخين في العلم. إيران والعراق في العصر السلجوقجي ٧٧.
- ٢- العلاقة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ٢٠٧.
- ٣- الارشاد للمفید ٢٨٤.

إسماعيل انصرف على القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك، وأقام على حياته شرذمة لم تكن من خاصة أبيه<sup>١</sup> ولا من الروا عنده، وكانوا من الأبعد والأطراف، فلما توفي الصادق<sup>عليه السلام</sup> انتقل فريق منهم إلى القول بإمامية موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> بعد أبيه<sup>عليه السلام</sup>. وافتقر الباقون فرقتين، منهم فرقة قالت بإمامية ابنه محمد بن إسماعيل بظنه أن الإمامة كانت في أبيه إسماعيل، وأنَّ الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ، وفريق ثبتو على حياة إسماعيل.<sup>٢</sup>

وكانت هناك فرقة من أصحاب الصادق<sup>عليه السلام</sup> قالت: إنَّ الإمامة بعد جعفر<sup>عليه السلام</sup> لابنه محمد، وأمه أم ولد يقال لها حميدة، وكان هو وموسى<sup>عليهم السلام</sup> وإسحاق لأم واحدة. وهذه الفرقة تسمى السميطية تُنسب إلى رئيس لهم كان يقال له يحيى بأبي السميط. وقال بعضهم: هم الشميطية، لأنَّ رئيسهم كان يقال له: يحيى بن أبي شميط.<sup>٣</sup>

وظهرت فرقة أخرى قالت بأنَّ الإمامة بعد جعفر<sup>عليه السلام</sup> في ابنه عبد الله بن جعفر<sup>عليه السلام</sup>، وذلك أنه كان عند مضيِّ جعفر<sup>عليه السلام</sup> أكبر ولده سنًا، وجلس مجلس أبيه بعده وادعى الإمامة ووصيَّة أبيه. وسميت الجماعة القائلة بإمامته بالقطحية؛ لأنَّ عبد الله كان أقطع الرأس. وقال بعضهم: كان أقطع الرجلىين. وقال بعض الروا: إنَّهم نصبوا إلى رئيس لهم من أهل الكوفة يقال له: عبد الله بن فطحي.<sup>٤</sup> وروي عن الصادق<sup>عليه السلام</sup> أنه قال لموسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> عن هذا: يا بني، إنَّ أخاك سيجلس مجلسي ويدعى الإمامة بعدي، فلا تنازعه بكلمة:

١- بحار الأنوار ٤٧ : ٢٤١.

٢- الملل والنحل ١ : ١٤٨. وفي خبر رواه المحمسي أنَّ هذه الفرقة تسمى السميطية - بالباء - كما في بحار الأنوار ٣٧ : ١٠.

٣- المقالات والفرق ٨٧

فإنه أول أهلي لحوقاً بي. وروي أنه مات بعد أبيه بتسعين يوماً<sup>١</sup>. وذهب الشيخ المفيد إلى أن عبد الله هذا كانت به عاهة في الدين، وورد أن الإمامة تكون في الأكبر ما لم يكن به عاهة. وكان عبد الله يذهب إلى مذاهب المرجنة الذين يقعون في علي عليه السلام وعثمان. وأن أبيا عبد الله عليه السلام قال وقد خرج من عنده عبد الله: هذا مرجم كبير. وأنه دخل عليه يوماً وهو يحدث أصحابه، فلما رأه سكت حتى خرج، فسئل عن ذلك فقال: أو ما علمتم أنه من المرجنة؟<sup>٢</sup> ومن هذا فلم تكن منزلته عند أبيه عليه السلام منزلة غيره من ولده في الإكرام، وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر إخوته الباقيين، فباعه وتابعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامية أخيه موسى عليه السلام، لما تبيّنوا ضعف دعواه وقوّة أمر أبي الحسن عليه السلام.

ولم تكن كل الثورات والحركات السياسية التي حملت السلاح لتفويض النظام الأموي وما بعده ذات مسار هاشمي أو علوبي، بل كانت تقاسمها رؤى وأتجاهات متعددة، ولكن أغفلها كان يلتقي ويتحرك في ساحة واحدة هي ساحة العراق، حتى استثرت هذه الحركات والثورات بصفة الثورات العراقية التي توزّعت بين خمس ثورات رئيسية هي:

١- الثورات العلوية التي أسسها الحب لعلي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، والتي سعت لإعادة الحق المغتصب في الخلافة. ومن هذه الثورات ثورة حجر بن عدي الكندي، وعُدَّ من هذه الثورات ثورة الحسين بن علي عليه السلام، وحركة

١- بحار الأنوار ٤٧ : ٢٦١.

٢- بحار الأنوار ٣٧ : ١٤، وينظر: الفصول المختارة من العيون والمحاسن ٢٥٣.

٣- بحار الأنوار ٤٧ : ٢٤٢، الإرشاد للمنفِيد ٢٨٥.

- التوابين، وثورة زيد بن علي بن الحسين عليها السلام، ومنها امتدت إلى الشرق.
- ٢- الثورات الإقليمية أو القومية التي سعت إلى استقلال العراق والتخلص من الحكم الأموي، ومنها ثورة عبد الرحمن بن الأشعث، وثورة يزيد بن المهلب.
- ٣- ثورات الخوارج، وهي ثورات استندت إلى مبادئ خاصة بهم لم تقسم بطابع إقليمي أو قومي، وكانت تخرج عن نطاقها الجغرافي أحياناً.
- ٤- ثورات الموالي الذين سعوا إلى نيل حقوقهم التي لم يعترف بها الأمويون والتي نالوها باعتناقهم الدين الإسلامي.
- ٥- ثورات شخصية حاول قادتها الوصول إلى غاياتهم التي سعوا إليها، مثل ثورة مطراف بن المغيرة وعبد الله بن معاوية.<sup>١</sup> وكانت هذه الثورة أو الحركة بتعبير أدق عفوية، ولم يكن عبد الله بن معاوية قد خطط لها. وكان سبب خروجه أنه قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز عامل الكوفة يتمنى صلته لا يريد خروجاً، فتزوج ابنة حاتم بن الشرقي بن عبد المؤمن بن شبث بن ربيع، فلما وقعت العصبية<sup>٢</sup> التي كان سببها أنَّ عبد الله ابن عمر كان أعطى مضر وربعة عطايا كثيرة ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شور الذهلي وعثمان بن الخيرري من تيم اللات بن ثعلبة شيئاً، وهمما من ربيعة، فكانا مغضبين، وغضب لهما ثمامنة بن حوشب بن رؤيم الشيباني، وخرجوا من عند عبد الله بن عمر وهو بالحيرة إلى الكوفة فنادوا: يا آل ربيعة! فاجتمعوا ربيعة وتنمروا. وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فأرسل إليهم أخاه عاصماً فأناهم فألقى نفسه بينهم وقال: هذه يدي لكم فاحكموا،

١- العراق في العصر الأموي ١٥٨.

٢- تاريخ الطبرى ٥: ٥٩٩.

فاستحيوا ورجعوا وعظموا عاصماً وشكروه. فلما كان المساء أرسل عبد الله ابن عمر إلى عمر بن الغضبان بن القعثري بمائة ألف، فقسمها في قومهبني همام بن مرة بن ذهل الشيباني، وإلى ثمامنة بن حوشب بمائة ألف قسمها في قومه، وأرسل إلى جعفر بن نافع بمال وإلى عثمان بن التخيرى بمال<sup>١</sup>. عندها قال أهل الكوفة لعبد الله بن معاوية: ادع إلى نفسك، فبنو هاشم أولى بالأمر منبني مروان. فدعا لنفسه<sup>٢</sup>، ولم يكن يفكّر بهذا. ولحقته الهزيمة كتيبة طبيعية لحركة ارتجالية لم تكن متقدمة ولا مدروسة، ليتجه صوب خراسان وليجد سيف أبي مسلم الخراساني في انتظاره هناك.

وذهب أتباع عبد الله بن معاوية إلى فرق وجماعات؛ فقالت فرقة منهم إن عبد الله بن معاوية حيٌّ لم يمت، وأنه الوصيٌ وإليه يرجع الأمر، وأن طاعته مفروضة، وأنه مقيم في جبل أصفهان، ولا يموت أبداً حتى يخرج ويقود نواصي الخيل إلى رجل منبني هاشم من ولد عليٍّ وفاطمة  عليها السلام، فإذا سلمها إليه مات حينئذٍ؛ لأنَّ القائم المهدى الذي بشَّرَ بن النبي  عليه السلام، وفرقة قالت بأنه قد مات ولم يوص إلى أحد وليس بعده إمام فتاهوا، فصاروا مذبذبين بين صنوف الشيعة وفرقها لا يرجعون إلى أحد<sup>٣</sup>، شأنهم شأن الكيسانية وغيرها من الفرق التي كانت على هامش البيت العلوي، فلم تتمكن من أن تقدم أفكاراً مقنعة تلنج عالم الشيعة وتتصاف معهم.

١- الكامل في التاريخ : ٥ .

٢- تاريخ الطبرى : ٥٩٩ .

٣- المقالات والفرق للأشعري .٤٤ .

## حركة الزنج

شهدت أرض العراق حركات متفرقة لفترة كانت مقهورة في العصر الأموي والعباسي، هي فئة العبيد الذين أطلق على حركاتهم وثوراتهم مصطلح حركة الزنج أو ثورة الزنج. وكان من الطبيعي لهذه الفئة أن تتحرك وتتمرد كما يتحرك ويتمرد العرب والموالي وغيرهم من الفئات التي دخلت مجتمع المسلمين ودولتهم، نظراً لما لحقهم من حيف وجور وعسف، شأنهم شأن الطبقات والفئات الأخرى التي تتنظم في مجتمع لا يعرف من الإسلام إلا الرسوم والطقوس، وباسم الدين يسحق الإنسان وتداس كرامته، ويميته الطغاة وتمتهن كرامته، وهو يعيش في ظلّ دولة وأمة ترسل الجيوش والبعوث لتبشر الشعوب والأمم الأخرى بإنسانية الإسلام وعدالته ومبادئه العظيمة في الحرية والعيش الكريم. ولم تكن حركة الزنج التي قامت سنة ٢٥٥ هـ، الحركة الوحيدة التي قام بها زنج العراق الجنوبي، بل سبقتها حركات زنجية أخرى في عهود مختلفة؛ فقد خرج الزنج في عهد مصعب بن الزبير على العراق، وكان الوالي منشغلًا عنهم بأمور عديدة حالت بينه وبين وضع حدّ لنصرافاتهم، فنهبوا المحاصيل الزراعية وعاثوا فساداً في أماكن عديدة محطة

## ١٧٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

بالبصرة. وحين عاد العراق إلى سلطة الأمويين القوية استطاع الوالي الجديد خالد بن عبد الله بن أسيد أن يردعهم ويقضي على تحركهم، حيث صلب بعضهم.

وقد أعاد هؤلاء الزنج الكرة ثانية في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي فتحرّكوا في البصرة، وكان الحجاج مشغولاً بتمرد عبد الله بن الجارود فلم يتفرّغ للزنج وأمل أن يقضي أهل البصرة عليهم، خاصة أنهم - أي الزنج - عبيدهم وكساحوهم، ولكن إهمال الحركة أدى إلى اتساع نشاطها، حيث استطاع زعيمها رياح شيرزنجي أن يجمع حوله أهل الكلام من الرّطّ وموالي فرس وجماعات أخرى من البيض غير زنجية، ثم تسمى بأمير المؤمنين مما يدلّ على طموحه الواسع. ولكن الحجاج سرعان ما تفرّغ لها واشترك أهل البصرة معه فقتل شيرزنجي وأتباعه وتفرق الآخرون.<sup>١</sup>

ويمضي الزمان يبحث خطاه حتى عام ست أو خمس وخمسين ومائتين من الهجرة<sup>٢</sup>، ليتفضّل الزنج من جديد في البصرة بزعامة رجل ادعى أنه عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ووعد كلّ من أتى إليه من العبيد والسودان بالعيق والحرية، فاجتمع إليه نفر كثير، وعلا أمره وذاع صيته فلقب بصاحب الزنج. والنّسّابون يقولون أنه من عبد القيس، وهو عليّ بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه أسدية من بني أسد بن

١- التاريخ الإسلامي وفكرة القرن العشرين . ٣٢٤

٢- قال الطبرى في أحداث سنة ٥٥٥: للنصف من شوال من هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد، وذكر نسبة. ثم قال: وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون النّياباخ، ثم عبر دجلة فنزل الديباري. تاريخ الأمم والملوك ٧ : ٥٤٣

خرزيمة، جدتها محمد بن حكيم الأستدي من أهل الكوفة<sup>١</sup>. وحين ظهر صاحب الزنج بادر إلى دعوته عبد أهل البصرة السودان، ومن ثم قيل الزنج. ويقول الذهبي عنه: التفت إليه كلّ صاحب فتنه، حتى استفحلا أمره وهزم جيوش الخليفة واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل، وامتدت أيامه إلى أن قتل في سنة مائتين وسبعين<sup>٢</sup>. ويقول أبو العباس النجاشي إنَّ اسمه عليّ بن محمد البرذعي<sup>٣</sup>، وقد نفى الأئمة<sup>عليهم السلام</sup> انتسابه إلى البيت العلوي. وروى ابن شهر آشوب المازندراني عن محمد بن صالح الخثعمي قال: عزمت أن أسأل في كتابي إلى أبي محمد<sup>عليه السلام</sup> عن أكل البطيخ على الريق، وعن صاحب الزنج، فأنسنت، فورد عليّ جوابه<sup>عليه السلام</sup>: لا تأكل البطيخ على الريق فإنه يورث الفالح، وصاحب الزنج ليس من أهل البيت<sup>٤</sup>. وتأكيد الإمام<sup>عليه السلام</sup> على نفي مدّعى صاحب الزنج، لأنَّه اتَّخذ النسب العلوي ليضفي على نفسه طابعاً روحيَاً ويُكَسِّب حركته سندًا شرعياً، ذلك أنَّ الناس اعتقادوا أنَّذاك أنَّ تغيير النظم القائمة لن يتمَّ إلا على يد علوية تتصل بأهل البيت، وبهذا النسب يستطيع عليّ بن محمد أن يجذب إليه العامة ويجمع حوله الأنصار.

يقول الدكتور فيصل السامر في وصف عصر صاحب الزنج: يمكن القول إنَّ هذا العصر، النصف الثاني من القرن الثالث، شهد أوج انتشار الدعوة الشيعية ورواجها؛ ففي عام ٢٦٠ شهد العالم الإسلامي غيبة الإمام المهدي<sup>عليه السلام</sup>، وهو الإمام الثاني عشر عند الإمامية الاثني عشرية الذين يتظرون عودته ليملا

١- ينظر: *شرح نهج البلاغة* لابن أبي الحميد<sup>٨٧</sup>، ١٢٦، مروج الذهب ٤ : ١٠٨.

٢- العبر في اختيار من غير ١ : ٣٦٤.

٣- رجال النجاشي ٢٣٤.

٤- بحار الأنوار ٦٦ : ١٩٧، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٢٨.

الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. كما شهد هذا العصر دعاية الشيعة الإسماعيلية، وتأسيس الدولة الفاطمية في شمال إفريقيا. وفي هذا الوقت كان الصفاريون يلعبون دوراً كبيراً في تقوية المذهب الشيعي في بلاد فارس. في الوقت الذي نشأت فيه دولة شيعية في طبرستان الممتدة بين جبال البرز وساحل بحر قزوين الجنوبي تحت حكم الحسن بن زيد العلوي، في الوقت الذي راجت الدعاية الإسماعيلية وانتشرت القرامطة ينشرون مبادئهم المتطرفة في صفوف العامة تحت رداء من العقائد الشيعية المغالبة. كل ذلك طبع أذهان الناس باعتقاد مؤداته أنَّ الإصلاح المنتهود سيتم على أيدي العلوبيين ما داموا قد حملوا لواء المعارضة ضدَّ الدولة ردواً طويلاً من الزمن، فإذا فهمنا هذه الحقيقة أدركنا لم استند صاحب الزنج إلى أساس روحية من هذا النمط<sup>١</sup>.

ومن هنا يتضح لنا قوة وسطوة الشعار السياسي الذي ظهر في القرن الأول للهجرة وامتداده إلى القرن الثالث الهجري، لأنَّ آل البيت كانوا وسيلة النجاة للأمة وبهم يتم التوصل إلى الأهداف الدينية والدنيوية، ورضاهما هدف استمرره بنو عباس لركوب دائمة السلطة السياسية والتحكم برقاب المسلمين، باسم الرضا من آل محمد أو آل البيت، بدعائهم الانتساب إلى هذا البيت في خطوات مدروسة ومنظمة عصفت بالدولة الأموية لتبدأ مرحلة سياسية جديدة.

### **الخطوة الحركية لتأسيس الدولة العباسية**

يعتبر عام مائة من الهجرة بداية الدعوة أو الخطوة الحركية الأولى لتأسيس الدولة العباسية المنتظرة، وذلك أنَّ محمد بن عليَّ بن عبد الله بن عباس

- وكان مقيماً بأرض الشّرّاء - بعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة إلى العراق، وأرسل طائفة أخرى، هم محمد بن خنيس، وأبو عكرمة السّراج، وهو أبو محمد الصادق، وحيان العطار إلى خراسان، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكمي قبل أن يعزّل في رمضان، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته، فلقوها من لقوا ثم انصرفوا بكتاب من استجاب منهم إلى ميسرة الذي كان بالعراق، فبعث بها إلى محمد بن عليٍّ ففرح بها واستبشر، وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إتمامه، وأول رأي قد أحکم الله إبراهيم أن دولةبني أمية قد بان عليها مخايل الوهن والضعف، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز. وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليٍّ اثنى عشر نقيباً، هم سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهر بن قريظ التميمي، وفحيطبة بن شبيب الطائي، وموسى ابن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني عمرو بن شبيان بن ذهل، والقاسم بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي معيط - ومالك بن الهيثم الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وعمرو بن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - وشبل بن طهمان أبو عليٍّ الهروي، مولى لبني حنفة، وعيسى بن أعين مولى لخزاعة أيضاً. واختار سبعين رجلاً أيضاً، وكتب إليهم محمد بن عليٍّ كتاباً يكون مثالاً وسيرة يقتدون بها ويسيرون بها<sup>١</sup>. وأخذ العباسيون مركزاً للدعوة العباسية دون بلاد العراق؛ لأنَّ العراق كانت قريبة من مركز الخلافة بالشام، إلى جانب تعدد أحزاب المعارضة من شيعة إلى خوارج إلى معتزلة إلى مرجئة<sup>٢</sup> وغير ذلك،

١ـ البداية والنهاية لابن كثير ٩: ٢١٤.

٢ـ كان ظهور الخوارج أثراً بارزاً في حدوث الفتنة وظهور الحوادث الأخيرة في المجتمع الإسلامي، وقد نجمت المرجئة من تلك الناحية حيث إن الإرجاء بمعنى التأخير، وهذه

فضلاً عن وجود جيوش الشام ورجالاتبني أمية ووجود العرب في حواضر العراق. وكان الولاة الأمويون في العراق يتبعون الدعاة العباسيين بالحبس والتعذيب والإيذاء، بينما خراسان تقع في الأطراف البعيدة، وأغلب سكانها من الموالي الساخطين على الحكم الأموي، وبها أقلية من العرب فرقـت العصبية شملهم<sup>١</sup>.

الفرقة أربـه خاصة غير أنـ المبنـة الأولى لظهورـها هي اختلافـهم في أمرـ علىـهـا وعثمانـ، فهؤـلاءـ الخوارـجـ كانواـ يـحـتـرـمـونـ الـخـلـيـفـيـنـ أـبـاـ بـكـرـ وـعـمـرـ وـيـغـضـبـونـ عـلـيـهـاـ وـعـثـمـانـ، عـلـىـ خـلـافـ أـكـثـرـيـةـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـلـكـنـ الـمـرـجـةـ الـأـوـلـىـ لـمـ يـوـقـعـواـ لـحـلـ هـذـهـ الـمـشـكـلـةـ الـجـاـواـإـلـىـ القـوـلـ بـالـإـرـجـاءـ، فـقـالـوـ نـقـدـمـ أـمـرـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ، وـنـؤـخـرـ أـمـرـ الـآـخـرـيـنـ إـلـىـ يـوـمـ الـقيـامـةـ، فـنـصـارـتـ الـمـرـجـةـ ثـانـيـةـ مـنـ خـلـافـ الـخـوـارـجـ فـيـ أـمـرـ الـخـلـيـفـيـنـ، أـمـاـ الـمـعـتـلـةـ فـهـيـ طـائـفةـ نـشـأتـ فـيـ أوـانـ الـقـرـنـ الثـانـيـ الـهـجـرـيـ، وـيـرـجـعـ أـصـلـهـاـ إـلـىـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ تـلـيمـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ، وـذـلـكـ لـمـ دـخـلـ رـجـلـ عـلـىـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ فـقـالـ: يـاـ إـمـامـ الـدـيـنـ، لـقـدـ ظـهـرـتـ فـيـ زـمـانـاـ جـمـاعـةـ يـكـفـرـونـ أـصـحـابـ الـكـبـائـرـ، وـالـكـبـيـرـةـ عـنـهـمـ كـفـرـ يـخـرـجـ بـهـ عـنـ الـمـلـأـ وـهـمـ وـعـيـدـيـةـ الـخـوـارـجـ، وـجـمـاعـةـ يـرـجـحـونـ أـصـحـابـ الـكـبـائـرـ، وـالـكـبـيـرـةـ عـنـهـمـ لـاـ تـقـرـرـ مـعـ الإـيمـانـ، بلـ الـعـمـلـ لـيـسـ - عـلـىـ مـذـهـبـهـمـ - رـكـنـاـ مـنـ الـإـيمـانـ، وـلـاـ يـضـرـ مـعـ الإـيمـانـ، كـمـ لـاـ يـقـعـ مـعـ الـكـفـرـ طـاعـةـ، وـهـمـ مـرـجـةـ الـأـمـةـ، فـكـيـفـ تـحـكـمـ لـنـاـ فـيـ ذـلـكـ اـعـتـقـادـ؟ فـتـفـكـرـ الـحـسـنـ فـيـ ذـلـكـ وـقـبـلـ أـنـ يـجـبـ قـسـالـ وـاـصـلـ بـنـ عـطـاءـ : أـنـاـ لـاـ أـقـولـ إـنـ صـاحـبـ الـكـبـيـرـ مـؤـمـنـ مـطـلقـاـ، وـلـاـ كـافـرـ مـطـلقـاـ، بلـ هـوـ مـنـزـلـةـ بـيـنـ الـمـنـزـلـيـنـ لـاـ مـؤـمـنـ وـلـاـ كـافـرـ. ثـمـ قـامـ وـاعـتـرـلـ إـلـىـ أـسـطـوـانـاتـ الـمـسـجـدـ، يـقـرـرـ مـاـ أـجـابـ بـهـ عـلـىـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـ الـحـسـنـ، فـقـالـ الـحـسـنـ: اـعـتـرـلـ عـنـ وـاـصـلـ فـسـيـهـ هوـ وـأـصـحـابـهـ مـعـتـلـةـ. يـنـظـرـ: بـحـوثـ فـيـ الـمـلـلـ وـالـنـحـلـ ١: ٥٧ وـ ١١٧. وـ يـرـىـ الشـهـرـسـتـانـيـ أـنـ الـمـرـجـةـ وـأـفـقـواـ الـخـوـارـجـ فـيـ بـعـضـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ تـعـلـقـ بـالـإـمامـةـ. وـيـقـوـلـ: إـنـ الـمـرـجـةـ أـرـبـعـةـ أـصـنـافـ: مـرـجـةـ الـخـوـارـجـ، وـالـقـدـرـيـةـ، وـالـجـبـرـيـةـ، وـالـمـرـجـةـ الـخـالـصـةـ. الـمـلـلـ وـالـنـحـلـ ١: ١٠٥ـ وـ ١٢٥ـ.

والدعوة العباسية التي يشير إليها المؤرخون هي: تنظيم سريّ سياسي ديني، له واجهاته المتعددة. وقد استطاع هذا التنظيم بقيادة محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، ثمّ ابنه إبراهيم الإمام أن ينجح في كسب أعداد كبيرة من المقاتلة العرب من أهل خراسان، وخاصة من القبائل اليمانية. كما كسب إليه أعداداً من الموالي الفرس، إلا أنَّ القوة الضاربة في الدعوة العباسية كانت عربية بالدرجة الأولى<sup>١</sup>. والحقيقة أنَّ العرب رغم أقلّيتهم النسبية في إقليم خراسان إلا أنَّهم شكلوا ثقلًا كبيراً في الخريطة السياسية هناك.

ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ اصطلاح أهل خراسان إنما كان يعني أولاً وقبل كلِّ شيء سكّان خراسان من القبائل العربية المقاتلة والمستقرة، مثلما كان يعني اصطلاح أهل الشام أو أهل البصرة وأهل الكوفة العرب من سكّان هذه المدن والأقاليم، بالإضافة إلى مواليهم من السكّان غير العرب الذين دخلوا الإسلام وامتزجوا بالعرب الفاتحين. وكان أهل خراسان، ككتلة عسكرية وسياسية، من أهم الكتل في المجتمع العباسي<sup>٢</sup>، وعلى هذه الكتلة اعتمد التنظيم العباسى الأول واستقام. وقد أضاف أنصار ومؤيدو الدعوة العباسية هناك ثقلًا سياسياً جديداً من سكان الأقاليم هناك، وذلك حينما حاول التنظيم العباسى في خراسان أن يكسب أتباعاً من سكان الأقاليم الشرقية قبل الثورة، مستغلين الوضع المتردي الذي كان يعيشه هؤلاء، فأحيوا فيهم آمالاً كبيرة إنْ هم أيدوا الثورة<sup>٣</sup>. ومن هؤلاء تسرّبت عناصر ليست قليلة إلى التيار العام للثورة، فحملتهم رياح الثورة العاتية والعاصفة إلى العراق وبلاد الدولة الكبيرة

١ـ التأريخ الإسلامي ونكر القرن العشرين .٢٨٢

٢ـ المصدر نفسه ٥٩ و ٦٦

٣ـ العصر العباسى، موسوعة التاريخ الإسلامي .٦٦

الأخرى، فلعبوا بعد حين دوراً كبيراً ومؤثراً في ملامح وصورة الدولة العباسية التي وصفها البعض بأنها دولة كسروية، بالنظر إلى البرامكة وأل سهل وغيرهم من الذين استبدوا بالوزارات والمناصب العليا للدولة، فنازعوا الخليفة سلطته ونافسوا في كثير من الأمور. والحقيقة أنَّ هؤلاء الملتحقين بركب الثورة كانوا في هامشها وأطرافها البعيدة، أمّا العمود والوتد الأساس للثورة فهم العرب الحراسانيون. وهؤلاء بالأصل كانوا إما مبعدين سياسيين، أو بعنوان مقاتلين، أو أعضاء بعوث وحروب، أو من الذين هاجروا إلى هناك لطلب الرزق والتكتُّب والتجارة وغيرها، فاتخذوا خراسان موطنًا لهم.

ويقسم المؤرخون العرب القاطنين هناك إلى كتلتين: ١- المقاتلة. ٢- المستقرّين المستوطنين الذين مارسوا التجارة والحرف والزراعة.<sup>٨</sup> وانضاف إلى هؤلاء من القوميات الأخرى، كأن يكونوا من الفرس أو الترك أو الكلد أو غيرهم، إضافة إلى فرق ومذاهب كانت تتنسب إلى ديانات قديمة مستوطنة هناك، فشكّلت كلَّ هذه الكتل مسيجاً غير متجانس من جيش وقوة تطمح إلى تغيير الوضع والاستفادة من المناخ السياسي الجديد الذي كانوا يحلمون به في حياتهم، إلا أنَّ العباسيين الذين درسوا هذه الكتل بمجموعها وضعوا ستراتيجيتهم الدعائية هناك في أربع نقاط: ١- أن يكسب الأتباع الثقة من أهل خراسان. ٢- أن يكون الشعار الرضا من آل محمد. ٣- أن يندَّ بجور الأمويين. ٤- التحذير من الانضمام إلى التوارِ العلوين.<sup>٩</sup>

وكان الدعاة يجوبون البلاد الخراسانية، ظاهر أمرهم التجارة وباطنه الدعوة، يتهزرون بالفرص ثم يبلغون أمرهم إلى القائم بالكوفة، وهو يوصله

٨- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية.

٩- ينظر: العصر العباسي، موسوعة التاريخ الإسلامي.

إلى الحميمة أو إلى مكة حيث يجتمع المسلمون لأداء فريضة الحج، وكان ذلك المجتمع أعظم ساتر لأمر الدعاة، لأنهم كانوا إذا قفلوا من خراسان سافروا حجاجاً. وكانت إقامة محمد بن علي بالحميمة سبباً آخر في انتظام المواصلات وكتم سرها. وكان أول ما ظهر من أمرهم بخراسان سنة ١٠٢، حيث جاء رجل من تميم إلى أمير خراسان سعيد بن عبد العزيز بن العارث ابن الحكم بن أبي العاص، الذي يقال له سعيد بن خذينة، وقال له: إنَّ هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم سعيد فأتى بهم فسألهم: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار، قال: فما هذا الذي يُحكى عنكم؟ قالوا لا ندرى. قال: جئتم دعاء؟ فقالوا إنَّ لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا، فسأل: من يعرف هؤلاء؟ فجاء أناس من أهل خراسان جلُّهم من ربيعة والسيمن، فقالوا: نحن نعرفهم وهم علينا إنْ أتاك منهم شيءٌ تكرهه، فخلَّى سبيلهم. وفي سنة ١٠٥ انضمَّ إلى هذه الجمعية بكير بن هامان، وهو شيخ عظيم من شيوخ هذه الدولة وكبار دعاتها، وكان موسراً فساعد القوم بماله، وصادف أن توفي في ذلك الوقت ميسرة القائم بالكوفة فأقامه محمد بن علي مقامه، فكان هو ربيان هذه الدعوة يأتمر الدعاة بأمره ويسيرون في الطريق التي يشرعها لهم. وكان أول النكبات التي لحقت بهم آنَّه وشي بجمع من دعاتهم إلىأسد بن عبد الله القسري أمير خراسان، وهو وال شديد قاس، فأتى بهم وفيهم أبو محمد الصادق ومحمد بن خنيس وعمَّار البغدادي، فقطع أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم وصُلبهم، وأفلت عمَّار العبادي حتى أتى الكوفة فأخبر بكير بن ماهان بذلك الخبر المسؤول، فكتب إلى محمد بن علي، فأجابه: الحمد لله الذي صدق مقالتكم ودعوتكم، وقد بقيت منكم قتلى سُقْتُل. وقد وقع بعد ذلك عمَّار العبادي في يد أسد فألحقه ياخوانه. وكانأسد بن عبد الله أشدَّ

١٧٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

ولاة خراسان على الشيعة، فكان لا يرحم أحداً منهم وقع في يده، بل شرد بهم ونكل ونفى من نفى وقتل من قتل، ولذلك لم تكن للدعوة في أيامه كبير أثر حتى غُزِل عن خراسان سنة ١٠٩، وتلك ولايته الأولى. ثم ولَي خراسان مرة ثانية فأعاد معهم سيرته الأولى، ففي سنة ١١٧ أخذ جماعة منهم فقتل بعضهم ومثل ببعضهم وحبس بعضهم. وكانت وفاة أسد سنة ١٢٠، فتناثرت الشيعة بخراسان بعد وفاته<sup>١</sup>، مما هيأ مناخات وأجواء مساعدة لتنامي الدعوة العباسية واستحكام دعایتها ووجودها بين صفوف الخراسانيين.

## أبو مسلم الخراساني ونجاح الدعوة العباسية

قطعت الدعوة العباسية شوطاً بعيداً حينما مات محمد بن علي العباسi سنة ١٢٥، وقد أوصى محمد بن علي العباسi بالإمامنة من بعده لابنه إبراهيم. وفي عهده دخل النزاع بين الأمويين والعباسيين في طور جديد هو طور العمل، وهو ما يمكن أن يطلق عليه العصر الثاني للدعوة العباسية، ويتدنى هذا العصر من سنة ١٢٧. واتصل بإبراهيم الإمام شاب اتصف بالشجاعة والإقدام، وأضطلع بأعباء الدعوة العباسية في خراسان، وقضى على سلطان الأمويين فيها، وذلك الشاب هو أبو مسلم الخراساني. واختلف المؤرخون في نسب أبي مسلم، فقيل: إنه كان حراً يسمى إبراهيم بن عثمان ويكتنى أبا إسحاق، وأنه ينتمي إلى بزر جمهر، وقد ولد بأصبهان ورحل إلى الكوفة وهو في السابعة من عمره. ولما اتصل بإبراهيم الإمام أمره بتغيير اسمه وقال له: لا يتم الأمر إلا بذلك كما وجدته في الكتب، فسماه عبد الرحمن بن مسلم وكناه أبا مسلم، وزوجه امرأة من طبیع کانت تقيم مع أبيها بخراسان<sup>١</sup>.

١- وفي رواية ابن الأثير أن إبراهيم الإمام زوجه ابنة أبي النجم وساق عنه صداقها. الكامل في التاريخ ٥ : ٣١

وقيل في سبب اتصال أبي مسلم بإبراهيم الإمام أنَّ سليمان بن كثير أحد النقباء وغيره من النقباء تركوا خراسان في سنة ١٢٤ متظاهرين بالحج إلى مكَّة، فلما دخلوا الكوفة أتوا إلى عاصم بن يونس العجلي، وكان قد انْتَهَم بالدعوة للعباسيين فحبسوه هو وعيسيٍ وإدريس ابنِي معقل العجلي، وكان يوسف بن عمر والي العراق قد حبسهم مع من حبس من عمال خالد القسري، وكان أبو مسلم يقوم بخدمة ابنِي العجلي. ولما رأى سليمان بن كثير ومن معه أبي مسلم توسموا فيه مخايل الذكاء، ودعوه إلى الانضمام إلى الدعوة العباسية. وقد قيل: إنَّ أبي مسلم لما قوي أمره ادعى أنه ولد سليمان بن عبد الله بن عباس، وكانت سليمان نازع ورثته في ميراثه، فسرَّ بنو أميَّة ليتخذوا من ذلك سبباً للحطُّ من شأن عليٍّ بن عبد الله بن عباس، فأعادوه وقضى له القاضي في دمشق بالميراث، ولما قويت شوكة أبي مسلم ادعى أنه من ولد سليمان. وقد قيل: إنَّ أبي مسلم كان من الرقيق، وإنَّ اتصاله بيني العباس يرجع إلى بكير بن ماهان داعي العباسيين، الذي قدم الكوفة حيث حبس، فدعا أبي مسلم إلى الانضمام للدعوة واشتراه من ابنِي معقل العجلي بأربعين درهماً. ولما خرجوا من السجن بعث بكير بن ماهان بأبي مسلم إلى إبراهيم الإمام، فأنفذه إلى أبي موسى السراج. وفي سنة ١٢٨ تسلَّم أبو مسلم الخراساني مقاليد الأمور في خراسان. ويذكر المؤرخون أنَّ عمر أبي مسلم حين وجهه إبراهيم الإمام تسع عشرة سنة، وكتب إبراهيم إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمرٍ ي

فاسمعوا له وأطیعوا، فإني قد أمرته على خراسان وما غالب عليه بعد ذلك<sup>١</sup>.

وكانت بخراسان آنذاك فتن عظيمة وحروب متواترة، فسار الكرماني في جيش في سنة تسع وعشرين ومائة، فالتقاه مسلم بن أحوز المازني متولى مرو الروذ فانهزم أولاً الكرماني، ثمَّ كُرِّ عليهم بالليل فاقتلوها، ثمَّ إنهم تهادنو. ثمَّ سار نصر بن سيَّار فحاصر الكرماني ستة أشهر وجرت أمور أوجبت ظهور أبي مسلم لخلوِّ الوقت له<sup>١</sup>. وغلت المراجل بالفتنة إلى أن قتل الكرماني ولحق عسكره بشيبان بن مسلمة السدوسي الحَرَرُوري الذي تغلب على سرخس وطوس. وعظمت جيوش شيبان هذا، وقاتلهم نصر بن سيَّار بضعة عشر شهراً، واستغل بهم إلى أن قوي أمر أبي مسلم الخراساني<sup>٢</sup>. ومن هنا بروزت هيمنة أبي مسلم واستطال وعلت راياته، وإليه يرجع الفضل في بث الدعوة العباسية ومقاومة ولاة بني أمية والتغلب عليهم، وإلى اجتناء ثمرة الدعوة العلوية، وصرف الخلافة من العلوبيين إلى العباسيين<sup>٣</sup>.

وكانت هناك محاولات من أبي مسلم للاتصال بالإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقد رویت أخبار مقادها أنَّ أباً مسلم أرسل بعض المكاتب والرسائل لكي يتبيَّن له موقف الصادق عليه السلام من هذه الدعوة، أو كأنَّه أراد لهذه الدعوة أن يكون زعيماً لها الصادق عليه السلام، فلما أتى كتاب أبي مسلم إلى الصادق عليه السلام بالليل قرأه ثمَّ وضعه على المصباح فحرقه، فقال له الرسول - وظنَّ أنَّ حرقه له تعطية وصيانة وستر للأمر - هل من جواب؟ فقال له الصادق عليه السلام: الجواب ما قد رأيت<sup>٤</sup>. وبذلك بين الصادق عليه السلام موقفه من دعوة أبي مسلم؛ لأنَّ الأوضاع

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ٦ : ٥٤.

٢- تاريخ الإسلام ووفيات المشاہير والأعلام للذهبي ٣ : ٣٦٣.

٣- تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ١٧٨.

٤- بحار الأنوار ٤٧ : ١٣٣.

كانت مختلطة في أذهان الناس، فالدعائية العباسية خلطت الأوراق على عامة المسلمين في الشعارات الداعية لآل البيت، وكان أبو مسلم ممّن جرفته هذه الدعائيات وركبها. وعلى العموم كان الصادق ع يعرف مآل الأمور وإلى أي مدى سيتهي شوط أبي مسلم. وقد أشار على ع إلى شقيقة أبي مسلم وقوته في قهر الآخرين بقوله ع في حرب صفين عند مقابلته لأهل الشام: يا أبو مسلم، خذهم، ثلات مرأت، فقال الأشتر: أو ليس أبو مسلم معهم؟! فقال على ع: لست أريد الخولاني<sup>١</sup>، وإنما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق ويُهلك الله به أهل الشام، ويسلب عنبني أمية ملوكهم<sup>٢</sup>.

وهناك من يعتقد أن شخصية أبي مسلم الخراساني ودوره في الدعوة العباسية أصبحت أسطورة نسجت حولها الروايات والملاحم التي بالغت في دوره أثناء الثورة وبعد تأسيس الدولة العباسية، فقد أظهرته بعض الروايات بمظاهر المحرك الرئيسي للسياسة العباسية في السنوات الأولى بعد تأسيس خلافتهم حتى مقتله على يد المنصور سنة ١٣٧. وبعضهم يؤكد أن العمل في الدعوة العباسية كان مشتركاً يسيطر عليه مجلس القباء الثاني عشر، ولم يكن أبو مسلم الخراساني واحداً منهم، بل ذهب إلى خراسان في فترة متاخرة بعد نصوح الثورة ونضوج إعلانها<sup>٣</sup>. ومع هذا الحضور المتأخر لأبي مسلم في منظومة الدعوة العباسية إلا أنه شكل وأثار زوبعة قوية عجلت في زعزعة

١- هو أهبان بن صيفي العفارى، ويقال: أن أبو مسلم الخولاني هو أحد الزهاد الثمانية، وكان مع جيش الشام في صفين، وقد حمل كتاب معاوية إلى على ع وطلب منه قتلة عثمان، وتسب إلى خولان وهي من مخالفات اليمن. ينظر: تقييم المقال ١: ٥٧ أو مراصد الاطلاع ١: ٤٩١.

٢- بحار الأنوار ٤١ : ٣١٠

٣- التاريخ الإسلامي ونكر القرن العشرين ٩١٧٦

الكيان الأموي، فهو هنا كسب - بمفرده بفضل قيادته الناجحة - ترك أثره كسائر العوامل والأسباب التي أسقطت الأمويين. وكان شباب نار العصبية بين المُضْرِبة والمُيَمَّنة في خراسان سبباً من أسباب سقوط الأمويين، وكذلك ضعف قوة أمير هذه البلاد، وخروج الخوارج في اليمن وحضرموت، فهذه وغيرها كلها مع اندماج عوامل أخرى كانت من أسباب سقوط الأمويين.

وقد ظل أبو مسلم في خراسان إلى أن كتب إبراهيم الإمام إلى أبي سلمة الخلال داعية العباسيين في الكوفة يعلمه أنه أرسل أبا مسلم إلى خراسان، وأنه أمر أهلها بالسمع والطاعة له، وكتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم كتاباً يقول فيه: إنك رجل متأهل البيت، احفظ وصيتي، انظر إلى هذا الحي من اليمن فالزرمهم وكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربعة في أمرهم، وأماماً مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل من شكت فيه، وإن استطعت لا تبقي بخراسان من يتكلم العربية فافعل، وأياماً غلام بلغ خمسة أشبار تنهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ - يعني سليمان بن كثير - ولا تعصيه. وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به متى<sup>١</sup>. ومن الباحثين من يعتقد بأن الوصيَّة التي كتبها إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم قد حُرفت فقرات منها من قبل أعداء العباسيين لتشويه صورة الدعوة العباسية، لاختلاف المؤرخين في نصها<sup>٢</sup>. وسواء قبلت هذه الوصيَّة من قبل الباحثين والمؤرخين أو ردت فهي وثيقة تاريخية لها أهميتها في دراسة تاريخ هذه الدولة التي كانت تتولَّ بكل طرق، شرعية أم غير شرعية، للوصول إلى الغاية الكبرى والجنة المثلثي في عيون دعاتها وقادتها للوصول إلى اعتاب قصور السلطة والحكم، وأبو مسلم

١- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي : ١٥ .

٢- العلاقة العباسية في عصر القواسم العسكرية : ١٠ .

الخراساني خير أداة لهم لتنفيذ إرادتهم وسحق أعدائهم، فلذلك ما انفكَ إبراهيم الإمام في متابعة أبي مسلم والتشبت به لتعجيز إظهار الدعوة لهم والمضي بها قدماً.

ويتحدّث المؤرخون عن ذلك التصميم الذي كان يضمّنه إبراهيم الإمام للاستعانة بشخص كان يتظره دون غيره، فهو مسمى له ويناسب هذا الدور الصعب. ومن الجدير بالذكر هنا أنَّ دعاء وقادة بني العباس ومن رفع رايتهم، والذين كانوا يتغافلون من أجل خدمة بني العباس وتحقيق مآربهم، لم يكونوا أقلَّ قسوة وغلظة من أبي مسلم، فيروي الطبرى أنَّ أبا مسلم حين شاور أحد الدعاة، وهو أبو منصور طلحة بن رزيق بن أسعد في خراسان بخصوص جماعة وقعوا في يده، قال له أبو منصور: اجعل سوطك السيف وسجنك القبر<sup>١</sup>، فكان أبو مسلم وهؤلاء الدعاة المستحبّين عند حسن ظنَّ إبراهيم الإمام ويُؤمّل فيهم الأهداف من حركتهم، فكتب لأبي مسلم أن يوافيَه في موسم سنة تسع وعشرين ومائة ليأمره بأمره في إظهار دعوته، وأن يقدم معه قُخطبة ابن شبيب ويحمل إليها ما اجتمع عنده من الأموال ففعل ذلك، وسار في جماعة من النقباء والشيعة، فلقيه كتاب الإمام يأمره بالرجوع إلى خراسان وإظهار الدعوة بها. فبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان وأمير خراسان آنذاك نصر بن سيّار، وكان مشغولاً بقتال الكرمانى وشيبان بن سلمة الحزوري. وكان شيبان يرى رأى الخوارج فأرسل إليه أبو مسلم فيما بعد يدعوه إلى البيعة، فقال شيبان: أنا أدعوك إلى بيعتى، فأرسل إليه أبو مسلم إن لم تدخل في أمرنا فارتحل عن منزلك الذي أنت فيه، فأرسل شيبان إلى ابن

الكرمانى يستنصره فأبى.<sup>١</sup> وهذا التناحر والاضطراب بين القوى، والتراخي تجاه هذا الوافد على الوضع هناك كان من عوامل قوة أبي مسلم، وخلو الساحة من قوة قاهره تقف بوجهه هناك، فظهر أمر أبي مسلم فقصده الناس من كل جانب، فكان ممّن قصده في يوم واحد أهل ستين قرية، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً، ففتحت على يديه أقاليم كثيرة. ولمّا كانت ليلة الخميس الخامس تقين من رمضان من هذه السنة عقد أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الإمام ويُدعى الظل على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي بعث بها إليه إبراهيم الإمام أيضاً وتُدعى السحاب، وهم سوداوان، وهو يتلو قوله تعالى «أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ»<sup>٢</sup>، ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أتباعهم إلى هذه الدعوة السوداد، وصار شعارهم ويقول المدائني إنما أمرهم أبو مسلم بالسوداد، لأنّه جعل السوداد حداداً المصيبة زيد بن عليّ ويحيى بن زيد، وجعلوا ينحوون وينعون على زيد بن عليّ ويحيى بن زيد ويذكرون مقتلهم.<sup>٣</sup> والسوداد الذي تمسّك به بنو العباس قيل أخذوه من دخول رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجمع والمحافل، وكذلك جندهم كان لا بد أن يكون على أحدهم شيء من السوداد، وكذلك دخل عبد الله بن عليّ دمشق يوم دخلها وعليه السوداد، فجعل النساء والغلمان يعجبون من لباسه. وقد خطب الناس يوم الجمعة وصلّى بهم وعليه السوداد. وكان إلى جانب هذا السوداد النار المشتعلة التي كانت علامه على تواجدهم وزحفهم نحو القرى والنواحي التي

١- تاريخ الطبرى ٧: ٥٠

٢- الحج: ٣٩

٣- الفتوح لابن أثيم الكوفي ٨: ٣٤٨ - ط دار الكتب العلمية بيروت.

يتحرّكون نحوها، لذا أودعوا ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي، فكانت علامتهم النار والسواد، رغم أنّهم نذيراً شؤم، تقدّمان الجموع الهاejة والثانية لتبيّن وتعد الناس بقتن وحروب وبؤس ينعم به المسلمون الذين كانوا يتّظرون الأمل العباسي الأسود.<sup>١</sup> ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحب أنّ السحاب كما يطبق على جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض. ومعنى تسمية الأخرى بالظلّ أنّ الأرض كما لا تخلو من الظلّ، وكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم. ولمّا ظهر أبو مسلم وتبّعه جمع كثير كتب نصر بن سيار إلى مروان يعلمه بأمر أبي مسلم وكثرة من معه وكتب شعراً:

أرى بين الرماد وميضَ جمرٍ      وأحرى أن يكون له ضرَامُ  
فقلتُ من التعجب: ليت شعري      آليقاظٌ أميّة أمْ نِيَامُ؟!

وكان نصر على حقّ حين كتب في شأن أبي مسلم وما كان بتوقعه من مآل الأمور، ففي يوم الخميس لتسع خلّون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة دخل أبو مسلم الخراساني مرو، ونزل دار الإمارة بها وانتزعها من يد نصر بن سيار، وذلك بمساعدة عليّ بن الكرمانى. وهرب نصر في شرذمة قليلة من الناس نحو من ثلاثة آلاف، واستفحّل أمر أبي مسلم والتفتّ عليه

١- ولكن العامون أدرك أثره اللون الأسود الدال على الحزن والمأسى والحزن والحزن والحزن فأخذنه في سنة إحدى ومائتين بالخضرة، وهذا اللون هو لباس أهل الجنة. ولكنّه أمر بإعادة لبس السواد وتخريق الخضراء بعد ثمانية أيام من قدومه إلى بغداد في صفر من سنة ٢٠٤. وكان دخونه لبغداد يوم السبت لثمان عشر ليلة خلت من صفر. ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٣٨٧ والتنبيه

العساكر<sup>١</sup>.

ويصف الذهبي أحداث سنة إحدى وثلاثين ومئة فيقول: استفحل أمر أبي مسلم الخراساني واستولى على إقليم خراسان وهزم الجيوش، وأقبلت سعادة بنى العباس وولت الدنيا عن بنى أمية<sup>٢</sup>. ووصف ابن الأثير وضع أبي مسلم في عامه الأول من ظهوره هناك فقال: وفي هذه السنة - أي سنة ثلاثين - تعاقدت عامة قبائل العرب بخراسان على قتال أبي مسلم، وفيها تحول أبو مسلم من معسكره بأسفيننج إلى الماخوان، وكان سبب ذلك أنَّ أبي مسلم لما أظهر أمره سارع إليه الناس وجعل أهل مرو يأتونه ولا يعرض لهم نصر بن سيار ولا يمنعهم، وكان الكرماني وشيبان لا يكرهان أمر أبي مسلم لأنَّه دعا إلى خلع مروان<sup>٣</sup>. ولمَّا دخل أبو مسلم مرو قال نصر لأصحابه: أرى هذا الرجل قد قوي أمره، وقد سارع إليه الناس، وقد وادعته، وسيتم له ما يريد فاخرجوا بنا عن هذه البلدة وخلوئه، فاختلقو عليه، فقال بعضهم: نعم، وقال بعضهم: لا، فقال: أما إنكم ستذكرون قولي. وقال لخاصته من مضر: انطلقوا إلى أبي مسلم فالقوه وخذلوا بحظكم منه<sup>٤</sup>. وذكر الطبرى أنَّ أبي مسلم لما قتل شيبان الخارجى وابن الكرمانى ونفى نصراً عن مرو وغلب على خراسان وجهه عمالة إلى بلادها<sup>٥</sup>. وبذلك استقامت له الأمور هناك وببدأت مؤسسات الدولة العباسية تتسع من هناك لتتكامل صورتها في أرض العراق، بعد فضول

١- ينظر: هذه الأحداث والأخبار في البداية والنهاية لابن كثير ١٠: ٣٢ و ٣٤ و ٣٨ و ٥٦.

٢- دول الإسلام ١: ١٢١.

٣- الكامل في التاريخ ٥: ٣٤.

٤- تاريخ الطبرى ٦: ٤٦.

٥- المصدر نفسه ٥٣.

من المعارك والحروب خاصتها المسلمين ومن تجحفوا معهم لتنكتب في الكتاب العباسي الذي ملأ أبو مسلم صفحات كثيرة منه، ولتنتمل صفحات هذا الفتح المظفر لهم في سنة اثنين وثلاثين ومائة حين ابتدأ أمر دولةبني العباس وبوبع لأبي العباس بالكوفة، عندها جهز السفاح عمه عبد الله بن علي لمحاربة مروان، فزحف مروان إليه في مائة ألف إلى أن نزل بالزاب دون الموصل فالتقوا في جمادى الآخرى، فانكسر مروان واستولى عبد الله بن علي على الجزيرة، وطلب الشام فهرب مروان إلى مصر وخذل وانقضت أيامه،<sup>١</sup> لتحل أيام سود آخر ليس ثوبها رجال هاشميون هذه المرة.

وقد يكون ما حديث عبد الله بن معاوية بن جعفر هو أول تنكيل ببني هاشم ممن كانوا يتظلمون باسمهم، وكانت الدولة العباسية في بدء أمرها، وحين برزت لم تتضح الأمور والتوايا منها للعيان بعد، ولكن وقعت الدولة والحركة العباسية هنا في اختبار صعب كشف عن نواياهم وأهدافهم البعيدة، فلم يتحركوا لمنع أبي مسلم في قرار قتل عبد الله بن جعفر، ولربما كان بنو العباس وراء هذا القتل أو من تدبيرهم أو بمشورتهم، لمنع ولقمع أي تحرك مستقبلي من أي جماعة هاشمية تخرج عن إطارها العباسى. ولكن هذا الغدر والتنكيل المبكر يعد سابقاً لأوانه في منطق الثورات والحكومات التي لم تصل بعد إلى غياباتها. والأمر الأعجب أنها خطت باسم الهاشميين في أول مسيرة لها لكي تمسك بزمام الأمور ثم قامت بهذا العمل! وقد روى ابن الأثير هذا الحديث فقال: صادف في هذا العام - أي عام ٢٩ للهجرة - أن غلب عبد الله بن معاوية بن جعفر على فارس وكورها، فلما وصل إليها أتاه أناس من

١ـ العبر في أخبار من غير: ١٣٤

أهل الكوفة وغيرها، فسار إلى الجبال وغلب عليها وعلى خلوان وقُومنس وأصبهان والري، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة وأقام بأصبهان. ولم تتوالى انتصارات عبد الله بن معاوية، فانهزم هارباً ومعه أخوه الحسن ويزيد ابنه معاوية وجماعة من أصحابه، فقصد خراسان طمعاً في أبي مسلم، لأنّه يدعو إلى الرضا من آل محمد، وقد استولى على خراسان، فوصل عبد الله إلى نواحي هراة وعليها أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي، فأرسل إلى عبد الله بن معاوية يسأله عن قدومه فقال: بلغني أنكم تدعون إلى الرضا من آل محمد فأتيتكم، فأرسل إليه مالك: انتسب نعرفك. فانتسب له، فقال مالك: أمّا عبد الله وجعفر فمن أسماء آل رسول الله عليه السلام، وأمّا معاوية فلا نعرفه في أسمائه، فقال: إنّ جدّي كان عند معاوية لما ولد له أبي، فطلب إليه أن يسمّي ابنه باسمه، ففعل فأرسل له معاوية بمائة ألف درهم، فأرسل إليه مالك، لقد اشتريتم الاسم الخبيث بالشّمن اليسير، ولا ترني لك حقاً في ما تدعون إليه، ثمّ أرسل إلى أبي مسلم يعرّفه بخبره، فأمره بالقبض عليه وعلى من معه، فقبض عليهم وحبسهم. ثمّ ورد عليه كتاب أبي مسلم يأمره بإطلاق الحسن ويزيد ابني معاوية وقتل عبد الله بن معاوية، فأمر من وضع فرشاً على وجهه فمات، وأخرج فصلي عليه ودفن، وقبره بهراة معروف<sup>١</sup>. وهناك في أطراف خراسان القديمة طويت صفحة من صفحات الشّورات العلوية التي كانت تشارك وتتشاطر مع من دعا إلى الرضا من آل محمد فتضيع مع من ضاعوا في خضم الأحداث، وكان عبد الله بن معاوية لم يكن من بنى هاشم! وقد كانت كلّ الظروف مواتية لأبي مسلم وأسياده من بنى العباس،

## ١٩٠ □ الإمام موسى بن جعفر رضي الله عنهما شمس في ظلمات السجون

فتعبدت لهم الطرق ومهدت أسباب قيمو متهم، فقد كانت الأزمات المتلاحقة والمشاكل المتابعة التي رافقت الحكم والسلطة الأموية تتساير مع حركة أبي مسلم وأنصار الدعوة العباسية، لتساعدهم في تقويض هذه الدولة الظالمة والانقضاض عليها، فلم تكن هذه الدولة عادلة مع أتباعها في أكثر مراحل تاريخها. واعتبرت فترة تسلط هشام بن عبد الملك من أكبر العوامل المساعدة لنجاح الدعوة العباسية ونضوجها، فقد كان هشام ينظر إلى الدولة الإسلامية نظرته إلى إقليم يجب أن يُستثمر. ومن هنا كان أبداً يحمل ولاته على الإمعان في ابتزاز الأموال من أفراد الرعية، ليس هذا فقط، بل لقد زاد في الخراج المفروض على قبرس، وضاعف الخراج المفروض على الإسكندرية. ولقد دفعت سياساته بالقرس والترك في ما وراء النهر، كما دفعت من قبل بالبربر في إفريقيا، إلى إظهار السخط وعدم الرضا، مما مهد السبيل في الشرق لرسل العباسيين ودعاتهم<sup>١</sup>. ويصف الباحث المصري محمود إسماعيل عسف السلطة الأموية مع البربر فيقول: ورغم اعتناق البربر الإسلام لم يحظوا بالمساواة مع العرب، فاعتبروا موالي وحرموا من حقوقهم في المغانم والفيء رغم اشتراكهم في الحروب التي قام بها ولاة المغرب في جزر البحر المتوسط وببلاد الأندلس. وأكثر من ذلك اعتبر الولاية بلاد المغرب دار حرب، فجندوا الحملات التي أختفت في أنحائها نهباً وسبباً. ولم يطبقوا تعاليم الإسلام بإسقاط الجزية عن من أسلم من السكان، بل أثقلوا السكان بالضرائب غير المشروعة<sup>٢</sup>، فالولاة الذين كانوا يبعثون بهم إليهم لم يكن لديهم رحمة ورأفة بالرعية، إنما هم جباهة أموال لجيوبهم ومصاصو دماء فقراءهم، لتسورهـ

١- تاريخ الشعوب الإسلامية .١٥٩

٢- الحركات السرية في الإسلام .٢٩

حدود جواريهم وغلمانهم، لا يهمهم من أمرهم شيء، وكأنما الأمة بأكملها سخرت لإشباع نهماتهم ورغباتهم، إضافة إلى أنهم لم يكن لهم دين وورع وتقوى يذكر، وهم ولادة ورسل ملوك يشرون بدين يدعون أنهم جاءوا ليشرّفوهם به. ويصف الذهبي الوالي الأموي قرة بن شريك القيسري الذي كان على مصر، والذي احترمه يد المنية في سنة ست وتسعين، بالقول: كان عسوفاً ظالماً، قيل: كان إذا انصرف من بناء جامع مصر دخله ودعا بالخمر والملاهي ويقول: لنا الليل ولهم النهار.

أما بالنسبة للحجاج بن يوسف التقي الذي ولد في العراق فقد فاق عsense وجوده كلّ ولاة العراق الذين تعاوروا على حكم هذا البلد، بل حتى البلدان الأخرى، وقد تطاول ظلم الحجاج على فريضة الصلاة اليومية التي يقف في محرابها مسلمو العراق ليتبدوا ويستغفروا ربهم ويذعنوه لحظات من أعمارهم. يقول الذهبي: كان شعار وقعة دير الجمامجم في سنة ثلاث وثمانين: يا ثارات الصلاة! لأنَّ الحجاج كان يُميت الصلاة ويؤخِّرها حتى يخرج وقتها. وقد أشار أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الشاعر الخارجي الذي كان يدعى إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان، إلى عسف وجود هشام مع الرعية، لما خطب في المدينة مع جماعة من الحرورية دخلوها في سنة ١٣٠ فقال في مجمل كلامه: يا أهل المدينة، مررت في زمن الأحول هشام بن عبد الملك، وقد أصابتكم عاهة بشاركم وكتبتكم إليه تسألهونه أن يضع أخراصكم عنكم، فزاد الغني غنى وزاد الفقير فقرًا، فقلتم: جراك الله خيراً، فلا جرائم الله خيراً ولا جزاء خيراً. وهذا الضغط والإلحاح في جبى

<sup>١</sup>-الغير في أخبار من غير (٧٠ و ٨٥).

٢- تاريخ الطبرى ٦ : ١٨ و ٥٨

الأموال من الرعية الذي أثر على الحياة الاقتصادية للعامة من الناس قد حصل، لأنَّ الخلافة الأموية قد جابها مشكلة مالية حادة حاول الحكام حلّها بمشاريع عديدة، كان أكثرها نجاحاً ما تحقق في أواخر أيام الأمويين، حين فرض الخراج على الأرض، سواء امتلكها العرب أم غير العرب، وحين أُعفي الفلاحون من الموالي من الجزية وحدّد فرضها على غير المسلمين، ولكن هذا الإجراء جاء متأخراً، ولم يكبح الغليان ضدَّ الإدارة الأموية الذي زاد تعقيداً بدخول عوامل جديدة قبلية وسياسية وعسكرية في الصراع، فتحرّكت القبائل اليمنية في خراسان ضدَّ الأمويين باسم الضعفاء المتذمّرين من عرب وغير عرب، وهدفها تحقيق قدر أكبر من المساواة والعدالة للضعفاء من العرب وغير العرب، ولذلك يسمّيها المستشرق جبَّ ثورة ذات طبيعة دينية عمادها القبائل اليمنية. وبناء على ذلك لم تكن الثورة العباسية عنصرية قامت على أكتاف الفرس المظلومين كما يحلو لبعض المؤرخين تفسيرها، بل إنَّ فهمها للإسلام كان أكثر شمولاً وأوسع نطاقاً مما تصوره هؤلاء المؤرخون<sup>١</sup>.

## انتقال أخبار الدولة إلى العباسيين

أشار المؤرخون إلى أنَّ أصل معرفة بني العباس بأخبار دولتهم يعود إلى محمد بن الحنفية، ثمَّ ابنه عبد الله المكتئي بأبي هاشم. والمرجوي أنَّ عليهما السلام لما قُبض أباً محمد ابنه أخوه حسناً وحسيناً فقال لهما: أعطيانِي ميراثي من أبي، فقالا له: قد علمت أنَّ أباك لم يترك صفراء ولا بيضاء، فقال: قد علمت ذلك، وليس ميراث المال أطلب، إنما أطلب ميراث العلم، فدفعوا إليه صحيفة لو أطلعاه على أكثر منها لهلك، فيها ذكر دولة بني العباس.

وروى عيسى بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس قال: لما أردنا الهرب من مروان بن محمد لما قبض على إبراهيم الإمام، جعلنا نسخة الصحيفة التي دفعها أبو هاشم بن الحنفية إلى محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس، وهي التي كان آباؤنا يسمونها صحيفة الدولة، في صندوق من نحاس صغير، ثمَّ دفنه تحت زيتونات الشراة، لم يكن بالشراة من الزيتون غيرهنَّ، فلما أفضى السلطان إلينا وملكتنا الأمر أرسلنا إلى ذلك الموضع فلم نجده .  
وكان محمد بن الحنفية صرَّح بالأمر لعبد الله بن عباس وعرفه تفصيله،

## □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجن

ولم يكن أمير المؤمنين عليهما السلام قد فصل عبد الله بن عباس في الأمر، وإنما أخبره به مجملًا، كقوله في هذا الخبر: خذ إليك أبا الأموال، ونحو ذلك مما كان يعرض له به، ولكن الذي كشف القناع وأبرز المستور هو محمد بن الحنفية. وكذلك ما وصل إلىبني أمية من علم هذا الأمر، فإنه وصل من جهة محمد بن الحنفية أيضًا وأطلعهم على السر الذي علمه، ولكن لم يكشف لهم كشفه لبني العباس. أما أبو هاشم فإنه كان قد أفضى بالأمر إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأطلعه عليه وأوضحه له، فلما حضرته الوفاة عقيب انصرافه من عند الوليد بن عبد الملك من الشراة وهو مريض ومحمد ابن علي بها، فدفع إليه كتبه وجعله وصييه وأمر الشيعة بالاختلاف إليه. وكان قد حضر وفاة أبي هاشم ثلاثة نفر من بني هاشم: محمد بن علي هذا، ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ابن الحارث بن عبدالمطلب، فلما خرج محمد بن علي ومعاوية بن عبد الله ابن جعفر من عنده فكان كل واحد منهما يدعى وصايتها، فأمام عبد الله بن الحارث فلم يقل شيئاً. وصدق محمد بن علي، فإليه أوصى أبو هاشم وإليه دفع كتاب الدولة، وكذب معاوية بن عبد الله بن جعفر، لكنه قرأ الكتاب فوجد له فيه ذكرًا يسيراً فادعى الوصيّة بذلك، فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعى وصاية أبيه إليه، ويدعى وصاية أبي هاشم ويظهر الإنكار علىبني أمية، وكان له في ذلك شيعة يقولون بإمامته سرًا حتى قتل.

يقول ابن كثير: وكان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالأمر من بعده، وكان عنده علم بالأخبار فبشره

بأنَّ الخلافة ستكون في ولده، فدعا إلى نفسه في سنة ٨٧. ولم يزل أمره يتزايد حتى توفي في هذه السنة، وقيل التي قبلها أو بعدها عن ثلات وستين سنة، وأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم.<sup>١</sup> وفي رواية الذهبي أنَّ أبي هاشم صرف الشيعة إليه ودفع إليه كتاباً وأسرَّ له أشياءً. ويرى الأشعري الوصية إلى العباسين برواية فرقة قالت: إنَّ محمد بن الحتفية كان الإمام بعد أبيه على<sup>عليه السلام</sup>، فلما مات أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، فأوصى أبو هاشم إلى محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس؛ لأنَّه مات عنده بالشام بأرض الشراة، فوصى محمد بن عليٍّ بن عبد الله إلى ابنه إبراهيم المسمى بالإمام، وهو أول من عقدت له الإمامة والخلافة من ولد العباس وإليه دعا أبو مسلم، ومات ولم يملك ولم يظهر أمره، فأوصى إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد، وهو أول من ملك واستخلف من ولد العباس بن عبد المطلب، فلما توفي أبي العباس أوصى إلى أخيه أبي جعفر عبد الله بن محمد فسمى المنصور، وهو المعروف بأبي الدوانيق، فلما مضى المنصور أوصى إلى ابنه المهدي محمد بن أبي جعفر واستخلفه بعده، فرداهم المهدي عن إثبات الإمامة لمحمد بن الحتفية وابنه أبي هاشم وأثبت الإمامة بعد رسول الله<sup>صلوات الله عليه وسلم</sup> للعباس بن عبد المطلب ودعاهم إليها وأخذ بيتهما عليهما. وقال: كان العباس عمَّه ووارثه وأولى الناس به.<sup>٢</sup>

وكان الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> يلمح ويومئ إلى ملك ودولةبني العباس ويسمى عدداً من ملوكهم. ومما روي في ذلك ما رواه علقمة بن قيس قال: خطب

١ـ البداية والنهاية ٦:١٠

٢ـ العبر في أخبار من غير ١:٨٧

٣ـ المقالات والفرق ٦٥

عليهما السلام على منبر الكوفة خطبته المؤذنة فقال فيها: وتبني مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجلة والفرات، فلو رأيتموها مشيدة بالجص والآجر، مزخرفة بالذهب والفضة واللارزورد المستسقى والممرر والرخام وأبواب العاج والأبوس والخيم والقباب والستارات<sup>١</sup>، وقد غلبت بالساج والععر<sup>٢</sup> والصنوبر والشيب، وشيدت بالقصور، وتواترت عليها ملوكبني الشيشان<sup>٣</sup> أربعة وعشرون ملكاً على عدد سنى الملك، فيهم السفاح والمقلachs والجموح والجدوع<sup>٤</sup> والمظفر والمؤنث والنثار والكبش والمتھور والعشار<sup>٥</sup> والمصطلم والمستصعب والعلم<sup>٦</sup> والرهباني والخليع والسيار<sup>٧</sup> والمتعرف والكديد والأكتب<sup>٨</sup> والمترف<sup>٩</sup> والأكلب والوسيم<sup>١٠</sup> والظلام<sup>١١</sup> والعينوق<sup>١٢</sup>. وتعمل القبة الغبراء ذات الفلاة الحمراء، وفي عقبها قائم الحق يسفر عن

١- وفي بعض النسخ: والشارات.

٢- العرعر: ضرب من الشجر. ترتيب جمهرة اللغة ٢: ٥٢١ (عرعر).

٣- في كفاية الأثر: الشيشان. وفي حاشية المصدر والبحار: هو اسم الشيطان، وهذا كناية.

٤- في بعض النسخ: المخدوع، وفي أخرى: المحروج. وفي حاشية المصدر هو الهدادي.

٥- وفي نسخة: والعيار.

٦- في كفاية الأثر: والعلم.

٧- في نسخة: واليسار.

٨- في كفاية الأثر: والأكثر.

٩- في كفاية الأثر: والمسرف.

١٠- في كفاية الأثر: والوشيم.

١١- في كفاية الأثر: والصلام.

١٢- في كفاية الأثر: والعبيوق. وفي بعض النسخ: العبيوق.

وجهه بين الأقاليم<sup>١</sup> كالقمر المضيء بين الكواكب الدرية. إلا وإنَّ لخروجه علامات عشرة، أولها طلوع الكوكب ذي الذِّئْب، ويقارب من الحادي<sup>٢</sup>، ويقع فيه هرج ومرج وشغب. وتلك علامات الخصب، ومن العالمة إلى العالمة عجَّب، فإذا انقضت العلامات العشرة إذ ذاك يظهر بنا الأقمر<sup>٣</sup> الأزهر، وتمَّت كلمة الإخلاص لله على التوحيد.

ويروي ابن عباس أنه قال: دخلت على ابن عم رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بذى قار، فأخرج لي صحيفة وقال لي: يا بن عباس، هذه صحيفة أملأها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وخطي بيدي، فأخرج لي الصحيفة فقلت: يا أمير المؤمنين، اقرأها عليَّ، فقرأها وإذا فيها كل شيء منذ قيض رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه وكيف يقتل الحسين صلوات الله عليه وآله وسلامه ومن يقتله وينصره ومن يستشهد معه. وبكى بكاء شديداً وأبكاني، وكان فيما قرأه كيف يصنع به، وكيف تستشهد فاطمة صلوات الله عليه وآله وسلامه، وكيف يستشهد الحسن صلوات الله عليه وآله وسلامه. وكان فيما قرأ أمراً بي بكر وعمر وعثمان، وكم يملك كل إنسان منهم، وكيف يقع على علي صلوات الله عليه وآله وسلامه، وملك معاوية، وأمر يزيد حتى انتهى إلى قتل الحسين صلوات الله عليه وآله وسلامه. فلما أدرج الصحيفة قلت: يا أمير المؤمنين، لو كنت قرأت على بقية الصحيفة! قال: لا، ولكنني أحذتك بما فيها من أمر بيتك وولدك، وهو أمر

١- في كفاية الأثر: أجتنحة الأقاليم.

٢- في بعض النسخ: يقارب من الجاري.

٣- في كفاية الأثر: القهر.

٤- بحار الأنوار ٤١: ٣٣٠، كفاية الأثر في النص على الألفة الثانية عشر ٢١٤. وتم ضبط نص الخطبة بالتفقيق بين المصدر المذكور المطبوع سنة ١٤٠١ هـ الذي نشرته انتشارات بيدار، وبحار الأنوار ط الكتب الإسلامية طهران، وط دار الوفاء بيروت، للاختلاف في نص الخطبة.

١٩٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

فضيبي من قتلهم لنا وعداوتهم لنا، وسوء ملکتهم وشئوم قدرتهم، فأكثروه أن  
تسمعه فتعتم، ولكنني أحدثك: أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند موته بيديه، ففتح لي  
ألف باب من العلم، ففتح لي من كل باب ألف باب. يا ابن عباس، إن ملك  
بني أمية إذا زال أول من يملك ولدك منبني هاشم فيفعلون الأفاعيل. قال  
ابن عباس: لمن نسخني ذلك الكتاب كان أحب إلىي مما طلعت عليه  
الشمس <sup>١</sup>.

## **بغداد وعصور الخلافة والمجون**

كانت المدينة وظلت لعهود هي المركز العلمي والديني والسياسي والحضارى لل المسلمين، من عهد صاحب الرسالة و تاج الشريعة و فخر الخليقة محمد المصطفى ﷺ، حين هاجر إليها واتخذها عاصمة له ﷺ، إلى الزمن الذي اتّخذه أولاده المعصومون من ذرية عليؑ والصحابة مركزاً دينياً وعلمياً يعبر عن حضارة المسلمين وتقافهم، فكانت الخلافة تقاطر عليهم من أقصى الدنيا للتزوّد بالعلم والمعرفة، فتألقت المدينة وانهالت عليها جموع المسلمين، ومع تقادم الأيام صارت وكأنها العاصمة الجديدة القديمة لل المسلمين، لا لوجود قيادة أو سلطة سياسية للأمويين والعبّاسيين فيها، وإنما لوجود الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وجمع من الصحابة والتبعين ممن قطن فيها أو كان يتربّد عليها، وعزّز من مكانة المدينة اختلاف الصحابة والتبعين إليها ممن سكن الأنصار البعيدة، مما هيأ الأذهان لبروز المدارس الفقهية والمرجعيات والقيادات الدينية التي كانت تتنافس القيادات السياسية، بل كانت هذه القيادات السياسية ترجع إليها و تستمد قوتها وشرعيتها منها، خصوصاً في المرحلة الانتقالية من الحكم الأموي إلى المرحلة الثانية من الحكم

العباسي الذي امتطاه بنو العباس وانفردوا به، فالمدينة في هذه الفترة الانتقالية أدت دور العاصمة البديلة عن العاصمة المتداعية دمشق، مما أعطى المدينة هذه الهيبة والعزّ والسطوة والمكانة.

وكان رجال وخلفاء الدولة العباسية الأوائل يخشون هذه العاصمة العتيقة؛ لأنها تقدح في أذهان المسلمين وتتجدد ذكريات الوحي وبيت الرسالة الذين يرahlen الناس في آل علي عليه السلام دونبني العباس. وكانت المقوله الدينية والسياسية «الرضا من آل محمد عليه السلام»، والباب الذي دخل منه العباسيون لقصور الخلافة والسلطة، قد يثير نسمة المسلمين الواقعين العارفين على بني العباس، ما دام رموزه ورجاله وأثاره في ربوع المدينة وأطرافها، لهذا لا يمكن العودة إلى المدينة وفيها رمز الرسالة وأعلامها من آل علي عليه السلام ومن ارتبط بهم، وفيها أخطر علم يهدّهم هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام وآل الحسن عليه السلام الذين كانوا يمتّون أنفسهم بالخلافة ويتّوا دعاتهم هنا وهناك، كما أنّ المدينة لم تكن تسمح باستقبال هذه الجموع الهائلة واللاهثة وراء الدنيا ومتاعها الذي كان يلوح به لهم دعابة بني العباس، والتي تحركت بأحلامها وأمالها مع حركة بني العباس في جيوش أعدّها لهم أبو مسلم الخراساني وأعوانه من دعابة بني الدنيا. ومن هذا المنطلق كانت رؤوس بني العباس تتّجه صوب مدينة جديدة تكون مركزاً ومقرّاً يتشكّل من أنصارهم ومن أتباعهم، وتكون نادياً لنهوضهم ونشواتهم.

ومن هنا زاغت عيونهم عن يثرب والكوفة وغيرها، فالحلم العباسي لا يمكن تحقيقه تحقّقاً كاماً مكملاً إلا في بغداد العاصمة الجديدة للدولة التي زهرت في عيون قاطنيها، وسحرت الأمم والشعوب بفتنتها وغمجها وجمال طبيعتها وعدوّية هوانها. فلم تكن الكوفة لبني العباس موضعًا تطمئنَ له

نفوسهم وتستقيم فيه أمور دولتهم، لذا كان المنصور الدوانيقي يخطط لاختيار مكان آخر يناسب الهوى والفكر العبّاسي الذي أراد أن يتبع عن مناخ الشيعة العلوية هناك، والذين كانوا يشكلون عنصر إزعاج وقلق للدولة الجديدة، كما كانوا هم بالأمس للدولة الأموية التي تلاشت وانتهت بفعل الشورات التي كانت تنطلق شراراتها من أصل الكوفة، أو من فكر الكوفة وثقافتها، أو من رجالاتها الذين انتشروا في أمصار الدولة الإسلامية، والذين سخطوا على دولةبني أمية لأنّهم، لم يجدوا موضعًا ومكانًا لهم في أجهزة السلطة الأموية، أو أنّهم طوردوا من قبل ولاة الكوفة، فاختاروا موضعًا وموطنًا لهم في شرق الأرض وغربها نأوا به عن أرض العراق، فكانوا أو صاروا بالضرورة عنصر تحرير وإثارة للشعوب والأمم الأخرى هناك. ومن هذا السبب وغيره من الأسباب التي قد تستجدة في الكوفة كان المنصور يحاول النأي عن الكوفة وعن إزعاجها من ثورات مستقبلية تتشبّث فيها. وفي رواية ابن الأثير ذكر أنه كان قد ابني الهاشمية<sup>١</sup> بضواحي الكوفة، فلما ثارت الرواندية فيها كره سكناها لذلك، ولجوء أهل الكوفة أيضًا، فإنه لا يأمن أهلها على نفسه.<sup>٢</sup> ومن هنا كانت صورة بغداد في خيال المنصور، كما كانت في خيال الشعراء والأدباء، وربما كانت هاجسه الوحيد وهمه الكبير، فكان يبحث عن أرض لها لا يدرى أين يضعها الدهر له، لتكون ملائمة للنفس والمرتاح والتكون

١ - هناك من يعتقد أنَّ اسم الهاشمية لا يشير إلى مكان واحد، بل إلى أي مكان اختاره الخليفة ليكون مقامه، ويرجع التشويش في تحديد موقع الهاشمية إلى وجود أكثر من مكان بهذا الاسم، إذ كان يطلق على كلّ مكان يتخذ الخليفة مدة من الزَّمن مقامًا له، وذلك كالمكان الذي اتخذ السفاح بعد تركه الكوفة. خطط بغداد .٢٢٥

العباسي الخاص.

وبغداد في تاريخها الغابر كانت قرية يجتمع فيها رأس كلّ سنة التجار ويقوم بها للقرس سوق عظيمة، فلما توجه المسلمون إلى العراق وفتحوا أول السواد ذكر للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد. وذكر الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد أنَّ أهل الجرة وصفوا عظمة بغداد في ذلك الزمان فقالوا للمثنى: ألا نذلك على قرية تأيتها تجارة مدائن كسرى وتتجار السواد، ويجتمع بها في كلّ سنة من أموال الناس مثل خراج العراق؟<sup>١</sup> ومن هذا الخبر يتضح لنا أنَّ بغداد الغابرة كانت ماثلة في أذهان رجال الدولة وال Herb والسياسة، فكان المنصور يتحرك نحوها ليعيدها إلى ذاكرة الزمن ويجدد ثوابها الأخضر الجميل، وينقض عنها غبار التاريخ الذي نأى عن بغداد بعيداً ونسوها رحراً من الزمن، ولكن رداء الزينة والجمال والأناقة لم يبتعد عنها مسافة طويلة، عندما خطَّ في دمشق قرابة قرن من الزمان متولهاً بالشام وخضرته وزيتونه وبهائه، فعطف عليها ثانية في عصور الفتنة والإغراء واللهو والفن والغناء التي أنشتها الدولة العباسية ليعانق أشجارها وأزهارها الزاهية في دورة جديدة من دوراته، وزورقة ثانية من زوراته.

وكانت المرحلة التاريخية التي تأسست فيها مدينة بغداد تختلف عن مرحلة الفتوحات في بداية القرن الأول للهجرة من النواحي الاستراتيجية، فقد أصبحت الدولة الإسلامية زمن العباسيين أمبراطورية واسعة الأرجاء، وعلى هذا الأساس فإنَّ بناء وتأسيس مدينة جديدة كعاصمة إنما تعبر عن مركزية هذه الأمبراطورية، وربما كانت دمشق تتمتع هي الأخرى بهذه الأفضلية

الاستراتيجية المركزية، غير أنَّ العباسيين لم يرغبو في المكوث والاستقرار في بلاد الشام؛ لأنَّها تمثل مرحلة سياسية سابقة. كما أنَّها تفتقر إلى العنصر السياسي المؤيد للعباسيين في نفس الوقت، فإنَّ الحجاج كان يفتقر إلى الصفة المركزية هذه لبعده جغرافياً. وأنَّ المنصور لم يجد اتخاذ الكوفة أو البصرة كعاصمة له، لأمور تاريخية وسياسية وتمدنية. ومن هذا المنطلق فإنَّ قراره باختياد مدينة بغداد ذات الشكل المدور إنما يعبر عن مركز إدراة الأمبراطورية<sup>١</sup>.

ويصف ابن الفقيه الهمданى الخطوات الأولى لبناء بغداد واختيارها فيقول: لما أراد المنصور الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتدون له موضعًا يبني فيه مدينة، ويكون الموضع واسطاً رافقاً بالعامة والجند، فذكر له موضع من بارما، وذكر له عنه غذاء وطيب، فخرج إليه بنفسه حتى نظر إليه وبات فيه، فرأه موضعًا طيباً، فقال لجماعة من خاصته، منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي وعبد الملك بن حميد الكاتب: ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا: هو موضع طيب موافق صالح. قال: صدقتم، ولكنه لا يتحمل الجندي الناس، وإنما أريد موضعًا ترتفق به الرعنية ويوافقها، ولا تغلو عليها فيه الأسعار ولا تشتد في المأowنة، فإني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه في البر والبحر غلت الأسعار وقلت المادة، واشتدت المأowنة وشق ذلك على الناس، وقد مررت في طريقي بموضع قد اجتمعت فيه الخصال، فأنا راجع إليه وبأيت فيه، فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل فهو موافق لما أريده لي وللناس. فأتيت موضع بغداد وعبر في موضع قصر السلام، ثمْ صلَّى العصر وذلك في صيف

## ٢٠٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

وحرّ شديد. وكان في ذلك الموضع بيعة فبات في أطيب مبيت وأقام يومه فلم ير إلا خيراً، فقال : هذا موضع صالح للبناء، فإن المادّة تأتيه من الفرات ودجلة وجماعة الأنهر ويحمل الجنـد والرعيـة، فخطـ المديـنة وقدـر الـبناء ووضع لـبـنة بيـده، وـقال: بـسم اللهـ والـحمد للـلهـ والـأرضـ للـهـ يورـثـهاـ منـ يـشاءـ منـ عـبـادـهـ والـعـاقـبةـ لـلـمـتـقـيـنـ، ثـمـ قالـ: اـبـنـواـ عـلـىـ بـرـكـةـ اللهـ<sup>١</sup> وـأـمـرـ بـيـنـائـهـ مـدـوـرـةـ سـمـكـ سورـهـ مـنـ أـسـفـلـهـ خـمـسـونـ ذـرـاعـاـ، وـمـنـ أـعـلـاهـ عـشـرـونـ ذـرـاعـاـ، وـجـعـلـ لـهـ ثـمـانـيـةـ أـبـوـابـ فيـ السـوـرـ الـبـرـانـيـ، وـمـثـلـاهـ فيـ الـجـوـانـيـ، وـلـيـسـ كـلـ وـاحـدـ تـجـاهـ الـآخـرـ، وـلـكـنـ جـعـلـهـ أـزـوـرـ عـنـ الـذـيـ يـلـيـهـ، وـلـهـذـاـ سـمـيـتـ بـغـدـادـ الـزـوـراءـ، لـازـوـرـارـ أـبـوـابـهـ بـعـضـهـاـ عـنـ بـعـضـ، وـقـيـلـ: سـمـيـتـ بـذـلـكـ لـاـنـحـرـافـ دـجـلـةـ عـنـدـهـ<sup>٢</sup>ـ، وـكـانـ أـمـرـ المنـصـورـ بـتـأـسـيسـ بـغـدـادـ وـالـابـتـداءـ بـإـنـشـائـهـ سـنـةـ خـمـسـ وـأـرـبعـينـ وـمـائـةـ لـلـهـجـرـةـ، وـتـحـوـلـ إـلـيـهـ فـيـ سـنـةـ سـتـ وـأـرـبعـينـ قـبـلـ اـسـتـتـمامـ بـنـائـهـ، وـكـانـ لـاـ يـدـخـلـهـ أـحـدـ أـبـدـاـ رـاكـبـاـ، حـتـىـ أـنـ عـمـ الـمـنـصـورـ عـيـسـىـ بـنـ عـلـىـ شـكـاـ إـلـيـهـ الـمـشـيـ فـلـمـ يـأـذـنـ لـهـ<sup>٣</sup>ـ، وـكـانـ الـمـنـصـورـ بـعـدـ وـلـاـيـةـ أـخـيـهـ السـفـاحـ قـدـ اـنـتـقـلـ مـنـ الـأـنـبـارـ إـلـىـ الـهـاشـمـيـةـ التـيـ أـنـسـهـاـ أـخـوـهـ أـبـوـ الـعـبـاسـ، وـأـقـامـ بـهـاـ إـلـىـ أـنـ عـزـمـ عـلـىـ تـأـسـيسـ مـدـيـنـةـ بـغـدـادـ حـاـضـرـةـ بـنـيـ الـعـبـاسـ الـكـبـرـيـ وـمـظـهـرـ فـخـرـهـ وـمـدـنـيـتـهـ<sup>٤</sup>ـ.

### حكاية الخليفة اللص

أشارت الأخبار الغيبة التي ذكرها الرهبان، أو نسبت إليهم أن بغداد لا يبنيها إلا شخص معين خباء الدهر لها، لتكون عاصمة الدنيا وقبلة الشعراء

١- بغداد مدينة السلام ٣٠

٢- البداية والنهاية ١٠: ١٠٣

٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١: ٢١٦ و ٢١٧

٤- الدولة العباسية ٧١

والعلماء والفنانين الذين افتنوا بها وفتّنوا الناس وأغروهم بها في حكايات وأساطير وقصص كانوا يسمّون بها، ويزّرت فيها أسماء وأعلام تغنى بهم الزمان، ولعل حكايات ألف ليلة وليلة التي سردها شهزاد على أذن الملك الجائر اللاهي جعلت العيون والأبصار تشخّص نحو هذه المدينة الساحرة.

ومن حكايات بغداد الجميلة حكاية الملك العباسي اللص الذي بنى لها وأضحك عيونها وأدمعها. ويروي المؤرخون عن حكاية هذا اللص أنَّ المنصور لما أراد إنشاء مدينة السلام مكث سنة يتربّد، فقال له راهب كان هناك: ما تريده؟ قال المنصور: أريد أن أبني هناً مدينة، فقال الراهب: إنَّ صاحبها يقال له مقلّص، فقال المنصور: وأنا - والله - كنت أدعى بذلك.<sup>١</sup>

وهناك رواية أخرى أو قصّة أخرى، أو أسطورة نسجت، يقول فيها عليّ بن يقطين: كنت في عسكر أبي جعفر حين صار إلى الصّراوة يلتمس موضعًا لبناء مدینته، فنزل الدّير الذي على الصّراوة في العتيقة، فما زال على دابّته ذاهبًا وجائياً منفردًا عن الناس يفكّر. وكان في الدّير راهب عالم، فقال لي: لم يذهب هذا الملك ويجيء؟ قلت: يريده أن يبني مدینة، قال: فما اسمه؟ قلت: عبد الله بن محمد، قال: أبو من؟ قلت: أبو جعفر، قال: يلقب بشيء؟ قلت: المنصور، فقال: ليس هو الذي يبنيها، قلت: ولم؟ قال: لأنّا وجدنا في كتاب عندنا توارثه قرناً عن قرن، الذي يبني مدینة في هذا المكان يقال له مقلّص. قال عليّ بن يقطين: فركبتُ من وقتِي حتى تقدّمت منه، فقال: ما وراءك؟ قلت: خير ألقّيه إليك وأريحك هذا العناء. قال: وما هو؟ قلت: أمير المؤمنين يعلم أنَّ هؤلاء الرّهبان معهم علم، وقد أخبرني راهب هذا الدّير بكثّيت

١- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ١ : ٢٤٤

ووكيت. فلما ذكرت له مقلاص ضحك واستبشر ونزل عن دايه فسجد، وأخذ سوطه فأقبل يذرع به، فقلت في نفسي: ألحفه للجاج. ثم دعا المهندسين من وقته فأمرهم بخط الرماد، فقلت له: أظنك يا أمير المؤمنين أردت معاندة الراهب وتکذیبه! فقال: لا والله، ولكنني كنت ملقباً بمقلاص، وما ظنت أن أحداً عرف ذلك غيري، فاسمع حديثي بسبب هذا اللقب، كنا بناحية الصراحة في زمانبني أمية على الحال التي تعلم، فكنت ومن كان في مقدار سني من عمومتي وإخوتي نتداعي ونتعاهر، فبلغت النوبة إلى يوماً من الأيام وما أملك درهماً واحداً فما سواه، فلم أزل أفكّر وأعمل الحيلة إلى أن أصبحت غزاً لداية كانت لي فسرقته، ثم وجهتُ به فيبيع واشتري بثمنه ما احتجت إليه، وجئت إلى الداية فقلت لها: أفعلي كذا وأصنع كذا. قالت: ومن أين لك ما أرى؟ قلت: افترضت دراهم من بعض أهلي، ففعلت ما أمرتها به، فلما فرغنا من الأكل وجلست للحديث طلبت الغزل فلم تجده، فعلمت أني صاحبه، وكان في تلك الناحية لص يقال له: مقلاص شهر بالسرقة، فجاءت إلى باب البيت الذي كنا فيه فدعوني، فلم أخرج إليها، لعلمي أنها قد وقفت على ما علمت، فلما ألحت و أنا لا أخرج، قالت: اخرج يا مقلاص، الناس يتحرّرون من مقلاصلهم ومقلاصل معى في البيت! فمرح معى إخوتي وعمومتي بهذا اللقب ساعة، ثم لم أسمع به إلا منك الساعة<sup>١</sup>.

وجاء في خبر آخر، أو حكاية أخرى رفع منها البطل مقلاص، وعادوا فيها إلى لقبه المشهور، رواها الذبيبي فقال إن المنصور قال لذلك الراهب: أريد أن

١- بغداد مدينة السلام لابن الفقيه الهمданى ٣٣. يقول ليستر: وقد رويت قصة المقلاص أيضاً عند بناء الرافقة. وهي مدينة أتسهها المنصور في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م مما يدل على أن هذا الحديث أصبح رسمياً يستعمله المؤلفون لمسجد برامح الخليفة في البناء. خطط بغداد ٢٢٨.

أبني هنا مدينة، فقال : إنما يبنيها ملك يقال له: أبو الدوانيق. فضحك وقال: أنا هو، واحتظتها ووكلَّ بها أربعة قواد<sup>١</sup>. وجاء في خبر آخر نقله الخطيب البغدادي يؤكّد فيه حكاية مقلاص بنحو آخر، فيقول: إن راهباً رأى المنصور يقدّرها، فقال: لا تتم. فبلغ المنصور ذلك فأناه، فقال الراهب: نجد في كتبنا أنَّ الذي يبنيها ملك يقال له: مقلاص، فقال أبو جعفر المنصور: كانت والله أمي تلقبني في صغرِي مقلاصاً<sup>٢</sup>. وقد ألحَّ الحقُّ المنصور ببناء بغداد جانب الرصافة سنة ١٥١ لولده المهدى<sup>٣</sup>، لتكون جناحاً لبغداد أو ملاداً له إنْ نكبه الزمان أو دارت عليه دورة الأيام.

### رصافة بغداد

يروي ابن الأثير عن سبب بناء الرصافة أنَّ بعض الجناد شَغَبُوا على المنصور وحاربوه على باب الذهب، فدخل عليه قُشم بن العباس بن عبيد الله ابن العباس، وهو شيخ بنى العباس، فأشار عليه بأنَّ يعبر بابنه المهدى فينزله الرصافة، وقال للمنصور بعد أن فرق الجناد إلى فرق فرقة ربيعة وفرقه مضر وفرقه خراسانية: قد فرقت بين جندك وجعلتهم أحزاباً، كلَّ حزب منهم يخاف أن يحدث عليك حدثاً فتضربه بالحرب الآخر، وقد بقيت عليك في التدبير بقية، وهي أن تعبر بابنك فتنزله في ذلك الجانب وتحوّل معه قطعة من جيشك، فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً، فإنْ فسد عليك أولئك ضربتهم بهؤلاء، وإنْ فسد عليك هؤلاء ضربتهم بأولئك، وإنْ فسد عليك بعض القبائل ضربتهم

١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٣: ٧٩٢.

٢- تاريخ مدينة السلام ١: ٣٧٤.

٣- الدولة العباسية ٧٢.

بالقبيلة الأخرى، فقبل رأيه واستقام ملكه وبنى الرصافة<sup>١</sup>. فالمنصور وجد في هذه المشورة فرصة مناسبة وملائمة لتكون برامجه متطابقة مع هذه المشورة في تفتيت رعيته وتمزيقهم بالفرقـة والضياع والنـزاع لكي لا تطـاول رعيـته أو جـنـدهـ، أو تـفـكـرـ في حقوقـ إضافـيةـ أكثرـ منـ حقوقـ العـبـيدـ. وهـنـاكـ منـ يـذـهـبـ إلىـ أنـ المـنـصـورـ كـانـ تـسـاوـرـهـ شـكـوكـ منـ الـبـيـتـ الـعـبـاسـيـ نـفـسـهـ الـذـيـ أـصـبـحـ يـهـدـهـ مـسـتـقـبـلـ أـوـلـادـهـ. فالروايات تـؤـكـدـ أنـ عـبـدـ اللهـ بنـ عـلـيـ عـمـ المـنـصـورـ لمـ يـبـاعـ المـنـصـورـ بـالـخـلـافـةـ إـلـاـ بـعـدـ سـتـينـ، وـمـنـ الـمـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ ذـلـكـ مـتـعـلـقاـ بـرـغـبةـ عـبـدـ اللهـ فـيـ أـنـ يـلـيـ أـمـرـ الدـوـلـةـ بـنـفـسـهـ عـلـىـ أـيـةـ حـالـ، فـإـنـ عـبـدـ اللهـ كـانـ مـنـذـ تـلـكـ الـفـتـرـةـ مـقـيـماـ مـعـ أـخـيـهـ سـلـيـمانـ بـنـ عـلـيـ وـالـيـ الـعـبـاسـيـنـ عـلـىـ الـبـصـرـةـ، وـحـدـثـ أـنـ المـنـصـورـ قـامـ بـعـزـلـ سـلـيـمانـ عـنـ لـاـيـةـ الـبـصـرـةـ سـنـةـ ١٣٩ـ مـمـاـ دـفـعـ بـعـدـ اللهـ إـلـىـ أـنـ يـخـفـيـ عـنـ أـنـظـارـ المـنـصـورـ خـوفـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ، غـيرـ أـنـ الـخـلـيفـةـ قـبـضـ عـلـيـهـ وـأـلـقـاهـ فـيـ السـجـنـ، فـظـلـ مـسـجـونـاـ حـتـىـ سـنـةـ ١٤٧ـ إـذـ قـرـرـ فـيـ هـذـهـ سـنـةـ أـنـ يـتـخـلـصـ مـنـهـ نـهـاـيـاـ، فـسـلـمـهـ إـلـىـ وـلـيـ عـهـدـهـ عـيـسـىـ بـنـ مـوـسـىـ لـيـنـقـذـ مـهـمـةـ القـتـلـ. وـكـانـ يـهـدـفـ مـنـ وـرـاءـ ذـلـكـ إـلـىـ تـشـوـيـهـ صـورـةـ عـيـسـىـ أـمـامـ أـفـرـادـ الـعـائـلـةـ الـعـبـاسـيـةـ فـيـكـسبـ مـوـقـعـهـ وـتـأـيـيـدـهـ بـعـزـلـهـ عـنـ الـوـلـاـيـةـ وـتـنصـيبـ اـبـنـهـ الـمـهـدـيـ بـدـلـاـ مـنـهـ. وـكـانـ عـيـسـىـ وـاعـيـاـ فـاستـشـارـ أـحـدـ الـأـشـخـاصـ حـولـ الـمـوـضـوعـ، فـاعـتـرـضـ عـلـىـ قـتـلـ عـبـدـ اللهـ. وـإـنـماـ أـشـارـ عـلـيـهـ بـسـجـنـهـ لـفـضـحـ نـوـيـاـ الـمـنـصـورـ. إـنـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ عـلـاـوةـ عـلـىـ الـإـجـرـاءـاتـ الـقـاسـيـةـ الـتـيـ اـسـتـعـمـلـهـاـ بـحـقـ عـيـسـىـ بـنـ مـوـسـىـ مـنـ أـجـلـ إـذـلـالـهـ كـيـ يـغـيـرـ رـأـيـهـ فـيـ عـدـمـ التـناـزـلـ عـنـ لـاـيـةـ الـعـهـدـ قدـ أـثـرـتـ عـلـىـ وـضـعـيـةـ الـمـنـصـورـ وـنـفـوذـهـ وـزـادـتـ مـنـ شـكـوكـهـ فـيـ أـبـنـاءـ

جلدته من العائلة العباسية. ولا يستبعد أن يكون القادة والجندي قد تأثروا أيضاً بتلك الأحداث، فمال بعضهم إلى صفات عيسى بن موسى وعبد الله بن علي، لذلك صار المنصور لا يأمن جانب هؤلاء، فأراد أن يضرب بعضهم ببعض، فأمر ابنه المهدي ولبي العهد أن يتوجه بقسم من القادة إلى الري، وحينما عاد المهدي من عملياته العسكرية سنة ١٥١ أمره أن يتَّخذ معسكراً له ولجنده في الجانب الشرقي من المدينة المدوّرة، فكان ميلاد جانب الرصافة<sup>١</sup>، لتكون هذه المدينة قصبة أو ناحية تابعة له ولمخططاته وسياساته التي يرسمها في المستقبل، أو ملاداً وموقعاً بديلاً يلْجأ إليه إن دارت عليه الدوائر في بغداد. ومن هنا فالهدف الرئيسي من وراء تأسيس الرصافة عسكري، ولهذا السبب أطلق بعض المؤرخين على مدينة الرصافة اسم عسكر المهدي.

وقد نهج المهدي نفس المنهج الذي سار عليه والده في بناء الوحدات العمرانية في الرصافة، كالميدان والسور والخندق، فلقد كان السور والخندق من الوحدات العمرانية المهمة في المدينة المدوّرة لكونها مدينة محصنة، وصار السور والخندق أيضاً صفتين متلازمتين في الرصافة على اعتبار أنها مدينة عسكر أيضاً، في الوقت الذي لم يذكر فيه أيٌّ من هاتين الوحدتين عند تأسيس الكرخ، وذلك لأنّها مدينة سوق لا مدينة عسكر. وفي الوقت الذي كانت فيه وظيفة الكرخ اقتصادية معتمدة على الأسواق بالدرجة الأولى، كانت الرصافة قد تأسست لكي تكون مدينة عسكر أو مدينة قصر المهدي، غير أنها بمرور الزمن أخذت جذب الأمراء والعامّة، فتزايد حجم سكانها وأتسعت حركة البناء والعمارة، فبنيت القصور وأنشئت الأسواق، فانتعشت

## ٢١٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

الحركة التجارية فيها أيضاً. وقد زادت هذه الحركة العمرانية من مساحة المدينة، فوصفها ابن حوقل في متصف القرن الرابع للهجرة بـ تزايد أحوالها العمرانية، وبالتالي تزايد كثافة سكانها، حتى آل الأمر إلى أن ينتقل إليها كرسي الخلافة فصارت العاصمة<sup>١</sup>.

وشهدت بغداد نمواً متصاعداً وسريعاً في كافة مرافقها ومساكنها بعد أن صارت - إضافة إلى أنها مركز القيادة السياسية - عاصمة الدولة للثقافة والفنون والعلوم والأداب، وصارت بغداد في عيون أهل زمانها جنة الله في أرضه. ومن طريف ما يروى أنه قيل لرجل: كيف رأيت بغداد؟ قال: الأرض كلها بادية وبغداد حاضرتها. وأنشد بعضهم في بغداد:

أبغداد يا دار الملوكِ ومجتبى صنوفِ المعنى، يا مستقرَ المتأبرِ  
ويا جنةَ الدنيا ويا مطلبَ الغنى ومنبسطَ الأمل عندَ المتأجرِ  
وقال آخر:

ماذا يبغداد من يرِ أفانينِ من منازلَ الدنيا وللدينِ؟!  
ثمسيَ الرياح بها حسرى إذا درجت وخرشت بينَ أغصانِ الرياحينِ<sup>٢</sup>  
لكن الزمان دار دورته على بغداد الفاتنة، فمزقَ ثوبها الزاهي البديع في  
فتن و المصائب جرت عليها في زمن خلفاء بنى العباس، فأبكتها وأبكت  
عشاقها متوجعين مما أصابها وأصاب أهلها من جور الزمان وسلطنه، فقال  
الشاعر يحكى عنهم:

١- دراسات في تاريخ المدن العربية .٣٤٨

٢- بغداد مدينة السلام للهمданى .٦٠

فقدتُ غصارة العيش الأنيقِ  
ومن سَعْةٍ ثُبَّلَتِنَا بِضيقِ  
فأَفَنتَ أهْلَهَا بِالْمَنْجِنِيقِ  
وَنَائِحَةٌ تَنَوُّعَ عَلَى غَرِيقِ  
وَبَاكِيَةٌ لِفَقَدَانِ الشَّفِيقِ  
مَضْمَنَّةٌ الْمَجَادِدُ بِالْخَلُوقِ  
وَوَالدَّهَا يَفْرَرُ إِلَى الْحَرِيقِ  
مَضَاحِكُهَا كَلَاءُ الْبَرِوقِ  
عَلَيْهِنَّ الْفَلَانِدُ فِي الْخَلُوقِ  
وَقَدْ قُدِّدَ الشَّفِيقُ مِنَ الشَّفِيقِ  
بِلَا رَأْسٍ بِقَارِعَةِ الْطَّرِيقِ

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادِ لَمَّا  
تُبَسِّلُنَا هَمُومًا مِنْ سَرُورِ  
أَصَابَتْنَا مِنْ الْحَسَادِ عَيْنُ  
وَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قَسْرًا  
وَصَائِحَةٌ تَنَادِي: وَاصْبَاحَا  
وَحَسُورَاءَ الْمَدَامِعِ ذَاتِ دَلِّ  
تَفَرَّرَ مِنْ الْحَرِيقِ إِلَى اِنْتَهَابِ  
وَسَالَةَ الْغَزَالَةَ مُقْلِتَهَا  
خِيَارِي هَكَذَا وَمُفَكَّرَاتِ  
يُنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقَ  
وَمُغْتَرِبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُلْقِي

وهكذا صارت بغداد في أقل من قرن أو نصف قرن على تأسيسها منكوبة حزينة، خربة ريوغها، متناثرة أوراق أشجارها، ذليلة رياحينها وأزهارها، تقاطر دموعها في أزقتها ودوربها حتى فاض دجلة بالدم والدموع.

وزاد بغداد حزناً وألمًا لما جاورها الطاهر بن الطاهر موسى بن جعفر عليهما السلام ضجيعاً في سجن هارون الرشيد حتى واراه ثراها وتدرّر بدنـه الطاهر من ترابها وندتها، فاستدرّ دموع أبنائها وأطيارها ووحشـها وسباعـها، لأنـ نجمـها وكوكـبـها خـبا وغـابـ عن سمـانـها، ولـبـستـ بغدادـ ثـوبـ الحـزنـ، ولـهاـ منـ صـولاتـ الزـمانـ علىـهاـ مـرـةـ بـعـدـ أـخـرىـ، وـيـتـجـاذـدـ بـلـاؤـهاـ وـحـزـنـهاـ عـلـىـ الدـوـامـ، كـأـنـ لـهـاـ فـيـ الحـزنـ وـالـشـفـاءـ وـالـبـكـاءـ نـصـيـاـ مـذـخـورـاـ تـسـتـدـرـهـ حـينـ يـعـضـهـ الزـمانـ بـنـابـهـ، ولـعـلـ

أمر ما ذاقت بغداد من ويلات الزمان، بعد عذاب موسى بن جعفر عليه السلام فيها مغرباً، وتغيبه في ظلمات سجونها ومواراة بدنها الطيب في ثراها، هو ما جرى لها في منتصف القرن الخامس الهجري حين نزل جنود طغرل بك في دور الناس وتعرّضوا لحرمهن، حتى أنَّ قوماً صعدوا إلى جامات الحمامات ففتحوها ثمَّ نزلوا فهمموا على ما بها من النساء وأخذوا منهنَّ وخرج الباقيات عاريات<sup>١</sup>.

### الزحف السكاني نحو بغداد

لم تعش بغداد بعد بناها وحيدة منطوية على ترابها وممسكة بجذور أشجارها، وكانتها غافلة ونائية بنفسها عن عشاقها وطلابها، بل كانت تتسم لهم عن بعد وتحييهم وتمثّلهم في يقطفهم وأحلامهم، فهذه الوليدة الفاتنة الساحرة كانت تداعب خيال الشعراء والأدباء والفنانين، وتعدهم بملء جيوبهم وتحريك قرائحهم. وكان يشارك بغداد في لهوها وفي زهوها وغضجها النهر الرائع دجلة المتباخر بمائه وطينه الذي يقذف بالخير والعطاء والجمال، ويفيض بالنعم الوافرة مع انسياط مياه الدافقة الجارية بين دهاليز الخضراء والبساتين النضرة الغناء، فيزيدها بهاء وفتنة وإغراء.

وقد غدت بغداد لاحقاً في عهد الرشيد أujeوبة البلدان وأسطورة الدنيا في عيون بلاد الشرق والغرب، لما كان بين الرشيد وشارلمان ملك الفرنجة من علاقات سياسية، وأواصر الود والصفاء. وممَّا زاد في ذيوع شهرتها بين أمم الغرب كتاب ألف ليلة وليلة الذي تُرجم إلى معظم اللغات الأوروبية<sup>٢</sup>، فبغداد

١- شذرات الذهب ٣: ٢٩٤

٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والتلفزيوني والاجتماعي ٢: ٥٠

في أول ولادتها كانت قبلة الخلق وبدأت حركتهم الدائبة نحوها، فلم تقطع الهجرة إليها من بدو تأسيسها، فما إن استوطنت بغداد بعد إكمال عمارتها حتى بدأ العراقيون يتقاطرون عليها من كل صوب، وشكل توافدهم هجرة متواصلة للاستقرار في بغداد. وهذا التدافع نحو بغداد يعود إلى النمو والتطور الاقتصادي الذي شهدته.

ولكن لم يكن هذا التطور متعادلاً ومتوازناً مع هذه المدينة، فمسألة التطور الاقتصادي انعكست بتناقضاتها على التركيبة الطبقية في المجتمع البغدادي أكثر من غيره، وبرزت بشكل واضح في أبهاء الحكم العباسى ومظاهره الرسمية، وصار التمايز الاجتماعى واضح القسمات على أساس النسب والمال؛ ففي العصر العباسى الأول كان التفريق بين العربى والنبطى قائماً، كما أن الفروق بين العرب والموالى لم تزل آثاره باقية لدى البعض، لاسيما أن بعض المذاهب الفقهية قد ساهم بشكل أو باخر ببقائه<sup>١</sup>. وقد جاء في الفقه المالكى المنسوب لمالك ومن أرسى قواعده منهم، وكما في المدونة: أرأيت الرجل يقول للرجل من العرب: يا نبطى، أيضرب الحد في قول مالك؟ قال: نعم يضرب الحد، قلت: فإن قال ذلك لرجل من الموالى: يا نبطى، قال: يستحلف عند مالك بالله الذي لا إله إلا هو ما أراد نفيه من آبائه ولا قطع نسبة، فإذا حلف نكل، فإن أبى أن يحلف لم يكن عليه حد ونكل بالعقوبة. قلت: أرأيت إن قال لرجل من العرب: يا حبشي أو يا فارسي أو يا رومي أو يا بربرى، أيضرب الحد في قول مالك؟ قال: نعم. قلت: أرأيت أن قال لرجل من العرب: يا فارسي، أو قال لرجل من مصر: يا يمانى أو قال لرجل من

<sup>١</sup> ينظر: ورآقو بغداد في العصر العباسى : ٢٨ و ٣٣

اليمن: يا مصرى، قال: أرى هذا كله قطعاً للنسب، وأرى منه الحدّ كما قال مالك في قطع الأنساب: لأنَّ العرب إنما تنسب إلى الآباء، فمن نسبها إلى غير آبائها فقد أزال النسب فعليه الحدّ، وكذلك لو قال لرجل من قيس: يا كلسيّ، أو لرجل من كلب: يا قيسى، فقد أزال النسب فعليه الحدّ.<sup>١</sup>

ومن هنا فالمجتمع العباسى مجتمع تراثي طبقي لا ينفك عن عصبيته القبلية والإقليمية والقومية، رغم شعارات العباسيين بأنهم ليسوا كبني أمية في التمايز العنصري والقومي والقبلي والإقليمي.

وكان من نتيجة تغلغل المذاهب القبلي والقومي في عمق المجتمع العباسى أن انعكس هذا على الروابط الاجتماعية، وتحكم بها بقوّة، كما في تكوين وعقد الزواج وترتيب العلاقات الأخرى. ويروى ابن الفقيه الهمданى أنَّ رجلاً نبطياً من سواد الكوفة كان يسمى أبي زياد عمرأً طويلاً، وكان ممّن وسمه الحجاج. وذلك أنَّ الحجاج وسم البطل على أيديهم ليعرفوا من سائر الناس، وكان أبو زياد عاش إلى أيام المنصور، وقال رجل من طيء: أنا رأيته بالكوفة في بني عكل في حانوت له يربط البقل وعليه إزار والوشم على ذراعه. وقال: كان انتقاله من الكوفة مع المنصور لِمَا انتقل إلى بغداد فنزل في المخرم في شارع النفاطين، فقام في الخان وترك بيع البقل. وكان يكتنى قبل مصيره إلى بغداد أبي زبيب، ثمَّ تكتنى بأبي زياد. ونشأ له ابن فتاذب وفصح فصار إلى همدان فأصاب مالاً وتزوج هناك امرأة من العرب، وذلك ادعى أنه عربي، ثمَّ طعن في نسبة عند الرجل الذي تزوج إليه، فقدم الرجل بغداد فسأل فأخبر بقصته ودلَّ على أبيه، فصار إليه ووقف عليه فقال: ما ربيع منك؟ قال: أبني،

١- المدوّنة الكبيرى لمالك بن أنس، باب فيمن نسب رجلاً من العرب أو من الموالي إلى غير

فشهر عليه السيف وحال الناس بينهما. وقيل له: لمْ نفتوك؟ لأنك زوجت من لا تعرف<sup>١</sup>. وهكذا كان الناس يعيشون في تفاوت وتمايز، وتحكمت بهم تقسيمات اجتماعية لا تنفك عن أعرافهم وقيمهم التي لا تنفصل عن جذرها الضارب بين القبيلة والقرية والحي، ولهذا لا يرتفع في السلم الاجتماعي لديهم إلا صاحب النسب والمال والجاه.

أما حياة الخلفاء وأبنائهم وأمرائهم ومن ارتبط بهم وبصورهم، فهم في غالب حياتهم رافعون أنفسهم في أعلى درجات السلم الاجتماعي والطبيقي، متعالون متربّعون، سادرون في عيش باذخ وقصور عالية خفافة بزيتها، وأعلام القصف والعربدة واللهو بارزة في منتدياتهم، منها تبشق قيمهم ومثلهم. ولا تمتدا عيون ملوكهم وأزواجهم وأولادهم إلا إلى القصور المنيفة العالية التي تتطاول على الروعية وتشمخ بترفها وأبهتها وطروز بنائها الذي يعلو ويرتفع بامتداد الليالي والسهرات والمسامرات.

وقد كانت للخلفاء وأبنائهم وزوجاتهم وحظياتهم القصور التي بُنيت في الجانب الغربي من بغداد أولاً ثم في الجانب الشرقي، فكان للمأمون قصر وللمعتضي ولوزارائهم، كالحسن بن سهل وبعض الهاشميين. ولمّا كانت قصور الخلفاء متقاربة أحاطت بسور خاص أطلق عليه حرير دار الخلافة، وأصبحت مقر الخلفاء طوال عمر الدولة العباسية باستثناء الفترة الممتدة ما بين ٢٢١-٢٧٩ التي اتخذت سامراء فيها عاصمة وعاش فيها الخلفاء: المعتضي والواشق والمتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز والمهتمي والمعتمد. وبنوا فيها القصور وشاركهم في البناء أتباعهم ونساؤهم وأمهاتهم.

ولقد كان المتوكل من بين هؤلاء أكثرهم ولو عما بالبناء، لذلك بني في سامراء جملة قصور، ووسع ما ورثه منها عن أسلافه، وكانت تلك القصور مزданة بنقوشها وهيئتها الفنية، وما يحيط بها من بساتين تتخللها أحواض المياه وهي البركة والوحيد والبهو والقلائد والقصر والجوستق والتل والغرير والمليح والمؤلأة والشاه والعرس والبديع والشيدار والمختار والبرج والغرد وكورا والجیر والصیح وقصر الإيتاخية (في المحمدية) والجعفري، والجعفري المحدث، ومدينة المتكولة.

وقد صرف المتوكل على بناء قصوره الجديدة، أو التي قام بتوسيعها وتزيينها أموالاً خيالية. وأطيب الشعراء أمثال ابن المعتز والبحترى في وصف تلك القصور. وأبانت أشعارهم في وصفها علوًّا جدرانها التي ترى من بعيد وتهدي الساري في الليلة الظلماء، وأنها ذات رياض وجداول. وقد طليت سقوف بعضها بالذهب، وبليطت أرضها بالرخام وا زادت جدرانها بالزجاج، وزينت بركاتها بالتماثيل والصور.

وبعد عودة الخلفاء إلى بغداد اهتموا بقصور دار الخلافة التي كانت لهم ولأولادهم وجواريهم وحرسهم، فضلاً عن حديقة الحيوان. وكان يعمل في تلك القصور عدد كبير من الطباخين والخدم وبعض أصحاب الصنائع وال وكلاء الذين يقومون بالأعمال نيابة عن الخلفاء أو زوجاتهم أو أبنائهم. وقد عاش الحكماء ومن حوتهم قصور الخلفاء عيشة ناعمة متوفة. وأطلقت على مجموع قصورهم في الجانب الشرقي اسم حرير دار الخلافة. والأصل فيه القصر الحسيني على دجلة في الجانب الشرقي منها، وكان هذا القصر لوزير المأمون الحسن بن سهل، ثم ورثه بوران ابنته، ثم أصبح للمعتمد بالله الذي بادر بإضافة ما جاوره إليه، وبذلك وسّعه وكبره وعمل عليه سوراً حصنه

به، ثمَّ لما قام المكتفي بالله بعده بنى قصر التاج على دجلة أيضًاً، وعمل وراءه قباباً ومجالس، وتناهى في توسيعه وتعلیته، ثمَّ توَّلَ المقتدر بالله الخلافة، فزاد في ذلك مما أنشأه واستحدثه، فأصبحت القصور متباورة متصلة مثل قصر الثريا والميدان وغير الوحش (حديقة الحيوان). وكانت دار الخلافة بمرافقها المختلفة في عهد المقتدر تَسْعَ آلَافَ الجنَدِ والخدم مقسمين إلى فرق، ولكلَّ فرقة أو طائفة واجبات محددة، لهذا غدت دار الخلافة بقصورها ومرافقها مساوية لمدينة شيراز في أوائل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي)<sup>١</sup>.

ووصف أبو الحسن هلال الصابي - وهو من الذين عايشوا القرن الرابع والخامس الهجري - دار الخلافة العباسية بالقول : كانت دار الخلافة عظيمة السعة، وعلى أضعاف ما هي عليه الآن من البقية الرائعة، ودليل ذلك أنها كانت متصلة بالبحير والثريا، ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة، وإنما انفصلا عنها وطال مداهُما منها بما أتى عليه الحرائق والهدم من الدور والمنازل والبنيان والعمران في الفتنة عند خلع المقتدر بالله وعوده، والقبض على القاهر بالله وقتل المكتفي أبا الهيجاء بن حمدان، وما بعدها من الفتنة المتراوفة بالأيدي المختلفة، فإنَّ ذلك استهلك الشطر الأكبر منها. ومن بعض أمورها أنَّ كان فيها مزارع وأcker، وعوامل برسملها، وأربعين حمام لمن تحويه من أهلها وحواشيها. أمَّا في أيام المكتفي بالله فإنَّها اشتغلت على عشرين ألف غلام دارية، وعشرة آلَافَ خادم سوداً وصقالبة. وأمَّا في أيام المقتدر بالله فالإجماع واقع على أنه كان فيها أحد عشر ألف خادم<sup>٢</sup>. ولم تدم أيام ازدهار الدولة

١- المجتمع العربي في العصر العباسى. حضارة العراق : ٥٨ .

٢- رسوم دار الخلافة .

طويلاً مع هذا الترف والسرف؛ لأنَّ التوسيع وما رافقه من جهد حربي أثقل كاهل ميزانية الدولة حيث إنَّ العمليات العسكرية مع الدول المجاورة، ومعها تلك الاضطرابات الداخلية، أسهمت إسهاماً كبيراً في استنزاف القدرات المالية.<sup>١</sup>

## بطر بغداد وترفها وبذخها

بلغت مظاهر الترف والأبهة في صور الحياة اليومية للبغداديين، وكذلك في مراسم وطقوس الدولة العباسية وعاصمتها الغنية ببغداد، درجة كبيرة من التعقيد والتتكلف. وقد تجلّت وانعكست حتى على مظاهر الفتنية والجواري والصبيان في حياتهم الخاصة. وحتى رجال الجيش والشرطة والحرس الذين كلفوا بمهام قتالية بدت عليهم مظاهر الترف والأبهة والمظهر الحسن الذي يحكي سعة الدنيا وانبساطها وإقبالها على هذه الدولة المتضاحكة آنذاك.

وينقل المؤرخون صورة لبغداد في القرن الرابع الهجري عندما وصل رسول ملك الروم إليها أنزل دار صaud في الجانب الشرقي، ثم صفت العسكرية من دار صaud إلى دار الخلافة. وكان عدد الجيش مائة وستين ألف فارس وراجل، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار، ثم أدخل في أزوج تحت الأرض فسار فيه حتى مثل بين يدي المقدير بالله وأذى رسالة صاحبه، ثم رسم أن يطاف به في الدار وليس فيها من العسكرية أحد البنت، وإنما فيها الخدم والحجاج والغلمان السودان. وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم، منهم أربعة

آلاف بيض، وثلاثة آلاف سود، وعدد الحجاب سبعمائة حاجب.<sup>١</sup>

وأصبح من الظاهر المأثور الدخول على الخليفة وفق ترتيب معين يدخل فيه الرجال كل حسب مرتبته، وكان التمييز يجري بمستوى المعيشة. وكان التفريق يجري بين من نشأ في قصور الخلافة وبين من نشأ بين العامة والبدو، كما كان التمييز قائماً على حقل الأخلاق؛ فالمعيار: الأبوة، والنعمة والعرق، والكتبة. وأدت التطورات الاجتماعية التي نتج عنها قيام طبقة واسعة من العمال والحرفيين والتجار إلى اختفاء بعض المعايير الاجتماعية القديمة.

ومنذ القرن الثالث الهجري أصبح الناس يتعرفون بهمّهم فيقال: الجوليقي، أو الرفاء، أو الكاتب، أو الشاهد. وربما تعارفوا بمواطنهم. إن اكتمال بناء سلطة الدولة ومؤسساتها، وبروز التمايزات الاجتماعية في بنية المجتمع أمر له دلالات تاريخية تؤشر إلى رقي وتطور حضاري، وهو ض صاعد.<sup>٢</sup> ومع هذا النهوض الحضاري النسبي فالمجتمع زمن العباسين انتكس وانحدر في التراتيب الطبقية والاقتصادية والسياسية التي صارت تدفع وتزيح القيم الدينية التي جاء بها الإسلام، خارج منظومة القيم الدينية والاجتماعية ودائرة المعايير والأعراف التي ينبغي أن تكون هي الأساس والمحور في المجتمع. وكأنَّ معيار الصلاح والتدين والزهد والعبادة والخشوع لم يعد له صوت يسمع.

وعلى العموم كان المجتمع في عصوربني العباس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - أصحاب الثراء: وهم الذين يتربعون في القمة، وهم الخليفة وكبار رجال الدولة والتجار وأصحاب الأرضي. ٢ - متسلطو الحال: وهم دون الأمراء وفوق الفقراء. ٣ - الفقراء الذين يشكلون القسم الثالث والأعظم من المجتمع.

١- خطط بغداد وأنهار العراق القديمة . ١٢٦

٢- ورافقوا بغداد في العصر العباسى . ٣٤

والأمر المؤكَد، كما تظاهره كتب التاريخ والأدب بشكلها الواسع، سعة الهوة بين الفئتين المعدمة الفقيرة والثانية الغنية المترفة. فالفئة الغنية وعلى رأسها الخلفاء والأمراء والسلطين، كانت تملك الضياع والبساتين في مناطق مختلفة من العراق، وكان لهم وكلاء يديرون شؤونها، لذلك كان الخلفاء والأمراء يهبون منها للشعراء وللمقربين إليهم، ويبالغون في العطايا والهدايا، كحال المهدي والرشيد والمتوكّل والمقتدر وغيرهم، وكان هذا دأبهم طوال حكمهم<sup>١</sup>.

وزادت مظاهر الترف والبذخ والسرف حين توافرت الأموال في أيدي ملوك بنى العباس وأتباعهم ومواليهم، وزداد الوضع المعاشي والاقتصادي ازدهاراً للعامة أيضاً حين أمن هارون الرشيد طرق القواقل والسفن التي حملت السلع من جميع أرجاء العالم إلى العراق، فحملت الآية من الهند، وال الحديد من خراسان، والرصاص من كرمان، والنسيج الملون من قشمير، والعود والمسك والسروج والدارصيني من الصين، والعطر وأنواع الطيب من اليمن، والسلاح والمصوغات من فارس، واللائئ والخيزان والكافور والعود والقرنفل والنارجيل والثياب القطنية والقليمة من الهند والستاند، والياقوت والماس من سرندليب، والجلود والرقيق من بلاد البروم، والفاكهه والسلاح وال الحديد من بلاد الشام، وجلود الثعالب من روسيا.<sup>٢</sup> وقد رافق هذا تطوراً وازدهاراً حضاري كبيرين، وافتتاحاً واسعاً في العلاقات السياسية الخارجية للدولة على الشعوب والأمم المعاصرة لها، فجاء هذا الازدهار وذلك التوسع

١- المجتمع العراقي في العصر العباسي :٥٧.

٢- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي ٢ : ٣١٨.

■ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

ليشمل تنظيم السفارات الغربية بشكل دقيق ووفق ضوابط جديدة تتناسب  
وازدهار الدولة الحضاري ومصالحها الواسعة، فشهدت بغداد أقوى العلاقات  
الدبلوماسية وأوسعها، وظلت كذلك حتى سقوطها سنة ٦٥٦ / ١٢٥٨ م.<sup>١</sup>

---

١ـ العلاقات السياسية الخارجية، السفارات نظام سياسي حضاري، حضارة العراق ٦ : ٣١٣

## رياح الحضارة في بغداد

يعتقد كثير من الباحثين والمؤرخين أن العهود العباسية أزهى العهود وأرقاها في العلوم والفلسفة والأدب والشعر، وكان اندفاع أهل العلم والمعرفة والأدب نحوها، وكذلك الثقافات الوافدة التي تدفقت على بغداد وأغتها بحضور أهل المعرفة والأدب والثقافة والترجمة الذين صنعوا ثقافاتهم التي حملوها معهم في حجر بغداد التي احتضنتهم وأوتهم وكتبتهم من زيتها وجمالها وبهائها، وملأت جيوبهم بدنانيرها، وأتختمت بطونهم من خضرتها وبقلها ولحمها، فكانت متهى آمال العلماء والأباء والباحثين والمؤرخين وال فلاسفة، وحتى المسؤولون وأدعية الثقافة والأدب كانت بغداد لهم ملاداً وحلموا ليحطوا رحالهم على ترابها.

ويعتبر البعض أن الاختناك بحضارات الأمم والشعوب الأخرى، ونشوء حركة الترجمة العلمية والأدبية ترك الأثر الواضح في تنقيح العقل العربي وإغنائه بالعلم والمعرفة. إذ تلقت قلوب المسلمين وعقولهم رياح الحضارة ونظمها. وكانت هناك مدارس ثقافية كبيرة عرفها المسلمون واتصلوا بها، فهناك مدارس تتتصب في الإسكندرية وجنديسابور وحران ونصيبين والرها وغيرها كانت منارات تنقل مع رسالها مدنيةات الشرق القديم والفكر اليوناني.

وحصل تمازج عنصري كان منه جيل جديد ذو أخلاق وعادات جديدة، وكان منه تلقيح للعقول والأقلام والأذواق.

ونمت ثروة طائلة تجلت في القصور والملابس والأثاث، كما تجلت في حياة اللهو والبذخ، وغذتها التجارة الواسعة والصناعة الزاهرة، والزراعة الغنية، والتشجيع الذي بذله الخلفاء والأمراء والولاة لرجال الفكر والعلم والفن في غير حساب ولا اقتصاد<sup>١</sup>. ومن هذه الأجواء والمناخات والثقافات الوفادة لعب العنصر الأجنبي دوره الفاعل في تغيير مجمل العادات والأذواق، حتى امتد ذلك إلى نمط الاستهلاك الفردي للبضائع والسلع التي يسوقها التجار، ووصل الأمر إلى نوع المأكولات واللباس الذي يتزين به أهل عصور دولة بني العباس. أما التفاعل مع حضارة العصر الذي تتجدد وسائله وأدواته وأساليبه واحتفالاته في الحياة والمعايشة، وكذلك في التعبير عن المناسبات والأعياد الدينية والوطنية والقومية الخاصة بالشعوب والأمم الأخرى من غير العرب والمسلمين، والتي عرفتها البيئة العربية والإسلامية بعد الفتوحات والاحتلال بأمم العالم، فلم تكن هناك ممانعة تذكر أبداً لها علماء الدين، وكذلك من الأئمة<sup>عليهم السلام</sup>. ولعل ما يحكى عن يوم النيروز الذي يحتفل فيه الإيرانيون عند رأس كل سنة شمسية منذ زمن بعيد يعكس تفهم الأئمة<sup>عليهم السلام</sup> لهذه المناسبة الوطنية والقومية الخاصة بالإيرانيين وشعوب المنطقة المتاخمة لبلادهم. ويروى عن هذا أنَّ المجوس أهدوا يوم النيروز جامات من فضة فيها سكر إلى الإمام علي<sup>عليه السلام</sup> في خلافته، فقبلها<sup>عليه السلام</sup> منهم وقسمها بين أصحابه، وحسبها من جزائهم<sup>٢</sup>.

١- ينظر: الموجز في الأدب العربي وتاريخه ٢٥ و ٢٦.

٢- بحار الأنوار ٤١ : ١١٨.

## عيد النيروز في بغداد

غمرت بغداد العادات والتقاليد والمهرجانات والاحتفالات والأعياد التي كانت شائعة عند معتقديها وأصحابها، ومن هذه الأعياد والمناسبات ما يحمل معنماً دينياً لهم، وبعضها لا يحمل أيَّ معالم ديانة معرفة من قبل الشعوب والأمم الأخرى من غير العرب، فامتلأت ساحات بغداد وأرْقَتها بهذه المناسبات والأعياد فتزينت بها رغمَها، عنها إرضاء لفاطميتها وعشاقها. وكان من الطبيعي أن ترى بغداد مهيبةً ومعدةً لإجراء هذه الرسموم مع دوران الأيام وتقادها، فتلبس على الدوام زينة أعيادهم، وكأنَّ بغداد صارت في حينها عروس الدنيا فرقت إلى أمها. ومهما كانت هذه العادات والتقاليد الاجتماعية فهي تمثل حضارات وثقافات أمم صنعتها بيتهَا فتوارثتها أبناؤها وترسخت في أذهانهم، ومن هنا فمحاولة انتزاعها من بين ظهرهم ليست ميسورة، لاستمرار العمل والتقييد بها، وتعاهد الأجيال لها؛ لأنَّها صارت لهم جزءاً من كيانهم وتاريخهم. وبالإجمال انتقلت هذه القيم والاعتبارات والأعياد مع انتقال الأفراد والجماعات إلى بغداد، فلم تتضيق بساتين بغداد ودروبها من صخب هؤلاء وأهازيمتهم وأناشيدهم التي يرددونها، على رغم أنها لا تعني

شيئاً مع مناسبات الإسلام وأيامه وأعياده العظيمة. وقبول بغداد لهؤلاء الأفراد بقضائهم وقضيضهم، مع ما يحملون من قيم حضارات ماتت وانسحت، يعكس عظمة الدين الإسلامي وتسامحه واحترامه لثقافات الشعوب والأمم وخصائصهم الإقليمية والقومية، فلم يتزعزع أهل بغداد من هؤلاء المتشتبّهين بماضِي ولَيْ لم يبقَ منه إلا ذكريات وطقوس باهتة لا حرارة فيها ولا معنى، بل يتحدى التاريخ أنَّ بعض البغداديين شارك هؤلاء الأفراد أعيادهم الدينية والقومية.

وعموماً المجتمع الإسلامي، وفقاً لما بقي من تعاليم الدين الحنيف آنذاك في بغداد وغيرها من المدن، كان يضم المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة وغيرهم، وكان هؤلاء منتشرين في جميع أنحاء العراق باستثناء الصابئة الذين كانوا يسكنون جنوب العراق. ثمَّ نبغ منهم جماعة في بغداد وعرفوا كمترجمين وأطباء وكتَّاب. أمَّا اليهود فكانوا يمارسون التجارة والصياغة والصباغة. وقد برزَ من النصارى بعض الكتَّاب والأطباء والمترجمين، وعنِيت بهم الدولة العباسية وجعلت ديوان الجوالى مختصاً بأمرهم. وعاشَ أهل الذمة حرّيتهم كاملة، يمارسون طقوسهم الدينية وأعيادهم التي أصبحت معروفة لدى المسلمين أيضاً، كما كانت لهم مزاراتهم وأديرتهم ومعابدهم المنتشرة في مدن العراق وفي الأرياف. وهناك طائفة دينية عاشت وما تزال قرب الموصل، وهي الطائفة العدوية أو اليزيديَّة، وقد أخذت اسمها من عدَّى بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي<sup>١</sup>.

1- المجتمع العراقي في العصر العباسى، حضارة العراق ٥ : ٥٧.

وعيد النيروز، كسائر الأعياد في بغداد، وجد له من يضاحكه ويعيد له بسمته التي تتجدد مع إطلالة كل ربيع، بل نال حظاً وافراً هذه المرة لم يكن يحلم به هو ومن يحتفل به من الإيرانيين الذين جاء بهم المدّ العباسى في بغداد، حين جلس الإمام الكريم موسى بن جعفر عليهما السلام في صباحه ففتحه بهجة وبهاء وأنساً وسروراً، لاستقبال الأمراء والقادة والملوك والجنود لتقديم الهدايا له عليهما السلام، في هذه المناسبة، بناء على طلب المنصور الدوانيقي. وكان الإمام عليهما السلام في أول الأمر غير راض ولا راغب في هذه الجلسة، ولكنه جلس له بعد أن استحلفه المنصور قائلاً له: إنما تفعل هذا سياسة للجند، فسألتك يا الله العظيم إلا جلست، فجلس الإمام عليهما السلام، ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهتزونه ويحملون إليه الهدايا والتحف. وكان على رأسه عليهما السلام خادم المنصور يحصي ما يتحمل، فدخل آخر الناس رجل شيخ كبير السنَّ فقال له: يا ابن بنت رسول الله، إنني رجل صُعلوك لا مال لي أتحفك، ولكن أتحفك بثلاثة أبيات قالها جدّي في جدك الحسين عليهما السلام، فأنشد:

عجيبة لمصقول علاك فرندة  
ولأسمهم نفدتكم دون حرائر  
الآ تغضضست السهام وعاقةها  
يوم الهياج وقد علاك عبار  
يدغون جدك والدموع غزار  
عن جسمك الإجلال والإكثار

**فقال عليه السلام:** قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك، ورفع رأسه لله إلى الخادم وقال له: امض إلى أمير المؤمنين وعرّفه بهذا المال وما يصنع به. فمضى الخادم وعاد وهو يقول عن لسان المنصور: كلها هبة مني له - أي للإمام موسى بن جعفر عليه السلام - يفعل ما أراد، فقال موسى بن جعفر عليه التحية

والسلام للشيخ : اقْبض جمِيع هَذَا الْمَال فَهُوَ هَبَةٌ مَنِي إِلَيْكَ<sup>١</sup>.

### التأثير الأجنبي في البيت والمجتمع العباسي

كانت مسيرة التأثير الأجنبي في أبناء الخلافة متابعة محدودة في بادئ الأمر، فقد كان أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور، رغم أنهما كانا قد حصلا على الثروة والجاه وعلى كل مباحث الحياة، إلا أنهما فرضا على نفسيهما وعلى أتباعهما، بل على دولتهما، حياة الصلاة والجد وعدم الانسياق وراء الملذات والملاهي. ولكن تيار الأعاجم ما لبث أن اشتد حتى صار أعنف من أن يمكن الحدّ منه أو القضاء عليه، حتى رأينا المجتمع في العصر العباسي تعامل فيه المدينة عملها، فتقوض الكثير من تقاليده، وتدفع جزءاً كبيراً منه إلى الجري وراء الحياة ولذائذها ومباهجها. إلا أنَّ هذا لم يمنع جزءاً آخر من المجتمع من التمسك بالتقاليد والمثل العربية والالتزام بالفتراتص والتعاليم الدينية<sup>٢</sup>. ومع ما يقال من اتساع مظاهر الفسق والخلاعة والمجون التي عرفت بها طبقات محدودة من المجتمع العباسي، في عصور الحكم العباسي الممتدة حتى سقوط بغداد وأضمحلال ثقافتها ومجدها في سنة ٦٥٦، فإنَّ مداً من الثقافة والمعرفة الجادة كانت مُشاهدة في واقع الحال، نظراً لتوافد العلماء والأدباء والشعراء على مركز عاصمة الدولة في بغداد دون غيرها من المدن. كما أنَّ عدداً من حكام بنى العباس كانوا على حظٍ من العلوم والثقافة؛ فالملعون العباسي كان له فلسفة وعلم وثقافة يتناظر بها ويجالس العلماء والأدباء. وهذا النمو والتقدّم في الثقافة عزَّه اطلاع أهل

١- بحار الأنوار ٤٨ : ١٠٨.

٢- المرأة في أدب العصر العباسي ٢٥.

العصر على ثقافات أخرى، وازدهار فن الترجمة الذي عرفت المدرسة الإسلامية من خلالها مدارس الثقافة والفلسفة التي كانت عليها الأمم والثقافات الأخرى. فالتقدّم العقلي والنحو الفكري الذي كان عليه المسلمون في العصر العباسي بالمقاييس إلى الحقب المتقدمة دفع بعضهم إلى إنكار أن يكون نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي من خطب وحكم الإمام علي عليه السلام، وهو من إنشاء علي عليه السلام نفسه. وكانت حجتهم في ذلك أنَّ في الكتاب فلسفة لم تُعرف إلا في العصر العباسي<sup>١</sup>. ومن المؤكَّد أنَّ نهج البلاغة بمجموع خطبه وحكمه وقصوله الأخرى كان من نفس علي عليه السلام ونسج كلامه وببلغته، وليس للشريف الرضي أو أي شخص آخر القدرة على إنشاء ونظم مثل هذا الكلام الرفيع. وإذا كان شخص يقدر على هذا التأليف والنظم فما المانع من أن يتبااهي ويعلن بنفسه أنه صاحب هذا الإبداع؟! والذي في النهج لم يكن شيئاً لأي جهة سياسية أو فرقة قوية يخشى مؤلفها منها فيستتر مؤلف النهج باسم علي عليه السلام، لكي يبيثُ أفكاره ونظرياته التي تمنعه من أن يصدق بها. وما في نهج البلاغة هو علوم وفنون وأحداث قيلت في مناسبات تاريخية مضت لم يعايشها إلا علي عليه السلام نفسه بروحه وبلحمه ودمه، فلا يمكن لأي شخص أن يعيد أيامها وروحها وظروفها وأحداثها إلا بمعجزة لا تتهيأ ولا تتأتَّي لأحد. كما أنَّ فيه من الأداب والعلوم والمعارف ما ليس في مقدور الأدباء والعلماء الذين كانت تعرفهم تلك الأزمنة التي عاشها الشريف الرضي، أو أزمنة قبلها أو بعدها. ومع هذا فالعصور العباسية كانت مليئة بموهوب علمية وأدبية لا يمكن غضَّ النظر عنها أو تجاهلها. وقد يكون الاستقرار

---

١- ينظر: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم .٣٤٤

□ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون ٢٣٠

السياسي النسبي، والرخاء الاقتصادي، وتحول ثقافات الدنيا وأهلها إلى أرض المسلمين، كلّها عوامل مساعدة لانطلاق المواهب وازدهار الثقافة والعلوم والأداب والفلسفة والعرفان، ولكن هذا كله دون كلام علي عليه السلام، وأنى لهم اللحوق به أو مدانته؟ بل عقْم الزمان ولم يلد ولن يلد كلاماً مثل كلام علي عليه السلام.

## رخاء الدولة وتهاافت العصر

إذا كانت القوة والاقتدار والغنى وبسط الدولة لسلطتها يعتبر عزّاً وازدهاراً لها، فإنَّ إدامة هذه الأوضاع والمحافظة عليها ليست بالأمر الميسور، ولكن محاولة الاستمرار بهذه الصورة من القوة والقدرة والسيادة التي تعكس سلطة الدولة وهيبيتها المتواصلة على مواطنيها، وعلى ما يجاورها من دول وأقاليم، كانت تشغّل بالخلفاء بني العباس، وخصوصاً على التخوم الشرقية والشمالية الشرقية. ولم تتحمّل الدولة أعباء كبيرة للدفاع عن هذه التخوم، عدا حملات قليلة متفرقة، حيث أرسل المهدي حملة إلى الهند في عام ١٥٩ منطلقة من البصرة، ووجه حملة أخرى إلى طبرستان عام ١٦٧، ووجه حملة ثانية في السنة التالية مكونة من ٤٠ ألف جندي. وفي عام ١٧٨ توجّه الفضل بن يحيى واليَا على خراسان، فأمن الأوضاع في بلاد ما وراء النهر، كما توجّه إبراهيم ابن جبريل إلى كابل فأتمَّ فتحها<sup>١</sup>. وعزّز هذا الفتح من رخاء الدولة وفتح لها واردات ومصادر مالية واقتصادية جديدة أبطرتها، وفتح لها هذا النصر الحاسم

---

١ـ العلاقات العباسية البيزنطية .٦٦

أبواب الدنيا من الأمصار والممالك الأخرى التي أغدقـتـ عليها من برها وخيرها الشيءـ الكثيرـ، فوضعـ أـعوانـ الـدولـةـ وأـتباعـهـاـ أـيديـهـمـ فيـ المـآـثمـ والمـلاـهيـ، وزـادـ منـ تـطـلـعـ النـفـوسـ لـإـشـبـاعـ الغـرـائـزـ والـرـغـبـاتـ، وـنـفـنـواـ فيـ اللـذـةـ وـفيـ طـرـقـ إـشـبـاعـهـاـ أوـ فيـ اـبـتكـارـ المـلاـهيـ وـالـمـحـرـماتـ.

وعـكـفـ النـاسـ عـلـىـ الخـمـرـ فـيـ الـعـهـدـ العـبـاسـيـ لـاتـسـاعـ الـحرـيـةـ الـفـرـديـةـ وـالـجـمـاعـيـةـ فـيـ نـاحـيـةـ الـأـخـلـاقـ، وـلـانـدـفـاقـ الـأـعـاجـمـ عـلـىـ الـعـنـصـرـ الـعـرـبـيـ اـنـدـفـاقـاـ عـمـ الـسـيـاسـةـ وـشـتـىـ نـوـاحـيـ الـحـيـاةـ. إـلـاـ أـنـ الـمـجـونـ وـالـشـرـبـ بـقـيـاـ فـيـ مـطـلـعـ الـعـهـدـ مـحـصـورـيـنـ ضـمـنـ نـطـاقـ ضـيـقـ وـفـيـ بـيـثـاتـ مـحـدـودـةـ، وـكـانـ مـقـصـورـيـنـ عـلـىـ طـائـفةـ الـخـلـعـاءـ وـالـمـسـتـهـتـرـيـنـ، يـمـارـسـونـهـمـ فـيـ مـجـالـسـهـمـ الـخـاصـةـ، أـوـ فـيـ بـعـضـ الـمـحـلـاتـ الـعـامـةـ فـيـ شـيـءـ كـثـيرـ مـنـ التـسـتـرـ وـالـاستـخـفـاءـ، ذـلـكـ لـأـنـ الرـأـيـ الـعـامـ فـيـ الـمـجـتمـعـ حـيـنـذـاكـ كـانـ يـسـتـنـكـرـ الـمـجـونـ وـيـأـبـاهـ، وـلـأـنـ السـلـطـانـ كـانـ يـطـارـدـ الـمـاجـنـينـ وـيـنـزـلـ بـهـمـ الـعـقـابـ مـاـ اـسـطـاعـ إـلـىـ ذـلـكـ سـيـلـاـ، فـالـأـحـوـصـ وـالـعـرـجـيـ وـالـوـلـيدـ وـأـبـوـ نـوـاـسـ وـأـضـرـابـهـمـ كـانـوـاـ يـلـقـوـنـ مـنـ الـحـكـومـةـ أـذـىـ وـاـضـطـهـادـاـ وـنـفـيـاـ وـسـجـنـاـ، كـماـ كـانـوـاـ يـلـقـوـنـ مـنـ النـاسـ نـبـذـاـ وـإـعـرـاضـاـ وـاسـتـنـكارـاـ.

ولـمـ يـكـنـ الـأـمـرـ كـذـلـكـ فـيـ الـعـصـورـ التـابـعـةـ، إـذـ أـصـبـحـ الـمـجـونـ شـيـئـاـ مـأـلـوفـاـ لـاـ يـنـكـرـهـ الـعـرـفـ وـلـاـ يـأـبـاهـ الـذـوقـ الـاجـتـمـاعـيـ، وـانـطـلـقـ النـاسـ فـيـ تـطـلـبـ مـتـعـ الـحـيـاةـ انـطـلـاقـاـ شـيـئـاـ، وـأـصـبـحـتـ الـخـمـرـ عـلـىـ موـائـدـ الـعـامـةـ وـالـخـاصـةـ وـعـلـىـ لـسـانـ الشـعـرـاءـ يـتـغـنـونـ بـهـاـ فـيـ كـلـ مـجـلـسـ.

وـالـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ أـنـ الـخـمـرـ كـانـتـ ذاتـ شـائـعـةـ عـنـ الـفـرـسـ وـغـيرـهـ. وـقـدـ اـنـتـشـرـتـ حـوـانـيـتـ الـخـمـرـ فـيـ الـعـصـورـ الـعـبـاسـيـ الـأـوـلـ فـيـ الدـسـاـكـرـ وـالـأـرـبـاضـ وـالـأـدـيرـةـ وـمـقـارـقـ الـطـرـقـ، وـتـنـوـعـتـ آـيـتهاـ وـحـذـقـ تـجـارـهاـ فـيـ طـرـائقـ تـعـيـقـهـاـ، وـفـرـشـواـ لـهـاـ الـبـسـاتـينـ بـيـنـ الـمـاءـ وـالـرـياـحـيـنـ، وـجـمـعـواـ لـهـاـ الـجـوارـيـ وـالـقـيـانـ، فـكـانـ

طلابها كثرين، وكانت في نظرهم جوهر الحياة<sup>١</sup>. ونتيجة لهذا الفجور الطاغي الذي عم المجتمع العباسي امتد التهافت ليشمل الدولة وأركانها ومن يقف هناك معها أو يصفع لها، فلم تعد مؤسسات الدولة موقعاً للصلاح والزهاد في الحقبة العباسية، فابتعد أغلب صلحاء ذلك الزمان كرهأً من العمل مع ملوكه، لأنّهم لم يسمحوا لصالحي العلماء في ذلك الوقت من أن يرفعوا أصواتهم، أو حُجِبوا ومنعوا من الدخول أو العمل في أجهزة الدولة ومؤسساتها؛ لأنَّ الفجّار والأراذل ركبو هذه المؤسسات وملاوتها، فلم يذكر المؤرخون أنَّ الصلحاء شغلوا مواقع عالية ومهمة في دولتهم. ووصل الانحدار والتهافت في عصورهم أن أصبح جهاز القضاء الذي هو منصب الأنبياء والأولياء، بيد واحد من فساق العصر هو يحيى بن أكثم، يقول المسعودي: كان يحيى بن أكثم قد ولّي قضاء البصرة قبل تأكّد الحال بينه وبين المأمون، فرفع إلى المأمون أنه أفسد أولادهم بكثرة لواطنه، فقال المأمون: لو طعنوا عليه في أحکامه قبل ذلك منهم. قالوا: يا أمير المؤمنين، قد ظهرت منه الفواحش وارتکاب الكبائر، واستفاض ذلك عنه، وهو القائل في صفة الغلام وطبقاتهم ومراتبهم في أوصافهم قوله المشهور، فقال المأمون: وما الذي قال؟ فدفعت إليه القصّة فيها جمل ممّا رمي به. وحكي عنه قوله:

فَعِينُ مَنْ يَعْشَقُهُمْ سَاهِرٌ  
مَنَافِقٌ لِيْسَ لَهُ أَخْرَهُ  
مِنْ خَلْفِهِ أُخْرَهُ وَافِرٌ  
قَدْ جَمِعَ الدُّنْيَا مَعَ الْآخِرَهُ

أَرْبَعَةُ ثَقَلَتْنِ الْحَاطِئُهُمْ  
فَواحِدٌ دُنْيَاهُ فِي وَجْهِهِ  
وَآخِرٌ دُنْيَاهُ مَفْتوحٌ  
وَثَالِثٌ قَدْ حَازَ كُلَّتِهِمَا

١- الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم . ٦٩٧

ورابعٌ قد ضاع ما بينهم لِيْسَتْ لَهُ دِيَا وَلَا أَخْرَهُ

فأنكر المأمون ذلك في الوقت واستعظمه وقال: أتكم سمع هذا منه؟ قالوا  
هذا مستفاض من قوله فيما يأمور المؤمنين، فأمر بإخراجهم عنه، وعزل  
يعيي عنهم. وضرب الدهر ضرباته فاتصل يعني بالمأمون ونادمه، ورخص  
له في أمور كثيرة، فقال له يوماً: يا أبا محمد، من الذي يقول:

قاضٍ يرى الحدّ في الزنا ولا يرى على من لاط من باسٍ

قال: ذلك ابن أبي نعيم يا أمير المؤمنين، وهو القائل:

أميرُنَا يَرَشِّي وَحَاسِكُنَا يلوط والراس شر ما راسٍ  
قاضٍ يرى الحدّ في الزنا ولا يرى على من لاط من باسٍ  
ما أحسب الجور ينقضي وعلى ال أمّة وال من آل عباس  
فأطرق المأمون خجلاً ساعة، ثمَّ رفع رأسه وقال: يُنفي ابن نعيم إلى  
السندُ. ويشير الحافظ ابن كثير إلى شيوع الغرائز الشاذة لدى كبار رجالات  
الدولة فيقول: قد ابْتَلَى بها غالب الملوك والأمراء والتجار والكتاب والفقهاء  
والقضاة ونحوهم ، فظهور الفواحش بما في ذلك إشباع الغرائز بطرق شاذة  
قد بدا واضحاً وجلياً في عصوربني العباس وما تلاها من عصور الانحطاط.  
وقد تكون إشارة المأمون العباسى لها ما يؤيد ما نقول هنا. أما الغرائز الطبيعية

١- صروج الذهب ٣ : ٤٣٤.

٢- البداية والنهاية ٩ : ١٨٤.

٣- جاء في جواب المأمون في رسالة لبني العباس بعثها لهم عندما لاموه على جعله الرضا عليه ولبي عهده: وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله وتديبه، إما مُغَنِّ أو ضارب دف أو زامر، والله، لو أنَّ بني أمينة الذين قتلتموه بالأمس نُشروا فقبل لهم: لا تأنقوه في معايب

التي أودعها الله في عباده فإنّها لم تكن تشبع خلفاء وأمراء بنى العباس ضمن حدودها الطبيعية، أو أنها باتت لهم مكررة فأفکروا في تجديد هذه الغريرة، ولذلك تفهمت نساوهم ما يدور ويعتلج في صدورهم، فيروى أنّ زبيدة زوجة هارون الرشيد أهدت زوجها عشر جوار من جواريها منها ماريّة أمّ المعتصم، ومارجل أمّ المأمون، وفارهة أمّ صالح بن الرشيد، لتشغله عن كافّه بدنابر المغيبة جارية يحيى بن خالد البرمكي<sup>١</sup>. وكان هذا منها مع الرشيد، رغم وجود غيره طبيعية تحملها كلّ أشي، لكي تنطفئ الغرائز الشائرة التي كانت متاجحة في عيون وملامح وجهه التي كانت تلاحق كلّ أشي تقع في دائرة نظره، وزبيدة كانت تلاحظ ذلك وتحسسه منه.

وينقل السيوطي عن شدة نهم الرشيد وانقياده لشهواته العارمة التي لا تعرف حدّاً أو مانعاً يمنعه حين تضطرب الغريرة في بدنّه ونفسه، فيقول: وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إنّ أباك قد طاف بي، فشغف بها، فأرسل إلى أبي يوسف فسألته أعندهك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أو كلّما اذعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدق؟! لا تصدقها، فإنّها ليست بمؤمنة. قال ابن المبارك: فلم أدر ممّن أعجب؛ من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا

تتallowهم بها. لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً. وصناعة وأخلاقاً. ليس فيكم إلا من إذا مسّه الشرّ جزع، وإذا منه الخير منع، لا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من بيت مركوباً، ويصبح يائمه معجبًا، كأنّه قد اكتسب حمدًا، غايتها بطنه وفرجه لا يبالى أين ينال شهوته! ينظر: الطرائف لابن طاووس .٢٧٧

<sup>١</sup>- المرأة في أدب العصر العباسي .٤٥

فقيه الأرض وقاضيها؟! قال أبو يوسف: اهتك حرمة أبيك، واقضي شهوتك،  
وصيئه في رقبتي.

ويروي أبو الفرج الأصفهاني عن طيش الرشيد وحضوره لشهوته وزواجها  
غير المتناهية أنه طلب من الناطفي جاريته عنان، فأبى أن يبيعها بأقل من مائة  
ألف دينار، فقال له: على أن أعطيكها على ضرب سبعة دراهم بدینار، فيصح  
لكل سبع مائة درهم، فامتنع عليه، فأمر بأن تحضر فأحضرت، فذكر أنها  
جلست في مجلسها تتضرر، فدخل إليها، فقال لها: إن هذا قد اعتاص على  
في أمرك، فقالت: ما يمنعك أن ترضيه وتوفيه؟! قال: ليس يقنع بما أعطيته،  
وأمرها بالانصراف. فصدق الناطفي بثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه. ولم  
ترزق في قلب الرشيد حتى مات مولاها، فبعث مسرور الخادم حتى أخرجها  
إلى باب الكرخ وأقامها على سرير وعليها رداء رشيدي قد جلّلها، فنودي  
عليها فيمن يزيد؟ بعد أن شاور الفقهاء فيها وقال: هذه كبد رطبة وعلى  
الرجل دين، فأفتوا يبيعاها، فبلغني أنها كانت تقول على المصطبة: أهان الله من  
أهانني ورذل من رذلي، فلكرزها مسرور فبلغت في النساء مائتي ألف درهم،  
فجاء رجل فزاد فيها خمسة وعشرين ألف درهم، فلطممه مسرور وقال: أتزيد  
على أمير المؤمنين؟! ثمَّ بلغ بها مائتين وخمسين ألف درهم فأخذها له، ولم  
يكن فيها شيء يعاب، فطلبوا فيها عيباً لثلا تصيبها العين فأوقعوا في خنصر  
رجلها شيئاً في ظفرها، فأولدها الرشيد ولدين ماتا صغيرين، ثمَّ خرج بها إلى  
خراسان فمات هناك، وماتت عنان بعده بickleة يسيرة.

وليس من المستبعد أن تكون وفاة الناطفي قد دبر لها أمر من قبل أعدوان

١- تاريخ الخلفاء .٢٩١

٢- الإمام الشواعر .٤٦

الرشيد؛ لأنَّ الرشيد لا يصبر على أشيٍّ حين تعجبه ويقوم لها داعي الغريرة، فقد روى السيوطي أنَّه قال لأبي يوسف قاضي الدولة العباسية: إِنِّي اشتريت جارية وأريد أن أطأها الآن قبل الاستيراء، فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، تهبها بعض ولدك ثُمَّ تتزوجها<sup>١</sup>. وعنان جارية الناطفي التي ولد بها الرشيد كانت مشهورة بالعهر والفحور. وينسب إلى الشاعر المشهور أبي نواس قوله فيها:

ما يشتريها إلا ابن زانية  
وقلطبان يكون من كانا  
وكان من حراء عنان أنها كتبت إلى أبي نواس:

رُزْنَا لِلثَّاڭُلْ مَعْنَا      لَا تَغْيِيْنَ عَنَّا  
فَقَدْ عَزَّمَنَا عَلَى الشَّرِّ      سَرْبَ صَبَحَةً وَاجْتَمَعَنَا

لقد تهالك الرشيد على عنان وغير عنان، فلا وزع ولا مانع، ومن يقدر أن يقف بوجه الرشيد حين تعصف بقلبه غانية، أو يتحرّك له عرق نحوها؟! لقد عاش الرشيد بين غدائر وسيقان غائيات بغداد، ورشفات إيقاع الكؤوس المترعة الملائى، والأقداح المترنحة بين أيدي العيد الحسان، والمُرد من الغلمان، وعرف الأوتار الناعمة للرشيق من الألحان، ولعله غفا مع حاشيته من قطرات النبيذ الذي يسقاه في الليالي الباردة المنعشة بطيب هوانها وعقب نسيم جنان بغداد التي أنعشته وأطربته فيها أنامل وأيدي الفتیان الناعمة، ورقصات الجواري الساحرة، فلم يرَ للدنيا معنى غير هذا حتى أَنَّه رقص بغناء أخته

١- تاريخ الخلفاء .٢٩١

٢- ينظر: الإمام الشواعر من ص ٣٩ إلى ص ٤٥.

عليةة بنت المهدى<sup>١</sup>، وظلّ هكذا سادراً يلهم أسيير شهواته وأمالله ورغباته الجسدية الغرائزية. ويُروى أنَّ الشاعر أبا العتاهية القاسم بن إسماعيل حاول أن يذكره بما كان عليه من إسراف في لهوه وغفلته عن ربِّه، فاستند الرشيد إلى ميل في سفره إلى الحجَّ وقال لأبي العتاهية: حرّكنا، فقال:

أليس الموت يأتيك؟!	هُبِ الدُّنْيَا تُوَاتِيكَا
دع الدنيا لشانيكا	ألا ياطالبُ الدُّنْيَا
وظلَّ المل يكفيك؟!	وَمَا تَصْنَعُ بِالدُّنْيَا

وكانَ هذا الشعر لم يترك أثره في نفس الرشيد، بل زاده غيَّاً وطيشاً، وظلَّ يلهث لإشباع غرائزه ونهماته الغير متناهية، فضاعت أيامه وتاهت بين الغوانمي والنبيذ وعيدان الموسيقى وأنغامها، وفي الآثم والمنع التي يشوب بعضها الحرام. وورث بنوه هذا الغيَّ والضياع من بعده. وأولئم الأمين الذي لم ينسَ

١- نقل ذلك أحمد تيمور باشا في الموسوعة التيمورية من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب.<sup>١٨٢</sup> وقد ذكروا بأنه ورثت علية في الغناء من أمها، حيث كانت أمَّ علية بنت المهدى أمَّ ولد مغنية يقال لها مكونة، اشتراها المهدى في حياة أبيه المنصور بمائة ألف درهم، فغلبت عليه حتى كانت الخيران تقول: ما منك امرأة أغلط على منها، واستتر أمرها عن المنصور حتى مات فولدت له علية. ويُروى عن ابن الربيع قوله: ما اجتمع في الإسلام قطَّ أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدى وأخته علية، وكانت علية تُقدم عليه. وكانت تحب أن تراسل بالأشعار من تختص به، فاختصت خادماً يقال له: طلَّ من خدم الرشيد، فكانت تراسله بالشعر، ويُروى أبو الفرج الأصفهانى أنَّ الرشيد أراد أن يمنعها عنه فاحتالت للوصول إليه، فلما علم الرشيد بذلك وهبه لها وقال لها: لا أمنعك بعد هذا من شيء، تريدينه، ينظر أخبارها في الأغانى ٩ : ٨٣.

٢- مروج الذهب ٣ : ٤٥٠.

اللهو والعبث والسكر بالملك، حتى في ساحة المعارك والحروب. ويحكى عن إبراهيم بن المهدى أنه كان مع الأمين لما حصره طاهر فقال: خرج الأمين ذات ليلة يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه، فصار إلى قصر له بناحية الخلد، ثم أرسل إلى، فحضرت عنده فقال: ترى طيب هذه الليلة، وحسن القمر في السماء وضوءه في الماء على شاطئ دجلة، فهل لك في الشرب؟ فقلت: شأنك، فشرب رطلاً وسقاني، ثم غيّته ما كنت أعلم أنه يحبه، فقال لي: ما تقول فيما يضرب عليك؟ فقلت: ما أحوجني إليه، فدعها بخارية متقدمة عنده اسمها ضعف، فتطيرت من اسمها ونحن في تلك الحال، فقال لها: غني، فغنت:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً      وأيسر جرماً منك ضرّج بالدم  
 فاشتد ذلك عليه وتطير منه، وقال: غني غير ذلك، فغنت:  
 أبكى فراقكم عيني، فأرقها      إن التفرق للأحباب بكاء  
 فقال لها: أما تعرفي من الغناء غير هذا؟! فقلت: ما تغيّت إلا ما ظنت  
 أنك تحبه، ثم غنت:

أما ورب السكون والخراب      إن المنيا كثيرة الشراك  
 فقال لها: قومي غضب الله عليك ولعنك<sup>١</sup>. وكأنه كان يتسبّث بكلّ وس الخمور وعيдан الكوبة والطنبور وأشعار الأغانى لكي تسبيح له تسبيحات إبليس الذي خدّعه وقاده لأحضان المنيا. ولم يزل بنو العباس - من حكم منهم ومن أمر - يتوارثون مداع الدنيا مع ما خالطها من الآثام وألات اللهو وعيدانه، ودنان الخمور وكؤوسها، كابرًا عن كابر، حتى صحا واحد منهم من

سكرة الملك، فوقف الخليفة القاهر على حقيقة تفانيهم بسبب معاصيهم، فلم يكد القاهر هذا يخطو خطوة في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ينشرف بها بنو العباس، لكي يتخلّص هو ويخلّص دولته من هيمنة الجواري والمخثّلين والقينات وأقداح الخمور النجسة، وذلك حين أمر بتحريم القيان والخمر وقبض على المغنى ونفي المخانيث وكسر آلات الطرف، لكنه لم يستطع أن يفكّ القيود عن نفسه، فيصفه الذهبي بأنه نفسه كان لا يكاد يصحو من السكر وسماع القينات<sup>١</sup>!

لقد فُتن المجتمع العباسي، وفتّن معه خلفاؤه ونساؤه بالغناء واللحن الموسيقي الجديد الطاغي الذي طرق عليهم بيوتهم فاستعبدتهم، بفتنته وسحره، فأذلهنهم وأسکرهم وأنساهنهم. ويتحدث ابن خلدون عن ظهور الغناء وتطوره لدى المسلمين فيقول: فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفاه بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى نضارة العيش ورقة الحاشية واستحلام الفراغ. وافتلق المغنوّن من الفرس والروم فوقعوا إلى المحجاز وصاروا موالي للعرب، وغنوا جميعاً بالعيدان والطناير والمعازف والمزامير. وسمع العرب تلحينهم للأصوات ولحنّوا عليها أشعارهم. وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويّس وسائب وحائز مولى عبد الله بن جعفر، فسمعوا شعر العرب ولحنّوه وأجادوا فيه، وطار لهم ذكر. ثمَّ أخذ عنهم معد وطبقته وابن سريج وأنظاره. وما زالت صناعة الغناء تدرج إلى أن كملت أيام بنى العباس عند إبراهيم بن المهدى وإبراهيم الموصلى وابنه إسحاق وابنه حمّاد، وكان ذلك في دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد، وأمعنوا

١- العبر في خبر من غير ٢ : ١٠.

في اللهو واللعب، واتخذت آلات الرقص في الملبس والقضبان والأشعار التي يترسم بها عليه، وجعل صنفاً وحده. واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج، وهي تماثيل خيل مسرحة من الخشب، معلقة بأطراف أقبية يلبسها السوان ويحاكيين بها امتطاء الخيل فيكررون ويفررون ويتألقون، وأمثال ذلك من اللعب المعد للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو. وكثير ذلك ببغداد وأماكن العراق وانتشر منه إلى غيرها<sup>١</sup>. وكان للخلفاء والأمراء حظ ونصيب وافر من هذه الملاهي، حتى أن الشاعر بشار بن برد الذي عاش ذلك الزمان ورأه، ترافق له في مخيّلته، رغم أنه كان مكفوفاً فقال:

ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الدف والغودا<sup>٢</sup>

وكانَت هذه الصورة التي ينقلها ابن خلدون تعبر عن مظاهر خارجية، وربما كان المؤرخون يشاهدونها، لكن الحقيقة ربما قد تكون آنذاك أكثر قتامة وأسوأ، ولكن الصورة الماجنة تتحقق في أوساط معينة من المجتمع، وهذه الأوساط ربما تكون محدودة في قصور المترفين والأمراء اللاهين الغاوين ومن التحق بهم من فساق العصر. وعلى العموم فاللهم الماجن والاختلاط الداعر للنساء بالرجال في ذلك العصر انعكس في أدب وشعر تلك الفترة الزمنية، وربما ذهب البعض إلى عدم الثقة بالنساء على العموم، كما هو الحال عند أبي العلاء المعري الذي كان لا يرى للمرأة عفة يحفظها عليها من دين أو تأديب، ولا يعتدّها إلا ملهاة وغواية فقال:

١- تاريخ ابن خلدون ١ : ٤٥٧.

٢- تاريخ الطبرى ٦ : ٢٨٣.

فلا يدخلُ على الحرم الوليد  
إذا بلَغ الوليَّ لديك عشراً  
فأنت وإن رُزقت حجَّيْ بليدٌ  
فإن خالفتني وأضَعْت نصحي  
بِهِنْ يُضيئُ الشرف التليدٌ  
الا إنَّ النسَاء حِجالٌ غَيَّ

وقد تعاظم هذا الانحلال والتفكك الأخلاقي، فدخل دور الأمراء والقادة الخاصين بالباطل العباسى، بل وصل الأمر إلى بعض الخلفاء العباسيين أنفسهم، فملكتهم الشهوات واستبدلت بهم الحسان الفاتنات، فملكن الأمر دونهم، وسيرن الخلافة ووضعن مصير ومقدرات الأمة يأيديهن. ويتحدث المؤرخ الذهبي عن واحد من خلفاء بنى العباس، هو المقتدر فيقول: كان مؤثراً للعب والشهوات، غير ناهض بأعباء الخلافة، وكانت أمّه وخالته والقهرمانة يدخلن في الأمور الكبار والولايات والحلّ والعقد.<sup>١</sup>

وقد انعكس هذا التأثير على مظاهر الدولة ومؤسساتها، فقد كان لفقد بغداد مدينة السلام دور بحير في ذكر اسم المرأة عليها، إذ تقرأ لأول مرة في تاريخ القود العربية الإسلامية منذ إصلاحها عام ٧٧ هـ ، على نقود الخليفة هارون الرشيد اسم زوجته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور تقديرًا واحترامًا لها. وقد ورد اسمها بصيغة دعاء.<sup>٢</sup>

وينقل ابن الأثير قصنة امرأة كادت أن تُحدِّث خرقاً كبيراً في دولة بنى العباس في بلاد ما وراء النهر، فيقول: إنَّ يحيى بن الأشعث بن يحيى الطائي تزوج ابنة لعمه أبي النعمان، وكانت ذات يسار ولسان، ثم تركها بسمارقند

١- المرأة في أدب العصر العباسى .٤١

٢- العبر في خبر من غير : ٢ .٨

٣ - بغداد مدينة السلام .٦٦

وأقام ببغداد واتّخذ السُّراري، فلما طال ذلك عليها أرادت التخلص منه، وبلغ رافعاً بن الليث بن نصر خبرها فطمع فيها وفي مالها، فدسَّ إليها من قال لها: إِنَّه لاسبيل إلى الخلاص من زوجها إِلا أَنْ تُشَهِّدْ عليها قوماً أَنَّهَا أَشْرَكَتْ بالله ثُمَّ تَوْبَ فَيَنْفَسُخْ نِكَاحَهَا وَتَحْلِلْ لِلأَزْوَاجِ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ وَتَزَوَّجَهَا رَافِعُ بْنُ الْلَّيْثِ، فَبَلَغَ الْخَبَرُ يَحْيَى بْنَ الْأَشْعَثِ فَشَكَا إِلَى الرَّشِيدِ، فَكَتَبَ إِلَى عَلَيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَهُمَا، وَأَنْ يَعْاقِبَ رَافِعًا وَيَجْلِدَهُ الْحَدَّ وَيَقِيَّدَهُ وَيُطْوَفَ بَهُ فِي سَمْرَقَنْدِ عَلَى حَمَارٍ لِيَكُونَ عَظَةً لِغَيْرِهِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَحْدُهُ وَطَلَّقَهَا رَافِعٌ وَخُبِّسَ بِسَمْرَقَنْدِ، فَهَرَبَ مِنَ الْجَبَسِ لِيَلَّا، فَلَحِقَ بِعَلَيِّ بْنِ عَيْسَى بِلَخْ، فَأَرَادَ ضَرْبُ عَنْقِهِ فَشَفَعَ فِيهِ عَيْسَى بْنُ عَلَيِّ بْنِ عَيْسَى وَأَمْرَهُ بِالانْصِرافِ إِلَى سَمْرَقَنْدِ، فَرَجَعَ إِلَيْهَا وَوَثَبَ بِعَامِلِ ابنِ عَيْسَى فَقُتِلَهُ وَاسْتَولَى عَلَيْهَا فِي سَنَةِ تِسْعَيْنِ وَمَائَةً<sup>١</sup>.

وإذا قلنا إنَّ عصور بني العباس كانت عصور استبداد النساء والجواري بأمور الأمة والدولة ورجالتها لم تكن مغاليين في ذلك، فقد لعبت الجواري والغانيات الرشيقات بعقلهن أهل زمانهم، وكذلك، بعض الخلفاء والوزراء والأمراء وقعوا ألعوبة بأيدي النساء والغلمان، فضعف خلفاء وأمراء الدولة لأنهم كانوا في الملذات والشهوات وضعفت الدولة معهم، فعجزوا عن تدبير أمور البلاد والعباد، فطمع فيهم وفي حياتهم عدوهم وعيدهم، وتطلع للحكم والسلطة من كان لهم بالأمس مولى لهم لم يكن يحلم في أن يدنو منهم، أو يتشرف بالدخول في رواقهم لخدمتهم، فآلت الأمور إلى ما يُعرف بالسلط

البويمي والسلجوقي، حيث كانت الدولة والإدارة والجيش بيد الفرس والترك والديلم، ولم يبق للدولة وال الخليفة العباسى إلا الاسم والانصراف إلى الأمور الشخصية والأسرية، مما أضعف الخليفة ودفعه للسقوط والتهاوى بين يدي السلطان البويمي والسلجوقي، فقد استبد معز الدولة البويمي بالسلطة ولم يبق لل الخليفة المطیع من الأمر شيء غير ما اقتطع له الأمير البويمي. وكان قد خصص للمطیع ألفي درهم كل يوم لنفقة، يتضح ذلك من خلال كتاب المطیع إلى عز الدولة بختيار سنة ٣٢١ حين طلب الأمير البويمي من الخليفة إمداده بالأموال مساهمة بالجهاد ضد الروم، فرد عليه الخليفة: الغزو يلزم مني إذا كانت الدنيا في يدي وإلي تدير الأموال والرجال. وأماما الآن، وليس لي منها إلا القوت القاصر عن كفائي، وهي في أيديكم وأيدي أصحاب الأطراف، فما يلزمني غزو ولا حجّ، ولا شيء مما تنظر الأنثمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي تحظبون به على منابركم تسكنون به رعاياكم، فإن أحببتم أن اعتزل اعترضت عن هذا المقدار أيضاً وتركتم الأمر كلّه. فلجا بختيار إلى تهديد الخليفة حتى اضطرب إلى بيع ثيابه وأنقاض داره، وأخذ منه أربعين ألف درهم أنفقها بختيار على مصالحه الخاصة، وكان لهذه الحادثة صدى

- كان الترك أقوى الطوائف نفوذاً في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فكان سلطانهم طاغياً في النواحي السياسية والحربية، فسلباً الخلفاء سلطتهم في هذه النواحي. وكانت أمهات بعض الخلفاء العباسيين تركيات، فتدخلن من وراء حجابهن في توجيه دفة السياسة، وفي تولية الوزراء وعزلهم، كما تدخلن في ولادة العهد و اختيار من يلي الخلافة، مما أشعل نيران الفتنة والمنافسة بين أفراد البيت العباسى، وهياً فرص التنازع والاقسام داخل الدولة، فأدّت الأحوال المضطربة إلى تقلبات في الأوضاع السياسية، وسقوط دولات ودول وحلواً أخرى محلها. إيران والعراق في العصر السلاجوقى .١٢

سيء لدى أهل العراق وحجاج خراسان. وتعرّض الخليفة الطائع الذي خلف أبيه المطیع إلى الإهانة والاعتداء على حرمة الخلافة، إذ لم يكتف بهاء الدولة بمصادرة أمواله والاستيلاء على ذخائمه، بل أرسل إليه يطلب الإذن في الحضور في خدمته ليجدد البيعة له، فأذن له وجلس في صدر الرواق متقدلاً سيفه في التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٣٨١، فدخل بهاء الدولة مع جماعة من الدليل، وقبل الأرض وأجلس على كرسٍ، فتقدّم أصحاب بهاء الدولة وجذبوا الخليفة عن سريره وهو يستغيث ويقول: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ولا يلتفت إليه، ثم حُمل إلى دار بهاء الدولة. وساد الاضطراب في بغداد ونهبت دار الخلافة، وأرغم الطائع على خلع نفسه وبُويع للقادر بالله.<sup>١</sup>

وبنتيجة لتدحرج أوضاع الدولة العباسية التي سبقت دخول السلجوقة العراق، دفعت القائم بأمر الله أن يفكّر جدياً بالتخالص من السيطرة البوهيمية. وبعد مراسلات مع السلطان السلاجوقى طغرى بك تم الاتفاق على أمور مهمة، منها: ١- صون الخلافة والحفاظ على هيمنتها. ٢- الإبقاء على الملك البوهيمي (المملك الرحيم) لفترة من الوقت لحين مغادرته بغداد. ٣- الحفاظ على الأمن والنظام من الداخل. واتجاه الخليفة العباسى نحو قوة سياسية جديدة تعيد ترتيب أوضاع الخلافة العباسية، أو بالأحرى ترميم أوضاع الخلافة المتداعية لم يكن موقفاً لأنّ زمن الخلافة العباسية بدأ بالأفول، وكان ما قدر لها قد انتهى.

وعلى العموم شهد القرن الرابع الهجري اضمحلال الدولة العباسية

١- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة ٢١

٢- موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسى ٢٤٧

وانفصل أطرافها شرقاً وغرباً، حيث قامت في تلك الأطراف كيانات مستقلة، وكان لا بدّ لهذه للدولة من عامل إحياء ونهضة تعيد للسلطة هيئتها وللدولة نفوذها. وكان السلاغقة في عام ٤٤٧ أكبر قوة في العالم الإسلامي بعد أن سطوا بسيطرتهم على إيران. بينما كانت الخلافة العباسية مؤسسة شكليّة لا حول لها ولا طول في ميدان الحرب والسياسة، وكانت الأحوال في بغداد مضطربة، نتيجة لتدخل البوهينين وقواد الجناد في توجيهه سير الأمور، وعجز الخليفة عن الصمود في وجه تيار الأحداث، أو القيام بدور إيجابي في توجيه هذه الأحداث؛ لأنَّ نفوذ قائد جند الأتراك كان طاغياً في بغداد وما جاورها، فلم يكن بوسع القائم بأمر الله أن يقوم بمعارضة القائد التركي وجنوده، وكان هذا القائد يميل إلى الفاطميين في مصر ويتأصل بهم في الخفاء، في حين كان نفوذ البوهينين ما زال معترضاً به في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، فكان اسم الملك الرحيم يُذكر في الخطبة بعد اسم الخليفة، غير أنَّ الحاكم البوهيمي كان ضعيفاً كذلك أمام القائد التركي وجنوده، ولم يكن على وفاق معه فانعدم التعاون بينهما، كما لم يكن هناك وفاق بين الخليفة والقائد التركي البساسيري الذي كان يحاول بسط نفوذ الفاطميين على بغداد.<sup>١</sup> ونتيجة للقلق الذي كان يساور الخليفة امتدت عيونه إلى السلاغقة الذين برزوا كقوة قاهرة يستند عليهم بدلاً من البوهينين الذين بدأوا بالضعف والانحلال، إضافة إلى خشيته منهم كشيعة. والسلامقة أقرب إلى مذهب الخليفة من البوهينين؛ لأنَّهم كانوا سنة في مذهبهم الديني، وكانت الانتصارات السياسية التي وطّدت كيانهم، إضافة إلى الانتصارات العسكرية اللاحقة والسريعة لهم، شجّعت الخليفة على

مُراسلتهم والاتجاه إليهم كدولة جديدة وكهيكل سياسي وإداري جديد ينتمي فيه الخليفة. وقد شعر الخليفة العباسى بأنَّ رأيات السلاجقة المظفرة لاحت له وبانت، فقد تمكّنا في فترة وجيزة من فرض سيطرتهم على أجزاء كبيرة من الدولة العباسية، وعلى كثير من ممتلكات الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى<sup>١</sup>. ولكن لم يكن الخليفة العباسى أحسن حالاً في عهد الأتراك الجدد عمن سبقوهم، فالسلاجقة اليوم صاروا كالبوهيميين الذين تضائق منهم، فلم تكن مواقف السلاطين السلاجقة الجدد تختلف كثيراً عن سابقيهم، فمنطق السيطرة والاستعباد والاستغلال كان دائماً هو المنطق الذي يحكم تصرفات المسلمين، فقد أثارت تصرفات السلطان طغرل<sup>٢</sup> بك الشك والريبة في نفس الخليفة حين اعتقل الملك البوهيمي الرحيم دون أحد الإذن من الخليفة القائم. إذ عد الخليفة هذا التصرف تحذياً وإهانة موجهة إليه، وعبر عن استيائه البالغ من هذا الحادث، وأرسل إلى السلطان ينكر عليه ذلك ويهداه بمعاودة بغداد وقال: فإني إنما اخترتكم واستدعيتكم اعتقاداً مني أنَّ تعظيم الأوامر الشرعية يزداد وحرمة الحريم تعظم، وأرى الأمر بالضد. وقيل: إنَّ السلطان اكتفى

١- تاريخ الدولات العربية والإسلامية في العصر العباسى في المشرق والمغرب .٧٨

٢- طغرل<sup>٣</sup> بك، بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وضم الراء، وسكون اللام وفتح الموندة بعدها كاف: هو اسم تركي مركب من طغرل، وهو بلغة الترك غنم لطائر معروف، وبنك معناه الأمير. شُفّرات الذهب .٢٩٤. وهو محسد بن ميكائيل بن سلجوقي الملقب ركن الدين طغرل بك، أول ملوك الدولة السلجوقية، كانوا قبل تملّكهم يسكنون منطقة ما وراء النهر قريباً من بخاري، ولا يديرون لأحد من الملك، وهم أتراك. وقد رد السلاجقة بقيادة طغرل بك ملك بني العباس، وأزال ملك بني بوهيم، وخطب ابنه القائم بأمر الله فروجه منها، وتوفي سنة ٤٠٥ عن سبعين عاماً وكان عقيراً. أعلام الزركلي .٧ : ١٢٠

بإطلاق سراح بعض أصحاب الملك الرحيم وصادر إقطاعاتهم، فتوجه البعض إلى البساسيري<sup>١</sup> وانحازوا إليه. كذلك أمرَ طغرل بك بمصادرية أموال الأتراك البغداديين. وانتشر السلaqقة في نواحي بغداد فكثرت أعمال النهب والتخييب، وأسرفت عساكر السلطان في ذلك فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت إلى النيل، وهي بلدة على الgrenات بين بغداد والكوفة، ومن الشرقي إلى النهر والنهر و أسفل الأعمال، وخرب السواد وأجلبي السواد عنه.<sup>٢</sup> ولم يكتف السلطان الجديد بمصادرية أموال الملك الرحيم<sup>٣</sup> ، بل امتدت يده إلى أموال الخليفة نفسه، في بينما كان القائم بأمر الله مستغرقاً في أحزانه التي سببتها وفاة ولده ووليّ عهده محمد في أواخر عام ٤٤٧، أرسل السلطان وزيره عميد الملك الكندي إلى الخليفة وهو في مجلس العزاء، يطلب أموالاً، فلما

- - - - -

١- البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري، قائد تركي الأصل، كان من مماليك بني بويه، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الأتراك في بغداد، وخطب له في منابر العراق وخوزستان فعظم أمره. أعلام الزركلي ١: ٢٨٧. وخطب البساسيري للمستنصر العبيدي الخليفة الفاطمي صاحب مصر. وزيد في الأذان: حي على خير العمل. قتل طغرل بك سنة ٤٥١.<sup>٤</sup> والباسيري نسبة إلى بسا، وهي بالعربية فسا والنسبة إليها فسوی، وأهل فارس يقولون بساسيري نسبة شادة على خلاف الأصل. الكنى والألقاب للقمعي ٢: ٧٤.

٢- يصف المؤرخ الذهبي أحداث سنة خمس وخمسين وأربعين الدامية في ذلك الوقت، فيقول: قدم طغرل بك بغداد فعاد جيشه وفسقوا، ونزلوا في دور الناس، وهجم جماعة على حمامين وأخذوا ما استحسنوا من النساء. العبر في خبر من غير ٢: ٣٠٣.

٣- الملك الرحيم: هو أبو نصر خسرو فiroz، آخر ملوك البوهين في بغداد، أسقط اسمه من الخطبة سنة ٤٤٧، وقبض عليه طغرل بك وأرسله مقيداً إلى البري. تاريخ الدولة العربية الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة ١٩.

استعظم الخليفة مقدارها أشاروا عليه بأن يطلق يده في أموال الحرير، فعظم ذلك على القائم بأمر الله، وأجاب رسول السلطان بأنّ مال الحرير ما زال مصوناً، وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته لنا في ولدنا. ونتيجة لهذه الأحداث والتصرفات التي بدأها السلاجقة تجاه الخليفة القائم عذت العلاقات تمرّ بفترور، حتى قيل: إنَّ السلطان السلاجقي مكث أكثر من ثلاثة عشر شهراً دون أن يحظى بمقابلة الخليفة العباسى. ويبدو أنَّ السلاجقة أحسّوا بذلك الفتور الذي طرأ على العلاقات القائمة بينهم وبين الخليفة، فأراد توسيع هذه العلاقات وإعادة الثقة إلى نفس الحاكم العباسى. في الوقت نفسه حاول الحاكم أن يعلى من هيبة الخلافة فأصدر أوامر إلى السلطان طغرل بك بالمسير إلى بلاد الشام لإقامة الخطبة على منابر الإسلام هناك<sup>١</sup>.

وهكذا تصرّمت سnoon دولة بنى العباس الأخيرة بين كؤوس الخمور وعيadan الطنبر والبريط التي أطربتهم فأنستهم قوتهم وشكيتمهم، لتلقى دولتهم نفسها آخر الأمر بين أحضان البويمين والسلاجقة فتتمزق هذه الدولة الكبيرة بين رجالات الأمم، ويقف الحاكم العباسى يستجدي منهم نفقات نسائه وأولاده، لتنتهي وتهاافت تحت أقدام صبيانهم، وعيadan مغنينهم ومطربين وطنابير فساقهم، وأفادح خمورهم ونبيذهم، فصار غلمانهم الذين التفوا على موائدتهم وأحدقوا بتصورهم سادة يتكتفون هم العطاء منهم. وفي ظلّ هذه الأوضاع والعصور الداعرة التي بدأت بالظهور مع انحدار بعض الخلفاء الأمويين وإنغماسهم في الملذات والملاهي المحرّمة، لتبلغ أوجها في أواخر الدولة العباسية التي انصرفت الأمة فيها عن دينها، كانت

١- موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسى .٢٤٦

حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام ومحنتهم مع أناس عصورهم وحكام زمانهم، وقد كانت لكل إمام معصوم صورة من صور المحنّة والمصيبة التي كان يعايشها ويصبر لشدةّها وألوانها، فتعاون على ركوب دابة الزمان ملوك سادرون في لهوهم، وشاركتهم رعية جاهلة أغلب رجالها ممسكة بأهداب المعصية، تمرح لا هيبة مع لهو أبناء ذلك الزمان وملوكه، غافلة مع غفلة ضحايا الدهر وأبنائه عن قوارع الزمان ونوازله، فكانت هناك صورة ضاحكة لا هيبة لضحك الزمان معها وعليها، بعيون لم تعرف دموع الخشوع والرحمة، تقابلها صورة الإمام الحزين الباكى الزاهد عامل راية الحق الذي يشنّ ويتوّج ويأتم لهؤلاء الأشقياء الذين غرّهم الزمان وخدعهم. ومن هذه الصور الحزينة الباكية التي كانت متجلّسة بالآلامها صورة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الذي لبس مسوح الحزن وتوسّح بوشاح الدموع. وقد رأى هذا الإمام الصابر مع أبيه الصادق عليهما السلام، منذ أن قدر له الحياة في هذه الدنيا الفانية، عصرين ظالمين فاجرين: عصر حكم فيه خلفاء بني أمية، وعصر حكمه خلفاء بني العباس، وكانت لهما عليهما السلام مع أبييه عليهما السلام من بني أمية مسافة من الجور منعت دمشق من أن تصل إليهما، أو كأنهما لم تكن تصل لهما بشكل مباشر ومستقيم، وإنما انعكست ظلال الجور على شيعة أبياته عليه وعلى أبياته أفضل الصلاة والسلام. أما جور بني العباس فله معهم فضول لن ولم تنتهي معه أو مع أبنائه وشيعته. وقد تلقت المدينة، مدينة الرسول عليهما السلام الطيبة طيبة، والمطيبة بوجوده عليه وعلى أبياته التحية والسلام، قسطاً من هذا الجور والظلم مع سيدها الصابر، إلا أنَّ بغداد تقاسمت هذا العذاب مع المدينة وأهلها، بل فاقتها وزادتها بؤساً وشقاءً على ما رأت وحملت من هموم العبد الصالح الذي ظهر تراب بغداد وزكاها وحفظها من عوادي الدهر ونكباته. لقد شَقِّيت بغداد

وبكت وتجلببت بجلباب المؤس والشقاء حين مُني موسى عليه السلام بسياط الزمان وبسجون هارون المظلمة، ولم يكن هذا يهد بغداد وإرادتها، لكنها المحن والمصيبة التي كانت خباتها أيام الدهر لبغداد والصالحين من ساكنيها الذين رأت أعينهم عوادي الزمان وويلاته.

### بغداد في عيون الزهاد

على الرغم مما كان في بغداد من مجالس ذكر وعبادة تواجه تيار الفسق والفجور هناك، عاش جمع من فقهاء وعلماء وصلحاء ببغداد متضايقين من صورة بغداد الجديدة، على رغم زهوها وازدحام أهل العلم والثقافة بها، وعمارة قصورها ورخاء اقتصادها، لأن إبليس في عيونهم اتخذها موطنًا بعد امتلائها بالملاهي المحرمّة، وتزيّنت بعض أزقّتها وسكنّها بالفجور والجور، فلم يروا فيها خيراً وصلاحاً يبرأ عيونهم وعيون من أحبابها. ولعل ما يروي مؤرخو ومحدثو عصور بغداد آنذاك خير شاهد على حالها وحال فساقها وخليعاتها، ومنهم مؤلف «تاريخ بغداد»، حيث يروي الخطيب البغدادي بإسناده عن محمد بن إسحاق المقرئ، قال: حدثني أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن الصحّاف، قال: سمعت أبي يقول: سمعت بشر بن الحارث قوله في بغداد: بغداد ضيقة على المتقين، ما ينبغي لمؤمن أن يقيم فيها. قلت له: فهذا أحمد بن حنبل، فما تقول؟ قال: دفعتنا الضرورة إلى المقام بها، كما دفعت الضرورة إلى أكل العيتة<sup>١</sup>. ويروي الخطيب البغدادي عن سفيان الثوري الثوري قوله: المتعبد ببغداد كالمتعبد في الكنيف<sup>٢</sup>. وكذلك يروي بإسناده عن

١- تاريخ مدينة السلام المشهور بتاريخ بغداد ١: ٢٩٤.

٢- المصدر نفسه ١: ٢٩٦.

علي بن الصباح ابن أخت الهروي الخريبي قال: أتيت عبد الله بن داود الخريبي فسألته عن سكتي ببغداد، قال: وما بأس! قلت له: فإنَّ سفيان الثوري كان لا يدخلها، فقال : كان سفيان يكره جوار القوم وقربهم. قلت: فابن المبارك، يقولون : إنَّه كلَّما دخلها تصدق بيئار، فقال: ومن يصحح هذا لنا عن ابن المبارك؟ قلت: فشعيب بن حرب، والفضل بن عياض<sup>١</sup>.

وينسب إلى ابن المبارك أنه ذم الناسك الذي يسكن بغداد فقال:

أيها الناسك الذي لبس الصُّور  
ف وأصحابي يُعدُّون في العبادِ  
إِلَزَمُ التغَرُّرِ والتَّعْبَدِ فِيهِ  
لَيْسَ بِغَدَادٍ مَسْكُنَ الرَّهَادِ  
إِنَّ بَغَادَ لِلْمُلُوكِ مَحَلٌ  
وَمَنَاخٌ لِلْقَارِئِ الصَّيَادِ<sup>٢</sup>

لقد سُمِّ جيل من الرهاد والعباد هذا الركض اللاهث وراء الدنيا الغرارة الخادعة، فتصوروا أنَّ الصلاح قد ارتفع من بين الناس، وكان فتنـة الزمان قد تجلـت في عصور بني العباس أكثر من أي وقت مضـى، وكان هذه الغفلة والغفـوة قد وجدـت في بغداد دون غيرها، ففتـنة عصور اللهو والمجـون أنسـت الناس وأشـغلـتهم عن العبـادة والتـوجه إلى الخـالق الذي أوجـد كـلـ شيء، وخلقـ فيـه زـينة وفتـنة ليـمـتحـن عـابـدهـ ويـضـع لـهـم درـجـاتـهـمـ فيـ هـذـا الـامـتحـانـ، ولـكن طـغيـانـ هـذا اللـهـوـ وشـيـوعـهـ وغـلـبـتـهـ عـلـى رـوحـ العـصـرـ هـيـاـ المـناـخـ وـالـجـوـ المـعاـكسـ لـنشـوـءـ التـيـارـ الصـوـفيـ الرـافـضـ لـهـذـا الغـلـوـ الدـنـيـويـ، فـيـتـحدـثـ اـبـنـ خـلـدونـ عـنـ هـذـا العـصـرـ المـاجـنـ الـلاـهـيـ الـذـيـ تـقـابـلـ معـهـ جـيلـ عـابـدـ عـارـفـ منـ النـاسـ لـمـ يـكـدـ يـغـلـبـ الـرـمـانـ فـطـلـقـ الدـنـيـاـ وـنـسـيـهـاـ، فـيـقـولـ: فـلـمـاـ فـسـاـ الإـقـبـالـ عـلـىـ الدـنـيـاـ فـيـ الـقـرـنـ الثـانـيـ وـمـاـ بـعـدـهـ، وـجـنـحـ النـاسـ إـلـىـ مـخـالـطـةـ الدـنـيـاـ اـخـتـصـ الـمـقـبـلـونـ عـلـىـ

١- تاريخ مدينة السلام : ٣١٥

٢- المصدر نفسه : ٣١٦

العبادة باسم الصوفية<sup>١</sup> والمتتصوفة<sup>٢</sup>، حتى قيل: إنَّ كلمة صوفيَّةً اسم جديد استحدثه أهل بغداد<sup>٣</sup> والتتصوف الذي عرفه البغداديون ربما يفارق ما اصطلاح عليه أهل السلوك والعرفان، فالتصوف الذي عُرِفَ فيما بعد يعني إطاعة المحبوب، واجتناب المكروه وتعظيم الأمر وسخاوة النفس، وسلامة القدر والشفقة على الخلق، وترك الإنكار ومعرفة الأصول وحسن القبول، واتباع الرسول ورؤيه المنن وشكر النعم، ورفض الدعوى ونسيان الدنيا، وأصله

١ - اختلاف الآراء في اصل كنيسة «صوفي»، فهناك من يقول: إنَّ النطق وجده قبل الإسلام في اللغة العربية. واستمدَّ من اليونانية من لفظة «سوفس» التي تعني كلِيم، وهي تشتَرك مع كلمة اليونانية التي تعني الصافي الواضح الظاهر. حركة التتصوف الإسلامي<sup>٤</sup> والرأي الغالب يقول: إنَّ التتصوف مشتقَّ من التصوف، بوصفه النيسة العالمية على هؤلاء، أو أنَّهم ممُّوأ بذلك نسبة إلى أهل الصفة، وهي المقدعة، وكان «أهل الصفة» وصفاً لبعض فقراء المسلمين. تاريخ التتصوف الإسلامي<sup>٥</sup> ٧٠٨.

ويرى أبو نصر السراج أنَّ نسبة الصوفيَّة إلى التتصوف، كما تُسبِّب أصحاب الحديث إلى الحديث، ونسبة الفقهاء إلى الفقه. ثم يصل إلى نسبة الصوفيَّة إلى ظاهر النيسة. لأنَّ نيسان الصوف دافت الأنبياء عليها السلام وشعار الأولياء والأوصياء. اللمع في تاريخ التتصوف الإسلامي<sup>٦</sup>

٢٢

أما كيف نشأت فكرة التتصوف بين المسلمين، فاختلقت الآراء أيضاً، فمنهم من ذهب إلى أنَّ التتصوف وليد التفكير الهندي، ومنهم من قال، بأنَّ التتصوف نشأ عن الأفكار الفلسفية ولاسيما الفلسفة الألاطونية، وبعضهم قال بأنَّ الأفكار اليودية إنما هي المصدر الأكبر للتتصوف. وبعضهم قال: إنَّ التتصوف مصدره المسيحية والرهبة. وذهب بعضهم إلى أنَّ التتصوف نشأ بنفسه تلقائياً ومستقلاً بين المسلمين بعيداً عن المؤثرات الخارجية: تاريخ التتصوف في الإسلام<sup>٧</sup> ١٥

١- تاريخ ابن خلدون ١: ٥١٤

٢- تاريخ التتصوف في الإسلام ٦٢

الفناء عن الخلق، والبقاء مع الحق.<sup>١</sup> في حين كان اتجاه التصوف لدى البغداديين في عصور العباسيين هو الانقطاع عن الدنيا والزهد فيها بدون فلسفة وعرفان وسلوك وسير معرفي، وإنما هي ظاهرة كردة فعل للحبة المتناهي للدنيا والانهماك بملذات الحرام التي ظهرت مع طغيان العصر، فكان التصوف كان حين ذاك ثورةً سلبيةً واحتجاجاً صامتاً على تهافت العصر والتمادي بالمعاصي.

---

١ - هذا التعريف ذكره علّم من أعلام الشيعة الإمامية في القرن الخامس أو السادس الهجري، كما هو مذكور في كتاب الأخلاق والعرفان ٣٧

## الولادة الطاهرة

ولد الإمام الطاهر موسى بن جعفر الكاظم، عليه وعلى آبائه التحيّة والسلام، في عصر الدولة الأموية، وبالتحديد في عهد مروان بن محمد بن مروان، في السنين الأخيرة من عزّ الدولة الأموية وشموخها وجبروتها، وقد طوت شبابها وسارت نحو شيخوختها، ولم يعد الزمان معها، بل كان يشارك الأعداء عليها.

---

١- كانت مدة مروان كلها مملوءة بالفتن والاضطرابات منذ بويع إلى أن قُتل، وأول ما كان من ذلك خروج عبد الله بن معاوية داعياً لنفسه، ثمَّ كان بالشام ما هو أفعع من ذلك هو الخلاف المتوالي على مروان من أهل الأمصار الكبرى، فانتفض عليه أهل حمص، وكان له معهم واقعة هائلة انتصر فيها عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمَّ خالف عليه أهل الغوطة فحاربهم وانتصر عليهم، ثمَّ خالف عليه أهل فلسطين، فكانت له معهم وقائع انتصر فيها عليهم، ثمَّ تار عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فإنه قد حسن له بعضهم خلع مروان وقالوا له: أنت أوضأ عند الناس من مروان وأولي بالخلافة، ولم تقف الا ضطربات عند هذا الحد، بل وجدت بقايا الخوارج الفرصة لإظهار ما في أنفسهم، فخرج الضحاك بن قيس الشيباني وأتي الكوفة واستولى عليها من يد أميرها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فهرب، ينظر: الدولة

وفي هذه الأيام الحالكة على الأمويين وفي يوم الثلاثاء من هذه الأيام رأى العصر طلعة الإمام عليه السلام وبداية الإشراق الموسوي، وفي رواية أخرى يوم الأحد لسبع ليالٍ خلُونَ من صفر من عام ١٢٨ من الهجرة. وهذا العام مختلف عليه من أكثر الباحثين والمؤرخين، إلا أن عدّة منهم تردد فيه فمال إلى أن الولادة الطاهرية قد تحقّقت في عام ١٢٩ للهجرة<sup>١</sup>. وفي هذا العام الذي شعت فيه المدينة بأنواره وترسّفت «حميدة» بحمله بين جنباتها، وكانت الملائكة على موعد مع حميدة، فلم يكن مفاجئاً لها أن ترى بضعة الأنبياء، حين أذن له من السقوط من وعانيها، أن يضع يده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء؛ لأن آباء الصادق عليه السلام أخبرها أن ذلك من أمارات الإمام<sup>٢</sup> الذي به طُهرت وسمّت هي ومن اتّصل بها، فصارت تتّسّب إلى البيت النبوي والعلوي ببعضها تغدّى بلحّمها ودمها، فاتّصلت بالدولة الهاشمية بغضّن تفرّع من شجرة فاطمة البتول عليها السلام وأصلها، فأورق في عروقها، وشرح صدرها، وملأ عينها نوراً، فزادها بهاءً وجمالاً وروعة على جمالها الأندلسي الأخاذ، فوقع الجمال على الجمال والبهاء على البهاء.<sup>٣</sup> وما قيمة جمال الأندلس وغرب الدنيا مع

## الأموية ٣٩١

١- ينظر: كشف الغمة للإربلي ٢ : ٢١٢، تاريخ الأئمة لابن أبي搭ج البغدادي ١٤ تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم للطبرسي ٩٥ الدروس الشرعية للشهيد الأول ٢ : ٢٨، بحار الأنوار ٤٨ : ٨ . وذهب السيد تاج الدين العاملي إلى أن ولادته مرددة بين سنة مائة وثمانين وعشرين وبين سنة مائة وسبعين وعشرين في ملك إبراهيم بن الوليد. التسعة في تواريخ الأئمة ص ١٠٥.

٢- ينظر: بحار الأنوار ٤٨ : ٢ و ٣.

٣- نقل دوایت ه. دونلنس أن حميدة كانت من الأندلس الذي اشتهرت نساؤه بجماليهنّ عقيلة الشيعة ١٦٠. وينظر: بحار الأنوار ٤٨ : ٦ . وقد ذكر الشيخ الطبرسي أن حميدة هي اخت

جمال الحورية الإنسية الشرقية، والطاهرة المطهرة فاطمة البتول المرضيَّة، والتي حصلت عليها ملائكة السماء وابتهجت بها ولها، وببهجهتها ابتهجت الدنيا وزَهَتْ، وامتلأت الرياض والحياض من فيضها ونورها، فغطى الشرق والغرب فسرى في جوانح حميَّة، وظهر بإشراق الوصيِّ والوليد العلوى السابع الذي صادف حميَّة الأندلس وجوهرته الصافية الطاهرة.

وكانت حميَّة المصفَّاة من الأرجاس تكُنْ لؤلؤة، فهي حقًا جوهرة ثمينة خبأتها الأيام بين أصدافها، لتعانق جوهرة علوية رائعة لامستها أصابع الوحي وبضماته، وصقلتها ملائكة السماء والأرض ببريق وألق النور ووميضه. ويحكي هشام بن أحمر، وهو من أصحاب الصادق عليه السلام، عن طهارة هذه المرأة وخلوصها من الدنس، وكيف وصلت إلى يد سيدها الصادق عليه السلام، فقال: أرسل إلى أبو عبد الله عليه السلام في يوم شديد الحر، فقال لي: اذهب إلى فلان الإفريقي فاعتَرَضَ حاربة عنده من حالها كذا وكذا، ومن صفتها كذا وكذا. وأتيت الرجل فاعتَرَضَتْ ما عنده فلم أر ما وصف لي الصادق عليه السلام، فرجعت إليه فأخبرته فقال: غد إليه، فإنَّها عنده، فرجعت إلى الإفريقي فحلف لي: ما عنده شيء إلا وقد عرضته عليه. ثم قال: عندي وصيفة مريضة محلقة

---

صالح البربرى، وكانت تكنى أم ولد. تاج المواليد ٩٥. وجاء في رواية أخرى: أنها ابنة صالح البربرى. بحار الأنوار ٤٨: ٦. والبربر : جيل من الناس. يقال: إنهم من ولد بر بن قيس بن عيالان، والبربرة الجماعة منهم. لسان العرب (بربر). وقال ابن دريد: البربرة كثرة الكلام، وبه سُمِّيَ هذا الجيل البربر، كان إفريقيس أبو يلمقنة التي تسمى بلقيس افتحتها فقال: ما أكثر بربِّرَتهم! فسموا بذلك. ترتيب الجمهرة ١: ١١٢. وذكر السيد تاج الدين العاملى عن قول أنَّ أم الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام هي فاطمة بنت الحسين الأترم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام. التسعة في تواریخ الأئمة ١٠٦.

الرأس، ليس مما تُعرض، فقلت له: اعرضها علىي، فجاء بها متوكّلة على جاريتين تخطّي برجليها الأرض فأرانيها، فعرفتُ الصفة فقلت: بكم هي؟ فقال لي: اذهب بها إليه فيحکم فيها، ثم قال لي: وقد والله أردتها منذ ملكتها فما قدرت عليها، ولقد أخبرني الذي اشتريتها منه عند ذلك أنه لم يصل إليها. وحلفت الجارية أنها نظرت إلى القمر وقع في حجرها، وهذا القمر هو بعلها الصادق عليهما السلام، أو هو ولدتها موسى بن جعفر عليهما السلام، والذي شعّ بأنواره الوجود وأشرقت به وبأحداده آفاق المدينة المنورة منذ أن هاجر إليها المصطفى عليهما السلام، فتلقت أشجار المدينة وأزهارها ورياحينها هذا الفيض النوراني البهيج فأورقت وأزهرت من عطوه الفواح، واستجابت لها الأطياف

---

١- بحار الأنوار ٤٨: ٨ . ويروي علي بن الحسين المسعودي أن شراء حميده كان بأمر من قبل الباقيه عليهما السلام، فروى عن جابر أنه قال: قال لي أبو جعفر عليهما السلام: قد قدم رجل من المغرب معه رقيق، ووصف لي جارية وأمرني بابتاعها بصرة دفعها، فمضيت إلى الرجل فعرض علي ما كان عنده من الرقيق، فقلت له: بقي عندك غير ما عرضت علي؟ قال: بقيت جارية عليه، فقلت: اعرضها علي، فعرض علي حميده، فقلت: بكم تبيعها؟ فقال لي: بسبعين ديناراً، فأخبرت الصرة إليه، فقال لي التحاس: لا إله إلا الله، رأيت - والله - البارحة في النوم رسول الله عليهما السلام قد ابتع مني هذه الجارية بهذه الصرة فبعتها منه، ثم تناول وتسلمت الجارية، وكان في الصرة سبعون ديناراً، وصررت بها إليه، فسألها عن اسمها، فقالت: حميده، فقال: حميده في الدنيا محمودة في الآخرة، ثم سألها عن خبرها فعرفته أنها بكر ما مسها رجل، فقال لها: آنئ يكون ذلك وأنت جارية كبيرة؟ فقالت: كان لي مولى إذا أراد أن يقربني أتاه رجل في صورة حسنة، أراه دونه ولا يراه، فيمنعه من أن يصل إلي ويدفعه ويصله عني، فقال أبو جعفر: الحمد لله، ودفعها إلى أبي عبد الله عليهما السلام وقال له: يا أبا عبد الله، حميده سيدة الإمام مهدية مصفاة من الأرجاس كسيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها لك حتى أذيت إليك كرامة من الله جل وعلا. إثبات الوصية ١٦٠.

فهزحت بلحن وإيقاع مصداح، لتبشر أرض الحجاز بالحقّ الوضاح الذي ينفلق بانفلاق الأصباح.

ويتحدث أبو بصير<sup>١</sup> وهو مِمَّن أكثر الرواية والإخبار عن الصادق عليه السلام فقال: حَجَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السُّلَطَانَةِ فِي السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ابْنَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السُّلَطَانَةُ فَلَمَّا نَزَلَ الْأَبْوَاءُ وَضَعَ لَنَا الْغَدَاءَ، وَكَانَ إِذَا وَضَعَ الْطَّعَامَ لِأَصْحَابِهِ أَكْثَرُهُ وَأَطْلَابِهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَأْكُلُ إِذَا أَتَاهُ رَسُولُ حَمِيدَةَ قَوْلُ لَكَ: إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي، وَقَدْ وَجَدْتُ مَا كُنْتُ أَجْدَ إِذَا حَضَرْتِنِي وَلَادِتِي، وَقَدْ أَمْرَتِنِي أَنْ لَا أَسْبِقَ بَابِنِي هَذَا، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السُّلَطَانَةُ فَانْطَلَقَ مَعَ الرَّسُولِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ قَالَ لِهِ أَصْحَابَهُ: سَرَّكَ اللَّهُ وَجَعَلَنَا فِدَاكَ، مَا صَنَعْتِ حَمِيدَةً؟ قَالَ عَلَيْهِ السُّلَطَانَةُ: قَدْ سَلَّمَهَا اللَّهُ، وَوَهَبَ لِي غَلَامًا، وَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَرَأَ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي حَمِيدَةَ ظَنَّتُ أَنِّي لَا أَعْرِفُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ، فَقَلَّتْ: وَمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ حَمِيدَةً؟ قَالَ: ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَمَّا سَقَطَ مِنْ بَطْنِهِ سَقْطٌ وَاضْعَافٌ يَدْهُ عَلَى الْأَرْضِ، رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَخْبَرْتَهَا أَنَّ تَلْكَ أُمَّارَةَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السُّلَطَانَةُ وَأُمَّارَةَ الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَلَّتْ: وَمَا هَذَا مِنْ عَلَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السُّلَطَانَةِ وَعَلَمَةِ الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ؟ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدَ، إِنَّهُ لَمَّا أَنْ كَانَتْ تَلْكَ الْلِّبَلَةُ الَّتِي عَلَقَ فِيهَا بَابِنِي هَذَا الْمَوْلُودُ أَتَيَ فَسَقَانِي كَمَا سَقَاهُمْ، وَأَمْرَنِي بِمِثْلِ الذِّي أَمْرَهُمْ بِهِ، فَقَمَتْ بِعِلْمِ اللَّهِ مُسْرُورًا بِمَعْرِفَتِي مَا يَهْبِطُ اللَّهُ لِي، فَجَامَعْتُ فَعْلَقْتُ بَابِنِي هَذَا الْمَوْلُودَ، فَدُونُكُمْ هُوَ - وَاللَّهُ - صَاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي. إِنَّ نَطْفَةَ الْإِمَامِ مَمَّا

١- يطلق أبو بصير غالباً على يحيى بن القاسم، أو ليث بن الخطري، الذي كان من أصحاب الباقر

والصادق عليهما السلام، توفي عام ١٥٠. ينظر: *تفريح المقال للمامقاني* ٣٠٨.

٢- الأبواء، بفتح الهمزة وسكون الباء والمد: جبل بين مكة والمدينة، وعنه بلد ينسب إليه لسان العرب (أبا).

أخبرتك، فإذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشى فيه الروح بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكاً يقال له: حيوان، فكتب على عضده الأيمن: «وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدِّقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ»<sup>١</sup>، فإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء، فإذا وضع يده على الأرض فإن منادياً يناديه من بطنان العرش من قبل رب العزة من الأفق الأعلى باسمه وباسم أبيه: يا فلان بن فلان، اثبت ثلاثة لعظيم خلقتك، أنت صفوتي من خلقي، وموضع سري وعيبة علمي، وأميني على وحيي، وخليفي في أرضي، لك ولمن تولاك أوجبت رحمتي ومنحت جناني وأحللت جواري. ثم وعزرتني، لأصلين من عادك أشد عذابي، وإن وسعت عليهم في الدنيا سعة رزقي. قال: فإذا انقضى صوت المنادي أجا به هو، وهو واضح يده على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء ويقول: «شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>٢</sup>. قال: فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول والعلم الآخر، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر. قلت: والروح، أليس هو جبرئيل؟ قال: لا، الروح خلق أعظم من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة، وإن الروح خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى: «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا»<sup>٣</sup>.

وهكذا نور هذا الإمام الدنيا ليضع أقدامه على عتباتها، ولتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الإمامة بكل أثقالها ومسؤولياتها، يقابلها حقبة جديدة من حقب الحكم العباسي بكل أوزاره وأثامه من عهد المنصور وحتى عهد

١- الأنعام: ١١٥.

٢-آل عمران: ١٨.

٣- المحاسن للبرقي ٣٤، بحار الأنوار ٤٨: ٣، والأية في سورة القدر آية ٤.

الرشيد الذي بلغ فيه التقابل ذروته بين زهد وورع وحق الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وبين غرائز هارون الرشيد ونزعه وباطلته وسطواته، فتصارعت الإرادتان، فما كان من موسى إلا الصبر والشکر، وما كان من هارون إلا أن يجرع إمام الخلقة الصابر كؤوساً مترعة بالسم والقهر والغدر، ليتقلل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في نعيم الأبد مخلداً.

### اسمه عليه السلام ولقبه وكنيته

اسمه عليه السلام موسى ويكتئي أبو الحسن، فلما ولد الرضا عليه السلام ترك كنيته، وكان يكتئي أبو إبراهيم وأبا علي في الخصوص، وربما يقال له: أبو الحسن الأول، ويقال للرضا عليه السلام أبو الحسن الثاني، ولعلي بن محمد النقاش عليه السلام أبو الحسن الثالث. وكان موسى بن جعفر عليه السلام يعرف بالعبد الصالح، وينعمت أيضاً بالكافر، وبالكهف الحصين، وبقوام آل محمد، وبنظام أهل البيت، وبنور أهل بيت الوحي، وبراهم بنى هاشم. وكان يقال فيه: عبد أهل زمانه، أنسخى العرب، أفقه الثقلين، منقذ الفقراء، مطعم المساكين، وكان الناس يسمونه زين المجتهدين، وحليف كتاب الله، لقبه الله في اللوح بالمنتخب. وكان يسمى مكلم الأسد، وسبب ذلك أن علي بن أبي حمزة البطائني قال: صحبت موسى عليه السلام إلى ضيعة له، فلما صرنا في بعض الطريق اعترضنا أسد، ولم يكترث به موسى عليه السلام، فرأيت الأسد تذلل له عليه السلام وجعل يهتم بهم، فوقف موسى عليه السلام ووضع الأسد يده على كفل بغلته، فحول عليه السلام وجهه إلى القبلة ودعاه، ثم أومأ إلى الأسد بيده: أن امض، فهمهم الأسد وانصرف، فقللت لما خرجنا: ما شأن هذا الأسد؟ قال عليه السلام: إنه اشتكتي إلى عسر ولادة لبوته، وسألني أن أدعوه ليفرج الله عنها ففعلت، وألقي في روعي أنها ولدت ذكرًا فأخبرته، فقال: لا سلط الله عليك ولا على ذريتك ولا على أحد من شيعتك سبعاً، قلت:

□ ٢٦٢ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

آمين<sup>١</sup>. وكان يلقب أيضاً بالammadون، والطيب، والسيد. واشتهر بالكافر، لأنه كان إذا بلغه عن أحد شيء بعث إليه بمالي<sup>٢</sup>. وروى الصدوق عن ربيع بن عبد الرحمن قال: كان والله موسى بن جعفر عليه السلام من المتوصفين، يعلم من يقف عليه بعد موته ويجدد الإمام بعد إمامته، فكان يكظم غيظه عليهم ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم، فسمى الكافر لذلك<sup>٣</sup>.

ويصفه محمد بن طلحة بن محمد العذوي الشافعي بالقول: الإمام الكبير القدر العظيم الشأن الكبير المجتهد الجاد في الاجتهد، المشهور بالعبادة المواضب على الطاعات، المشهود له بالكرامات، بيت الليل ساجداً وقائماً ويقطع النهار متصدقاً وصادقاً، لفطر حلمه وتجاوزه عن المعذبين عليه دعى كافراً. كان يجازي المسيء بإحسانه إليه، ويقابل العاجني بعفوه عنه، ولકثرة عباداته كان يسمى بالعبد الصالح، ويُعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله لنجح مطالب المتوصفين إلى الله تعالى به<sup>٤</sup>.

١- لقب الرسول وعترته، تأليف بعض المحدثين والمؤرخين، مطبوعة ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة، ١٩٨٠ و١٩٧١. وذكر ابن الحشّاب البغدادي أنه لما لما كان لقبه: الكافر، والصابر، والصالح، والأمين، ويكتفى بأبي الحسن وأبي إسماعيل، تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم ١٤١.

٢- تذكرة الخواص ٣١٢.

٣- عيون أخبار الرضا ١: ١١٢.

٤- مطالب المسؤول في مناقب آل الرسول ٢٨٩.

## النصوص على إمامية الإمام موسى بن جعفر

لم يكن الإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> أكبر أولاد الإمام جعفر بن محمد الصادق<sup>عليه السلام</sup>، ولعله كان الإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> ثالث أولاده أو رابعهم. وأكبر أولاد الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup> هو عبد الله الأفطح، وبه كان يكتنِ الإمام الصادق<sup>عليه السلام</sup>. يقول الشيخ المفيد: إنَّ إسماعيل أكبر الإخوة، وكان أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup> شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه. وكان قوم من الشيعة يظلون أنَّه القائم بعد أبيه وال الخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته سنًا ولم يلْمِلْ أبيه إليه وإكرامه له، فمات في حياة أبيه<sup>عليه السلام</sup>. وروي أنَّ أبي عبد الله<sup>عليه السلام</sup> جزع عليه جزعًا شديداً وحزن عليه حزناً عظيماً وتقدَّم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه

---

١- سيرة الأنبياء والآئية عشر ٢٣٠٩. ويعتبر عبد الله الأفطح أكبر ولد أبيه عند وفاته<sup>عليه السلام</sup>، لأنَّ إسماعيل توفي في حياة أبيه<sup>عليه السلام</sup>. يقول التوسيخني عن الفرقة التي قالت بإمامته: الإمامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر الأفطح، وذلك أنَّه كان عند مرضي جعفر أكبر ونده سنًا. فرق الشيعة

## ٢٦٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمر في ظلمات السجون

ويينظر إليه ي يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الطائرين خلافته له من بعده وإزالة الشبهة عنهم في حياته.<sup>١</sup> وإسماعيل وعبد الله كان لهما حضور في حياة أبيهما الإمام الصادق عليه السلام، ولهم من الاتصال والعلاقات الواسعة مع أصحاب الصادق عليه السلام وعموم الشيعة، ما أدى إلى ظهور تيارات ورؤى غريبة وشادة في البيت العلوي وداخل إطار الطائفة الشيعية وكياناتها، وكان الصادق عليه السلام يحضر من هذه التيارات والمواقف التي تمرّق الكيان والجسم العلوي الذي ينبغي أن يتنهى ويذور حول شخص كامل قادر علیم يستطيع أن يمسك بأطراف وأهداب الشيعة ويتنظم به المذهب، وهذا الشخص هو الإمام المعصوم الذي يتمكّن بقدراته ومواربه وتأييدهاته الغبية ومركزيته من حفظ المذهب الشيعي وديمومته بين المذاهب، ولذا كانت الوصيّة والإمامنة لا تخضع لاعتبارات السن والرتبة في الولادة، أو رغبة الأب وما إلى ذلك، وإنما هي منصوصة مقدّرة يتوارثها الأئمة من النبي صلوات الله عليه وسلم عن الله تعالى، وما على الإمام الراحل إلا الإعلان عنه والتوصية به.

وقد تواترت نصوص عديدة على إمامية موسى بن جعفر عليه السلام بعد أبيه الصادق عليه السلام، كما جرى لأبائه عليه السلام من قبل، ومن روى صريح النص بالإمامية من أبي عبد الله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى عليه السلام من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمة الله عليهم: المفضل بن عمر الجعفي، ومعاذ بن كثير، وعبد الرحمن بن الحجاج، والفيض بن المختار، وغيرهم<sup>٢</sup>.

وقد رويت هذه النصوص من طرق متعددة، نذكر منها: ما روى الفيض

١\_ الإرشاد ٢٨٤.

٢\_ المستجاد من كتاب الإرشاد ٣٠٦.

المختار، قال: قلت لأبي عبد الله<sup>عليه السلام</sup>: خذ بيدي من النار، مَنْ لَنَا بَعْدُكَ؟ فدخل أبو إبراهيم<sup>عليه السلام</sup> وهو يومئذ غلام، فقال: هذا صاحبكم، فتمسّك به. وروى المفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله<sup>عليه السلام</sup> فدخل أبو إبراهيم<sup>عليه السلام</sup> وهو غلام، فقال أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup>: استوصي به وضع أمره عند مَنْ شق به من أصحابك<sup>أ</sup>. وروى صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله<sup>عليه السلام</sup> عن صاحب هذا الأمر، فقال: إنَّ صاحب هذا الأمر لا يلهم ولا يلعب، وأقبل أبو الحسن موسى<sup>عليه السلام</sup> وهو صغير ومعه عناق مكية وهو يقول لها: اسجدي لربك، فأخذته أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup> وضمَّه إليه وقال: بأبي وأمي من لا يلهم ولا يلعب<sup>ب</sup>. وروى عن صفوان الجمال أيضاً أنه قال منصور بن حازم للصادق<sup>عليه السلام</sup>: بأبي أنت وأمي، إنَّ الأنفس يُغدِّي عليها ويراح، فإذا كان ذلك فمَنْ؟ قال أبو عبد الله<sup>عليه السلام</sup>: إذا كان ذلك فهو صاحبكم. وضرب على منكب أبي الحسن الأيمن، وكان يومئذ خماسياً وعبد الله بن جعفر جالس معنا<sup>ج</sup>. وروى إسحاق بن جعفر الصادق<sup>عليه السلام</sup> قال: كنت عند أبي يوماً، فسأله علي بن عمر بن علي<sup>ف</sup> فقال: جعلت<sup>د</sup> فداك، إلى مَنْ نفع ويفرع الناس بعدهك؟ قال<sup>إ</sup>: إلى صاحب هذين الشَّوَّابين الأصْفَرِينَ والغَدَيرِتَيْنَ - يعني الذَّوَابَتَيْنَ - وهو الطالع عليك من الباب، فما لبث أن طلعت علينا كفان آخرتان بالبابين حتى افتحتا، ودخل علينا أبو إبراهيم<sup>عليه السلام</sup> وهو صبيٌّ وعليه ثوبان أصفران<sup>هـ</sup>. وروى محمد بن الوليد قال:

١- أصول الكافي ١ : ٣٠٧.

٢- المصدر نفسه ١ : ٣٠٨.

٣- المصدر نفسه ١ : ٣١١.

٤- إعلام الورى بعلام الهدى ٢٩٠.

٥- المصدر نفسه ٢٩١.

## □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

سمعتُ عليَّ بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد عليه السلام يقول لجماعة من خاصته وأصحابه: استوصوا بابني موسى خيراً؛ فإنه أفضل ولدي ومن أخلف بعدي، وهو القائم مقامي، والحجَّة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي<sup>١</sup>. وروي عن مرازم عن داود الرقِّي آنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، إن كان كونٌ<sup>٢</sup> - وأعادني الله منه - فيك فإلى من؟ قال: إلى ابني موسى. قال داود: فلما حادثت الحادثة بأبي عبد الله عليه السلام ما شكت في موسى عليه السلام طرفة عين، ثم مكث نحو ثلاثين سنة، ثم قصده فقلت له: إني دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إن كان كون فإلى من؟ فنصرَ عليك، وأنا أسألك كما سأله: إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى عليَّ ابني. قال: فمضى أبو الحسن عليه السلام، فوالله ما شكت في الرضا عليه السلام.

وقد عانى الإمام أبو الحسن موسى عليه السلام من منافسة ومنازعة من يدعى الإمامة من داخل البيت العلوي، وكان الإمام الكاظم عليه السلام يدرك وهو صغير أن هذه المشكلة تتكرر مع كلَّ إمام معصوم يأتي بعده لذا وضع قواعد وعلامات للإمام المعصوم يعرفه ويستدلُّ بهذه العلامات عموم الشيعة للوقوف على الشخص المنصوص عليه من الإمام السابق له، فيروى أنَّ عليَّ بن أبي حمزة دخل على الإمام الكاظم عليه السلام فقال له: جعلت فداك، بمَ يُعرف الإمام؟ فقال عليه السلام: يُعرف بخصال: أولها النصَّ عليه من أبيه، ونصبه للناس علمًا حتى يكون عليهم حجَّة، كما نصب رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أمير المؤمنين عليه السلام إماماً وعلماء، وكذلك الأئمة عليهم السلام نصَّ الأول على الثاني ونصبه حجَّة وعلماء، إذ تَسأله فيجيب، فتسكت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما يكون في غد، ويكلَّم الناس بكلِّ

١- إعلام الورى ٢٩١.

٢- إثبات الورقة ١٦٤.

لسان، ويعرف منطق الطير. وال الساعة أعطيك العلامة قبل أن تقوم من مقامك،  
فما ببرحت حتى دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلم بالعربية، فأجابه عليه السلام  
بالفارسية، فقال الخراساني: ما معنني أن أكلمك بكلامي إلا ظنني بأنك لا  
تحسن، فقال عليه السلام: سبحان الله! إن كنت لا أحسن أجيبك فما فضلي عليك! ثم  
قال: يا أبا محمد، إنَّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحدٍ من الناس ولا منطق  
الطير والبهائم، فمن لم يكن فيه هذه الخصال فليس بإمام.<sup>١</sup>

## موسى بن جعفر والخلفاء العباسيون الأوائل

أقام الإمام موسى الكاظم عليه السلام مع أبيه جعفر الصادق عليه السلام تسعة عشر سنة<sup>١</sup>، وعاش بعد أيام إمامته خمساً وثلاثين سنة فيها بقية ملك المنصور، ثم ملك ابنه محمد المهدي عشر سنين وشهر وأيام، ثم ملك ابن محمد المهدي موسى المعروف بالهادي سنة وخمسة وعشرين يوماً، ثم ملك هارون المعروف بالرشيد ثلاث وعشرين سنة وشهرين وتسعه وعشرين يوماً.

وقد عايش الإمام موسى بن جعفر عليه السلام الدولة العباسية منذ نشأتها الأولى، فشهد بداياتها الحركية حتى استقرارها كدولة لها كيان سياسي قوي، وكان عليه السلام يشهد هذه الانتقالات والتحولات في الدولة وهو صغير السن يحبو بين يدي أبيه جعفر الصادق عليه السلام. ومن المسلم لدى الشيعة أن الإمام المعصوم منذ ولادته يدرك الأحداث ويتفهمها، ومن هنا فالإمام الكاظم عليه السلام يحمل صورة

١- ذكر ابن الخطاب البغدادي أن مقامه مع أبيه كان أربع عشرة سنة، وفي الرواية الأخرى: أقام مع أبيه عشرين سنة. تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم .١٤٠

٢- دلائل الإمامة .١٤٧

كاملة وواعية عن طبيعة وعصر هذه الدولة ورجالاتها، إلا أنَّ أمراء وخلفاء هذه الدولة الجديدة لم يكونوا معتقدين بقدرة الإمام، وإنْ أقرُّوا لهذه الطاقة والقدرة التي يحملها ويمتلكها الإمام المعصوم فهم لم ولن يحاولوا إظهارها، فلذلك لم يحصل إزعاج كبير ومبكر للكاظم عليهما السلام من قبل الخلفاء العباسيين الأوائل.

ويبدو أنَّ الملاحة والمطاردة والمضايقة التي كان يواجهها الأئمة عليهما السلام من قبل الخلفاء السابقين قد خفت في أول تأسيس دولة بنى العباس، ولم يكن بوسع خلفائهم إظهار عداوة أو ممارسة ضغط على من يمثل آل البيت؛ لأنَّ الدعوة العباسية كانت تنادي في شعارها بالانتصار والتظلم لآل البيت، ولم يجفَّ بعدَ مداد هذا الشعار، كما أنَّ مواقف الصادق عليهما السلام كانت واضحة ومعلنة بعدم الانحراف في الثورات المناهضة للسلطة، فلم يطرح المؤرخون اسم الصادق عليهما السلام في عداد التائرين أو الداعين إلى السلطة والحكم، فحصل تصور وقناعة تامة لدى الخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح بأنَّ البيت العلوي الذي يرأسه الصادق عليهما السلام لم يدخل حلبة الصراع مع هذه الدولة، فلم تحصل مضايقة أو مصادمة منه مع الصادق عليهما السلام. إلا أنَّ الخليفة الثاني المنصور الدوانيقي كان يعتبر البيت العلوي عنصر تهديد وخطر يمكن أن يقوض دولة بنى العباس أو يقللها، أو يضعفها، أو يمزقها إلى دولات على أقلِّ تقدير، لذا فإنَّ ظنون المنصور جعلته يفكَّر بعدوتين يهددان البناء العباسي الجديد، أولاهما عمَّه عبد الله بن علي، وثانيهما أولاد علي عليهما السلام الذين كانوا يشكلون قوة سياسية ودينية كبيرة، إضافة إلى أنَّ التعاطف الجماهيري الذي يحظى به أولاد علي عليهما السلام كان كبيراً وواسعاً. ولم يكتم المنصور هذا التوجس الذي كان يشغل باله، فهو كحدث عهد بالحكم والخلافة كان يلاحقه شبح التهديد

وفقدان سلطته كأي حاكم دنيوي، وقد باح بهذا لأبي مسلم الخراساني عند وفاة السفاح، وأنّ يروي ابن الأثير أنَّ المنصور كتب إلى أبي مسلم يستدعيه، فاقبل أبو مسلم إليه، فلما جلس وألقى إليه كتابه فرأه وبكي واسترجع، ونظر إلى أبي جعفر وقد جزع جزعاً شديداً، فقال: ما هذا الجزع وقد أتاك الخلافة؟! فقال المنصور: أتحوّف شرّ عقّي عبد الله بن عليٍّ وشيعة عليٍّ: قال أبو مسلم: لا تخفه، فأنا أكفيك إن شاء الله، إنّما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصونني، فسرّي عنه وبايع له أبو مسلم<sup>١</sup>. ولم يقل أبو مسلم شيئاً في أولاد أمير المؤمنين عليٍّ<sup>عليه السلام</sup> أو شيعته أو زعماء هذا البيت، لأنَّ امتداد الشيعة في العالم الإسلامي، بما في ذلك خراسان، والهوى العلوي كان واضحاً منظوراً للعيان.

وعلى العموم ما كان من موادعة بين العباسيين والعلويين في عهد السفاح لم تدم طويلاً؛ لأنَّ هذه السياسة لا توافق المنصور الذي أظهر بجلاءً أنَّ هدفه تثبيت كيان الدولة مهما كان الثمن. ورَكِّز الحاكم العباسي جهوده على الحركة العلوية؛ لإدراكه أنَّ هذه الحركة أصبحت رمزاً للمعارضة ضدَّ العباسيين؛ لأنَّ كلَّ الجماعات المتذمّرة نقلت ولاءها إلى العلويين وأخذت تدعوا لهم، سواء كان ذلك بإخلاص، أو بمجرد التظاهر لاتخاذهم واجهة سياسية لغايات أخرى مبيتة<sup>٢</sup>. والشيء الذي سُجِّل على أبي العباس السفاح هو قتل أبي سلامة الحال الذي قتله أبو مسلم بالأنبار عن أمر السفاح، بعد ولايته بأربع أشهر في شهر رجب. والأمر العجيب أنَّه لم تكن هناك مؤشرات تدلُّ على انزعاج العباسيين منه، بل كان السفاح يأنس به ويحبّ مسامرته لطبيب

١- الكامل في التاريخ : ٥ : ١٠٠ .

٢- الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية . ١٧ .

محاضرته، ولكنَّه توهَّم ميله لآل عليٍّ فدسَّ أبو مسلم عليه من يقتله غيلة، فأُندِّسَ السفَّاح:

إلى النار فليذهب، ومن كان مثله على أي شيء فاتنا منه نأسف!<sup>١</sup>  
وإذا كان السفَّاح متعمِّلاً في قتل أبي سلمة الخلال لا يشاور ولا يترى ث أو يتراجع في ذلك، وكأنَّه لا يريد أن يحفظ له معروفة في إجلاله هذا المجلس، أو تسييه على أحد احتمال، فإنَّ أباً جعفر المنصور ستد ضربة قضائية أخرى، هي أقوى وأشدَّ من ضربة أخيه وغدرته، تلك الضربة التي وجَّهها إلى أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية وموجدها، على ما يقول أكثر المؤرِّخين، ومع ما كان من التعاطف الشديد الذي أبْرَزَه أبو مسلم لشخص المنصور، وكلَّ هذه الخدمات الجليلة التي رفعت العباسيين إلى منصة السلطة بدت كأنَّها ليست بشيء في نظر العباسيين، فإنَّ المنصور لم يحترم جهد وبلاء أيَّ أحد، بل كان متعمِّلاً في غدره قبل مآل أمور السلطة إليه، لا يمنعه من غدره وازع ديني ولا أخلاقي، وبادر بالإشارة إلى قتل أبي مسلم على أخيه السفَّاح في بدء الدولة، فقال السفَّاح: قد علمت بلاه معنا وخدمته لنا، فقال له أبو جعفر المنصور: يا أمير المؤمنين، إنما ذلك بدولتنا، والله، لو أرسلت ستوراً لسمعوا له وأطاعوا، وإنك إن لم تتعشَّ به تغسلَي بك هو، فقال السفَّاح له: كيف السبيل إلى ذلك؟ فقال: إذا دخل عليك فحادثه ثم أجيء أنا من ورائه فأضربه بالسيف، قال: كيف بمن معه؟ قال: هم أذلُّ وأقلُّ، فأذن له في قتله، فلما دخل أبو مسلم على السفَّاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه، فبعث إليه الخادم يقول له: إنَّ ذاك الذي بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله.

فلما جاءه الخادم وجده محتجباً بالسيف قد تهياً لما يريد من قتل أبي مسلم<sup>١</sup>. وتضاف أيضاً إلى قسوة المنصور وصلفه وغدره بمن يخدمه قدرته في إبطال سحر وشعودة ضحاياه - إن صحة هذا التعبير - فإنَّ الطلاسم وما كان يعتقده أبو أيوب المورياني<sup>٢</sup> من سحر لم يؤثر في عقل ونفس المنصور ليس لم من شره وكيده، وقد كان المنصور يفكّر في كل يوم يلاقي المورياني بقتله، ولكن لم يقدر لأبي أيوب أن يموت قبل أجله المكتوب له، فشاع في العامة أنه كان مع أبي أيوب دهن فيه سحر سمّي دهن أبي أيوب. ولكنَّ المنصور أوقع به وعدبه حتى مات في سنة أربع وخمسين ومائة<sup>٣</sup>، وكانَ هذا السحر والدهن الذي وقع واشتهر في أواسط الناس كان عديم الصلاحية، أو تنتهي صلاحيته في قصر المنصور العباسى، أو لم يعد له تأثير يذكر مع بطش المنصور ومؤامراته ودسائسه.

وقد ألف المنصور خلاً وصديقاً يناسبه ويقارنه في حله وترحاله، هو البخل والخساسة والجمود، فلم يهمل المؤرخون الإشارة لذلك. ومنهم السيوطي الذي قال: كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك فيبني أمية

#### ١- البداية والنهاية : ١٠ : ٧٣

٢- المورياني: هو سليمان بن مخلد الخوزي، ولـي الوزارة للمنصور بعد خالد بن برمك. وأحسن القيام بالأعمال ثم فسـدت عليه نـية المنصور وأصلـه من مورـيان إحدـى قـرى الأـهواز، وـكانـ ليـبيـا فـصـحـاـ. أـعـلامـ الزـركـليـ : ١٣٥. وقد كان المورياني يمتلك جميع المؤهلات التي تناسب لأن يكون وكيلـاـ شخصـاـ لـلـخـلـيفـةـ، فقد وـفـرـتـ له تجـارـيـهـ السـابـقـةـ في خـدـمةـ الأمـوـيـنـ المـقـدرـةـ الإـادـارـيـةـ التي تـوهـنـهـ لـشـغلـ هـذـاـ المنـصـبـ. (ينظر العـبـاسـيـونـ فيـ سـنـوـاتـ التـأـسـيسـ ١٩٤)، لكنـ كلـ هـذـاـ لاـ يـفـعـلـ معـ الـمـنـصـورـ الـذـيـ يـبـطـشـ بـأـعـوـانـهـ وـخـدـمـهـ، بلـ حتـىـ بـأـرـحـامـهـ منـ بـنـيـ العـبـاسـ، كماـ جـرـىـ لـعـمـهـ وـلـيـسـيـ بـنـ مـوسـىـ.

٣- شـدـرـاتـ الـذـهـبـ فـيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ . ١: ٢٣٦

في بخله. ثم قال: رأى بعضهم عليه قميصاً مرقوعاً فقال: سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في ملكته! وروي أنه حدا به سلم الحادي فطرب حتى كاد أن يسقط من الراحلة فأجازه بنصف درهم، فقال الحادي: لقد حدوت بهشام فأجازني بعشرة آلاف، فقال المنصور: ما كان له أن يعطيك ذلك من بيت المال. فنادى على حاجبه: يا ربِّي، وكُلَّ به من يقبضها منه<sup>١</sup>. ويروي أنه قيل للصادق عليه السلام: إنَّ أبا جعفر المنصور لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلا الخشن، ولا يأكل إلا الجشب، فقال: يا ويحه مع ما قد مَكَنَ الله له من السلطان، وجبي إليه من الأموال! فقيل: إنما يفعل ذلك بخلافاً وجمعياً للأموال، فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه، ماله ترك دينه.<sup>٢</sup>

ولا تنتهي سجايا المنصور عند البخل والخساسة والغدر، فهو يتضائق ويشمئز من تقديم خدمة أو قضاء حاجة أحد من رعيته، وإن حصل ذلك منه فهو مضطر إليه ومرغم عليه. ومن طريف ما يروي أنَّ محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهو منبني عمَّ المنصور، كان له اختصاص به، وكان لحسن منزلته منه وعظيم قدره عنده يفرغ إليه الناس في حوائجهم فيكلمُه فيها فيقضيها، حتى أكثر عليه من الحوائج وأف्रط فأمر الربيع أن يحجبه<sup>٣</sup>; لأنَّ طبع المنصور وسجيته لا تطبق التصرف الإيجابي مع الرعية. والظاهر من عموم روايات المؤرخين أنه لم يكن يحيا حياة الملوك والسلطانين كما وصف نفسه، بل عاش حياة الصعاليك والمتسولين. ويروي الربيع بن يونس الحاجب قائلاً: سمعت المنصور يقول: الخلفاء أربعة: أبو

١- تاريخ الخلفاء ٢٦٧.

٢- بحار الأنوار ٤٧: ١٤٨.

٣- تاريخ مدينة السلام ٢: ٤٧٣، الرقم ٤٥٧.

## □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون ٢٧٤

بكر وعمر وعثمان وعلي، والملوك أربعة: معاوية وعبد الملك وهشام وأنا.<sup>١</sup> ولكن حقيقته غير ذلك، فهو لم يتسم بسمة الملوك أو يرتدي زيهم، وإنما تمسك بجبروتهم وقسوتهم.

وكان الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام يشهد بلية أبيه الصادق عليهما السلام به حين يستدعيه للبطش به، إلا أن الله يحفظه من شره، كما أن الإمام الصادق عليهما السلام كان يتعقبه ويرفق به ويلطفه، وأعظم بلية له عليهما السلام به حين قال له المنصور متحملاً عليه: ماتدع حسدك ويغريك، وإفسادك على هذا البيت منبني العباس، وما يزيدك بذلك إلا شدة حسد ونكد، ما تبلغ به ما نقدرها! فقال الصادق عليهما السلام: والله، يا أمير المؤمنين، ما فعلت شيئاً من هذا! ولقد كنت في ولايةبني أمية، وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنهم لاحق لهم في هذا الأمر، فوالله ما بغيت عليهم، ولا بلغهم عني سوء، مع جفاهم الذي كان بي، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمي وأمس الخلق بي رحمة، وأكثرهم عطفاً وبراً، فكيف أفعل هذا؟! فأخرج المنصور إصبارة كتب فرمى بها إليه وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوههم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني، فقال: والله يا أمير المؤمنين ما فعلت، ولا أستحل ذلك، ولا هو من مذهبني، وإنني لمن يعتقد طاعتك على كل حال، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصبرني في بعض جيوشك، حتى يأتيني الموت فهو مني قريب. فقال المنصور: لا، ولا كرامة، ثم أطرق وضرب يده إلى السيف فسل منه مقدار شبر، مهدداً بالقتل ... ثم أقبل المنصور يعاتبه وجعفر الصادق عليهما السلام يعتذر حتى وصل الأمر أن قال المنصور: أظنك صادقاً... ليتهي

الأمر معه هذه المرة بأن قال لحاجبه الربيع: احمله على فاره من دوابيسي التي أركبها، وأعطيه عشرة آلاف درهم، وشيشه إلى منزله مكرماً. ولكن كان للصادق عليه السلام معه لقاءات متعددة في كل مرة يناظره ويسلّم سيف غضبه لينتهي معه بالسلامة والعافية التي قدرها الله له، وحتى ساعة فراقه لهذه الدنيا الفانية.

ومع هذه الفظاظة والقسوة والجفاء والصدود الذي كان يقابل به المنصور البيت العلوي وأعلامه، فإنّ جعفر الصادق عليه السلام كان ناصحاً له، ويحرص لأن يدفعه نحو جادة الصواب، وينزع منه روح التجبر والغرور ويسلّم منه سخيمة العداوة. ومن هذا يروي الشيخ الصدوق أنّ الصادق عليه السلام قال له: عليك بالحلم فإنه ركن العلم، وأملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنك إن تفعل ما تقدّر عليه كنتَ كمن شفى غيظاً أو تداوى حقداً، أو يحبّ أن يذكر بالصولة. واعلم بأنك إن عاقبتَ مستحقاً لم تكن غاية ما توصف به إلا العدل، ولا أعرف حالاً أفضل من حال العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر. وكان الصادق عليه السلام قد قال له: نحن لك أنصار وأعون، ولملكك دعائم وأركان ما أمرت بالعرف والإحسان، وأمضيت في الرعية أحکام القرآن، وأرغمت بطاعتك الله أئف الشيطان، وإن كان يجب عليك في سعة فهمك وكثرة علمك ومعرفتك بآداب الله أن تصيل من قطعك، وتعطي من حرملك، وتعفو عن من ظلمك، فإن المكافى ليس بالواصل، إنما الواصل من إذا قطعه رحمه وصانها. وغير ذلك من الوصايا والنصائح التي كان يقدّمها الإمام الصادق عليه السلام ليردعه ويكتفه عن التمادي في جبروته، وليخفّف من حدة طغيانه

١- بحار الأنوار ٤٧ : ١٩٦ - ١٩٧

٢- أعمال الصدوق ٦١٣، بحار الأنوار ٤٧ : ١٦٨

وسرورة غضبه على أمّة جده التي سعّر المنصور نار الظلم علىها وعتاه ولد العباس.

وحين أذن للصادق عليه السلام في ملّاقاة آبائه الطاهرين وفراق هذه الدنيا وتوديعها، قام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مقام أبيه في الخلافة والإمامية، ليواجه جبروت المنصور وجفاؤه، لكنَّ هذا الطاغي لم يتفرّغ للإمام عليه السلام ذلك الحين، أو كأنَّه كان مشغولاً في تدبّرات كثيرة، منها تدبّر خلافة المهدي من بعده. ولربما كانت وصيَّة الصادق عليه السلام للكاظم عليه السلام بعد وفاته مع آخرين منهم المنصور أن وردّعته قليلاً ومنعه من أن يؤذِي الإمام الكاظم عليه السلام، ففي رواية الطبرسي عن أبي أيوب الخوزي قال: بعث إلى أبي جعفر المنصور في جوف الليل، فأتتُه فدخلت إليه وهو جالس على كرسيٍ وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلما سلَّمت عليه رمى بالكتاب إلى يده وبيكي وقال: هذا كتاب محمد ابن سليمان يخبرنا أنَّ جعفر بن محمد قد مات، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ثلاثة، وأين مثل جعفر؟ ثمَّ قال لي: اكتب إنْ كان أوصى إلى رجل بعينه فقدَمه وأضرب عنقه، فكتبت، وعاد الجواب: أَنَّه قد أوصى إلى خمسة، أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبد الله، وموسى، وحميدة. فقال: ما لي إلى قتل هؤلاء من سبيلٍ<sup>١</sup>. فكان هذا الأمر وقاء للإمام الكاظم عليه السلام وستراً له من شرِّ الرقابة العباسية. وكان الصادق عليه السلام قد ضمنَ هذه الوصيَّة رسالة كبيرة يفهمها أصحابه، لأنَّ عامة صحابة الأئمَّة عليهم السلام كانوا على درجة عالية من الفطانة والإدراك يفهمون إشاراتهم وتلميحياتهم، وروى داود بن كثير الرقي أنَّ أعرابياً أتى إلى أبي حمزة الثمالي فسأله خبراً، فقال الأعرابي: توفي

جعفر الصادق عليه السلام، فشهق أبو حمزة شهقة وأغمي عليه، فلما أفاق قال: هل أوصى إلى أحد؟ قال الأعرابي: نعم، أوصى إلى ابنه عبد الله وموسى وأبي جعفر المنصور، فضحك أبو حمزة وقال: الحمد لله الذي هدانا إلى المهدى وبين لنا عن الكبير، ودللنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم. فسئل أبو حمزة عن قوله، فقال: بين عيوب الكبير ودلل على الصغير لإضافته إياها، وكتم الوصية للمنصور، لأنّه لو سأله المنصور عن الوصيّ لقليل: أنت.<sup>١</sup> فكان هذا من أسباب تشاغل المنصور عن الإمام السابع الذي قدر له أن يعيش في أمن وسعة وحرية، تمكّن الإمام فيها من تقوية وتحكيم قاعدة التشيع والاتصال ببعض أصحابه، وأمكنته من نشر الحديث وبثه بين صفوة أصحابه الذين كان يشكلون أعمدة التشيع، ولو أنّ الاتصال المباشر كان إلى حين موّقت من الدهر؛ لأن المراسلات والمخاطبات التي رواها المحدثون تعكس تقنية الإمام وحرص أصحابه على عدم الإعلان المباشر عن اسمه، فلذلك كثرت الكتب والألقاب له عليه السلام منهم. ومع هذه الحيطة والحذر كان الإمام عليه السلام يمارس دوره بعيداً عن رقابة السلطة العباسية وأعينها إلى مدة زمنية تمكّن فيها عليه السلام من لملمة صفوّ أصحابه، والعمل الحيثي المثار لبناء مدرسة حدّيثية روائية تنبثق منها فيما بعد مدرسة فقهية كبيرة مكملة لمدرسة الصادقين عليهم السلام يتممّها وفقاً لمسؤوليته إماماً لعصره. ولكن لما بُويع محمد المهدي ثالث خلفاء بني العباس خامره ظنون سوء عن الكاظم عليه السلام وعن دوره الثقافي والجهادي الذي يسبّب إزعاجاً له، فدعاه حميد بن قحطبة نصف الليل وقال: إن إخلاصك أبيك وأخيك فيما أظهر من الشمس، وحالك عندى موقف، فقال: أفديك بالمال

والنفس، فقال: هذا لسائر الناس، قال: أفيك بالروح والممال والأهل والولد، فلم يجده المهدى، فقال: أفيك بالمال والنفس والأهل والولد والدين، فقال المهدى: الله درك! فعاشه على ذلك، وأمره أن يقتل الكاظم عليهما السلام في السحر بغترة، فنام فرأى في منامه عليهما السلام يشير إليه ويقرأ: «فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَكَّلُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِلُوا أَرْحَامَكُمْ»<sup>١</sup>، فاتبه مذعوراً ونهى حميداً عمما أمره، وأكرم الكاظم عليهما السلام ووصله.<sup>٢</sup> ويصف السيد تاج الدين العاملى علاقة الإمام به بال الخليفة المهدى قائلاً: كان زمان إمامته عليهما السلام بقية ملك المنصور، ومات المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة، وتولى بعده ولده المهدى عشر سنين وشهرًا وستة عشر يوماً، فقبض الكاظم عليهما السلام وحبسه، فرأى أمير المؤمنين عليهما السلام في المنام وهو يقول: «فَهَلْ عَسِيْتُمْ...» الآية. فلما أصبح دعا بالكاظم عليهما السلام وأخبره بما رأى وخلل سبيله.<sup>٣</sup> ويروى ابن الأثير الخبر عن الربع بهذه الرواية قال: رأيت المهدى يصلى في بهو له في ليلة مقمرة، فما أدرى فهو أحسن أم البهؤ أم القمر أم ثيابه، فقرأ الآية فأتم صلاته ثم التفت إلى وقال يا رب، قلت: لبيك، قال: موسى، فقلت في نفسي: من موسى؟ ابنه، أم موسى بن جعفر، وكان محبوساً عندي، فجعلت أفكّر فقلت: ما هو إلا موسى بن جعفر! فقطع صلاته، ثم قال: يا موسى، إني قرأت هذه الآية فخافت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثق لي أنة لا تخرج على، قال: نعم، فوثق له فخلاء<sup>٤</sup>. والظاهر من سياق أخبار التاريخ أن المهدى كان أعطف وأرق على

١- محمد بن علي عليهما السلام : ٢٢

٢- بحار الأنوار ٤٨ : ١٣٩

٣- التسعة في تواریخ الائمة ١٠٧

٤- الكامل في التاريخ ٥ : ٢٦٢

العلويين من أبيه المنصور الذي تعسف معهم. ويروي ابن الأثير عن عيسى بن موسى لما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن في المدينة قبض عيسى أموال بنى الحسن كلها وأموال جعفر الصادق<sup>١</sup>، فلقي جعفر الصادق<sup>٢</sup> المنصور فقال له: رد على قطيعتي من عين أبي زياد، فقال المنصور: إبأي تكلم بهذا! والله لازهقن نفسك. قال الصادق<sup>٣</sup>: فلا تعجل عليّ، قد بلغت ثلاثة وستين سنة، وفيها مات أبي وجدي، وعلىّ بن أبي طالب، وعلىّ كذا وكذا إن ربتك بشيء، وإن بقيت بعدك إن رب الذى يقوم بعدك، فرق له المنصور ولم يرد عليه قطيعته. فردها المهدي على ولده<sup>٤</sup>، لكونه كان يواجه مستجدات وأوضاعاً سياسية جديدة. وكان المهدي يحاول أن يرضي المعارضة، ومن ضمنهم العلوّيون، وما توزيعه الهدايا والأعطيات على العلوّيين وأهل الحجاز إلا ترجمة للسياسة الجديدة التي انتهجهما، فضلاً عن أمره بفك الحصار الاقتصادي المفروض على الحجاز منذ حركة محمد النفس البركية، علاوة على عن تعينه يعقوب بن داود المعروف بميوله العلوية وزيراً له، لكن هذه السياسة المرنة تبدلت بمجيء موسى الهادي إلى الخلافة عام ١٦٩، حيث اتبّع سياسة الشدة والعنف، وأمر بإيقاف العطاء للعلويين في المدينة<sup>٥</sup>. فالهادي لم يكن يحمل خصال أبيه في الرأفة والحنون على أبناء عمّه من العلوّيين، فهو عاتٍ حتى مع أخيه هارون فلم يكن على ود ووئام، بل كان ممتلئاً بروح عدائية تجاه الآخرين، وقد وصفه المسعودي بأنه قاسي القلب شرس الأخلاق صعب المرام<sup>٦</sup>. فلا يمكن توقيع مسالمة وصداقة للبيت

١- الكامل في التاريخ ٥ : ١٦٣.

٢- موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر العباسى ٩٠.

٣- مروج الذهب ٣ : ٣٢٥.

العلوي في عهده.

وكان حركة الحسين بن علي بن الحسن صاحب فخر في أيام الهادي هي من أكبر العوامل في إيغار قلبه وتأجيج نار العداوة للبيت العلوي. وكانت حركة صاحب فخر قد بدأت بالمدينة سنة تسع وستين ومائة، فباعه خلق وتملك مكة، لكنه قُتل وتفرق جمعه ومن كان معه من العلويين، إلا أن الإمام موسى بن جعفر لم يكن حاضراً معه؛ لأنَّه كان يعلم أنَّ القتل والهزيمة من نصيب هذه الحركة، وأنَّ الدولة هي دولة بني العباس، وليس لأبناء علي عليه السلام فيها نصيب، فانتأى عنهم. لكنَّ هذا الموقف للإمام موسى بن جعفر عليه السلام لم يكن كافياً في نظر بني العباس لطمأنتهم، أو يكون مانعاً لهم من تحريك شرِّ الهاادي إلى الكاظم عليه السلام، وإلى البيت العلوي أو من يقف منهم أو عنهم بمسافة.

وكانت نوايا الهاادي السيئة للإيقاع وللبطش بالإمام الكاظم عليه السلام سبباً لأنَّ يَبْرُرَ الله عمره ويسلبه ملكه، لأنَّه قال: قتلني الله إنْ عفوتُ عن موسى بن جعفر! ولو لا ما سمعتُ من المهدى فيما أخبر به المنصور بما كان به جعفر ابن محمد من الفضل المبرر عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفاح فيه من تكريظه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً! فقال أبو يوسف<sup>١</sup>: نساؤه طوالق وعتق جميع ما يملك من الرفيق، وتصدق بجميع ما يملك من المال، وحبس دوابته، وعليه المشي إلى بيت الله الحرام إنْ كان مذهب موسى بن جعفر الخروج، لا يذهب إليه ولا مذهب أحد من ولده.

١- أبو يوسف: هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري قاضي القضاة وأحد أعلام المذهب الحنفي، له كتاب *الخراج*. كان من المقربين في دولة بني العباس ونال لديهم حظوة، مات سنة ١٨٢.

ينظر: *أعلام الزركلي* ٨ : ١٩٢.

ولا ينبغي أن يكون هذا منهم. ثم ذكر الزيدية وما يتعلّقون، فقال: وما كان بقي من الزيدية إلا هذه العصابة الذين كانوا خرجوا مع حسين، وقد ظفر بهم أمير المؤمنين، ولم يزل يرافق به حتى سكن غضبه.<sup>١</sup>

ويرى الصدوق عن علي بن يقطين أنه قال: أنهى الخبر إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وعنه جماعة من أهل بيته بما عزّم إليه موسى بن المهدي في أمره، فقال لأهل بيته: ما تشيرون؟ قالوا: نرى أن تبتعد عنه، وأن تغيب شخصك، فإنه لا يؤمّن شره، فتبسم أبو الحسن عليهما السلام ثم قال:

رَعِمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَبِّهَا      وَلِيَغْلِبَنَّ مُغَالِبَ الْغَلَبِ  
ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: اللَّهُمَّ كُمْ مِنْ عَدُوٍّ شَحِذْ لِي طُبَّةً مَدِيَّهِ،  
وَأَرْهَفْ لِي شَبَّاً حَدَّهُ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُمُومَهُ، وَلَمْ تَنْعِنِي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ،  
فَلَمَّا رَأَيْتَ ضَعْفِي عَنْ احْتِمَالِ الْجَوَاجِ، وَعَجْزِي ذَلِكَ عَنْ مُلْمَاتِ الْجَوَاجِ<sup>٢</sup>  
صَرَفْتَ ذَلِكَ عَنِي بِحُولِكَ وَقُوَّتِكَ، لَا بِحُولِي وَقُوَّتِي، فَأَلْقَيْتَهُ فِي الْحَفِيرِ الَّذِي  
احْتَفَرَهُ لِي، خَاتَمًا مَا أَمْلَهُ فِي دُنْيَا، مُتَبَاعِدًا مَمَّا رَجَاهَ فِي آخِرَتِهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ  
عَلَى ذَلِكَ قَدْرِ اسْتِحْقَاقِكَ سَيِّدِي. اللَّهُمَّ فَخُذْهُ بِعَزَّتِكَ، وَافْلُلْ حَدَّهُ عَنِي  
بِقَدْرِكَ، وَاجْعَلْ لَهُ شَغَلًا فِيمَا يَلِيهِ، وَعَجْزًا عَمَّا يَنْوِيهُ. اللَّهُمَّ وَأَعْدَنِي عَلَيْهِ مِنْ  
عَذَابِي حَاضِرَةً تَكُونُ مِنْ غَيْظِي شَفَاءً، وَمِنْ حَقَّيَّ عَلَيْهِ وَفَاءً، وَصِلِّ اللَّهُمَّ  
دُعَائِي بِالْإِجَابَةِ، وَانْظِمْ شَكَائِي بِالتَّغْيِيرِ، وَعَرِّفْهُ مَا وَعَدْتَ فِي إِجَابَةِ  
الْمُضطَرِّينَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَالْمَنَّ الْكَرِيمِ.

ثُمَّ تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَمَا اجْتَمَعُوا إِلَّا لِقْرَاءَةِ الْكِتَابِ الْوَارِدِ بِمَوْتِ مُوسَى بْنِ

١- بحار الأنوار ٤٨ : ١٥١.

٢- في بعض النسخ: الجواج. وفي أخرى: الجوانج.

٣- في نسخة: حتفي.

المهدي.<sup>١</sup>

والظاهر أنَّ الهاדי العباسى كان يرُوم تصفية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في أول فرصة تسنح له، لكنَّ تقدير العلي القدير كان مانعاً له من أن يمسه بسوء، وعاجلته المنية فاخترمته يد المnoon وهو غض طرى العود لم يكمل رشفاته من كؤوس نبيذ الجواري، ولم يتم قبلاته من خحدود العذارى. وكان عمره عند موته ستاً وعشرين سنة، وقيل ثلثاً وعشرين سنة. ولما مات الهاادي قالت أمَّه الخيزران: قد كنا نتحدث أنَّه يموت في هذه الليلة خليفة، ويُمِلِّك خليفة، فمات الهاادي وولي الرشيد وولد المأمون<sup>٢</sup>. ومن هنا بدأت مصيبة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الذي امتلأت حياته بالمرارة والأحزان والأشجان، جرَّعها زمان بطر هارون بكؤوس ملائى بالغموم، وكأنَّها كانت حاضرة له أو أحضرت له في سجون هارون ودهاليز الحفر المظلمة في بغداد والبصرة.

### أيام الرشيد مع موسى بن جعفر عليهما السلام

كانت إقامة موسى بن جعفر عليهما السلام بالمدينة حتى توفي المهدي والهاادي وحجَّ هارون الرشيد، فاجتمع بموسى بن جعفر عليهما السلام عند قبر رسول الله عليهما السلام، فقال هارون للنبي عليهما السلام: السلام عليك يا ابن العم، إفتخاراً على من حوله، فدنا موسى عليهما السلام من القبر وقال: السلام عليك يا أبا، فتغير وجه هارون الرشيد، ثم قال: والله يا أبا الحسن، هذا هو الفخر والشرف حقاً ثم حمله معه إلى بغداد

١- عيون أخبار الرضا ١ : ٧٩.

٢- الكامل في التاريخ ٥ : ٢٧٢ و ٢٧٣.

فحبسه بها سنة سبع وسبعين ومائة.<sup>١</sup> وفي رواية أخرى أنَّ هارون حمله من المدينة لعشر ليالٍ يُقين من شوال سنة تسع وسبعين ومائة.<sup>٢</sup> ويروي الصدوق بإسناده عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: كان يعقوب بن داود يخبرني أنه قد قال بالإمامية، فدخلت عليه بالمدينة في الليلة التي أخذ فيها موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> في صحيحتها، فقال لي: كنت عند الوزير الساعة، يعني يحيى بن خالد، فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أتني اعتذر إليك من أمر قد عزمتْ عليه، فإني أريد أن أخذ موسى بن جعفر فأحبسه، لأنَّي قد خشيتُ أن يلقي بين أمتك حرثاً تُسفك فيها دماءهم، وأنا أحسب أنه سيأخذه غداً. فلما كان من الغد أرسل إليه الفضل بن الريبع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله<sup>صلوات الله عليه وآله وسلامه</sup> فأمر بالقبض عليه وحبسه.<sup>٣</sup> وكان الإمام<sup>عليه السلام</sup> لم يكن رحمة للأمة، بل الرشيد ومن معه رحمة لهذه الأمة!

ويصف الشيخ المفید بداية المواجهة مع هارون الرشید، في هذه المرحلة التي حمل فيها الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup>، مستنداً الخبر إلى محمد بن الزبرقان الدامغاني قائلًا عنه<sup>عليه السلام</sup>: لما أمرهم هارون الرشید بحمله دخلت عليه فسلّمت فلم يرد السلام ورأيته مغضباً، فرمى إلى بطومار فقال: اقرأه، فإذا فيه كلام قد علم الله عزَّ وجلَّ براءتي منه، وفيه: إنَّ موسى بن جعفر يجسِّى إليه خراج الآفاق من غلة الشيعة ممَّن يقول بiamامته، يدينون الله بذلك، ويذعنون أنه فرض عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويذعنون أنه من لم يذهب

١- تذكرة الخواص ٣١٤.

٢- أصول الكافي ١: ٤٧٦.

٣- عيون أخبار الرضا ١: ٧٣.

إليه بالعشر ولم يصلَّ ياماً ماتُهم، ويحجَّ بِإذنِهم، ويحاجَّ بأمرِهم، ويحملُ  
الغنية إِلَيْهم، ويفضَّلُ الأئمَّة على جميعِ الخلق، ويفرضُ طاعتهم مثل طاعة  
الله وطاعة رسوله، فهو كافر حلال ماله ودمه. وفيه كلام شناعة مثل المتعة بلا  
شهود، واستحلال الفروج بأمره ولو بدرهم، والبراءة من السلف، ويلعنون  
عليهم في صلاتِهم، ويزعمون أنه من لم يتبرأ منهم فقد بانت امرأته منه. ومن  
آخرِ الوقت فلا صلاة له، لقول الله تبارك وتعالى: **«أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَتَبَعُوا**  
**الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غَيَّابًا»** ، ويزعمون أنه واد في جهنَّم.. والكتاب طويل،  
وأنا قائم وهو ساكت، فرفع رأسه وقال: قد اكتفيت بما قرأت، فكلَّم بحجتك  
بما قرأتَه. قلت: يا أمير المؤمنين، والذي بعث محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة، ما حمل إليَّ  
قطَّ أحدَ درهماً ولا ديناراً من طريقِ الخراج، لكنَّا معاشر آل أبي طالب نقبل  
الهدية التي أحلَّها الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: لو أهدى إليَّ كراع لقبت  
ولو دعَيتُ إلى ذراع لأجبت. وقد علمَ أمير المؤمنين ضيقاً ما نحن فيه وكثرة  
عدوتنا، وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب. فضاق بنا الأمر  
وحرمت علينا الصدقة ووعَظَنا الله عزَّ وجلَّ عنها الخمس، فاضطربنا إلى  
قبولِ الهدية، وكلَّ ذلك مما علمَه أمير المؤمنين. فلما تمَّ كلامي سكت.

ثمَّ قلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمته في حديث عن آبائه  
عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فكانَه اغتنمَها فقال: مأذون لك، هاته. فقلت: خذْني أبي عن  
جدِّي يرفعه إلى النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنَّ الرحم إذا مسَّتْ رحماً تحرَّكَتْ وأضطربَتْ،  
فإن رأيتَ أن تُناولني يدك، فأشار بيده إلى:

ثمَّ قال: ادن، فدبَّوتُ فصافحتني وجذبَتني إلى نفسه ملياً، ثمَّ فارقني وقد

دمعت عيناه، فقال لي: أجلس يا موسى، فليس عليك بأس، صدقت وصدق جدك وصدق النبي ﷺ، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي، وأعلم أنك لحمي ودمي، وأنَّ الذي حدثني به صحيحٌ، وأتي أريد أن أسألك عن مسألة، فإنْ أجبتني أعلم أنك قد صدقتني وخليت عنك ووصلتك، ولم أصدق ما قيل فيك. فقلت: ما كان علمه عندي أجبتك فيه. فقال: لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم: يا ابن رسول الله، وأنتم ولد علي، وفاطمة إنما هي وعاء، والولد ينسب إلى الأب لا إلى الأم؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفني من هذه المسألة فعل، فقال: لست أفعل أو أجبت، فقلت: فأنا في أمانك أن لا يصيبني آفة من آفة السلطان شيء؟ فقال: لك الأمان، قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرْيَّتِهِ دَاوِدَ وَسُلَيْمَانَ وَأُبُوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَكَرَيَا وَيَحْيَى وَعِيسَى.. \*» ، فمن أبو عيسى؟ فقال الرشيد: ليس له أب، إنما خلق من كلام الله عز وجل وروح القدس. فقلت: إنما الحق عيسى بذراري الأنبياء عليه السلام من قبل مريم، وألحقنا بذراري الأنبياء من قبل فاطمة عليها السلام لا من قبل علي عليه السلام. فقال: أحسنت يا موسى، زدني من مثله. فقلت: اجتمعـت الأمة بـرها وفاجرها أنَّ حديث التجراني حين دعاه

١- كان الرشيد يعتقد بالإمام الكاظم عليه السلام ويعلم منزلته عند الله، ولذا كان يؤمن بصدق حديثه وما يقول، ومن هذا ما رواه الكسائي من أنَّ الرشيد قد أخبره عن الصراع الدموي الذي سيحصل بين الأمين والمأمون، وكان المأمون يقول: سمع أبي هذا من موسى بن جعفر عليه السلام. ينظر تفصيل ذلك في وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية ١٧٢، ونحو الخبر رواه الأصمسي أيضاً، كما جاء في الأخبار الطوال ٣٨٨.

النبي ﷺ إلى المباهلة لم يكن في الكسae إلا النبي ﷺ وعليه فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهما، فقال الله تبارك وتعالى: «فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَتِسْعَاتَا وَسِنَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ»<sup>١</sup>، فكان تأويل أبناءنا الحسن والحسين، و«نساءنا» فاطمة، و«أنفسنا» علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. فقال: أحسنت.

ثم قال: أخبرني عن قولكم: ليس للعم مع ولد الصلب ميراث. قلت: أسألك يا أمير المؤمنين بحق الله وبحق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تعفي من تأويل هذه الآية وكشفها وهي عند العلماء مستور، فقال: إنك قد خضنت لي أن تجيز فيما أسألك ولست أعزفتك. قلت: فجدت لي الأمان، فقال: قد آمنتك، قلت: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، وإن عمي العباس قدر على الهجرة فلم يهاجر، وإنما كان في عدد الأسرى عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجحد أن يكون له الفداء، فأنزل الله تبارك وتعالى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبره بدفين له من ذهب، فبعث عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخرجه من عند أم الفضل، وأخبر العباس بما أخبره جبرائيل عن الله تبارك وتعالى، فأذن لعلي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطاه علامه الذي دفن فيه، فقال العباس: أفترني يا ابن أخي، فأنزل الله تبارك وتعالى: «إِنْ يَعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ»<sup>٢</sup> وقوله «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَالَّذِينَ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا»، ثم قال «وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ التَّصْرُرُ»<sup>٣</sup>، فرأيته قد اعترض، ثم قال: أخبرني من أين قلتم: إن الإنسان يدخله الفساد من قبل النساء لحال الخمس الذي لم

١- آل عمران: ٦١.

٢- الأنفال: ٧٠.

٣- الأنفال: ٧٢.

يُدْفع إلى أهله؟ فقلت: أخبرك يا أمير المؤمنين بشرط أن لا تكشف هذا الباب لأحد ما دمت حيًّا، وعن قريب يفرق الله بيننا وبين من ظلمنا، وهذه مسألة لم يسألها أحد من السلاطين غير أمير المؤمنين. قال: ولا شيم ولا غدرٌ ولا بنو أمية ولا أحد من أبنائنا؟ قلت: ما سئلتك؟ ولا سئل أبو عبد الله جعفر ابن محمد عنها. قال الرشيد: الله! قلت: الله. قال: فإن بلغني عنك أو عن أحد من أهل بيتك كشف ما أخبرتني به رجعت عما آمنتك منه. فقلت: لك على ذلك.

فقال الرشيد: أحب أن تكتب لي كلاماً موجزاً له أصول وفروع يفهم تفسيره، ويكون ذلك سماحك من أبي عبد الله عليه السلام. قلت: نعم، وعلى عيني يا أمير المؤمنين، قال: فإذا فرغت فارفع حوانجك. وقام ووكل بي من يحفظني، وبعث إليَّ في كلِّ يوم بمائدة سَرِيَّة، فككتب:

بسم الله الرحمن الرحيم: جميع أمور الدنيا أمران: أمر لا اختلاف فيه، وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجتمع عليها المعروض عليها شبهة، والمستبطن منها كلَّ حادثة. وأمر يحتمل الشك والإنكار، وسيله استيضاح أهل الحجَّة عليه، فما ثبت لمحليه من كتاب مستجمع على تأويله، أو سنة عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا اختلاف فيها، أو قياس تعرِف العقول عدله، ضاق على من استوضح تلك الحجَّة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها، وما لم يثبت لمحليه به حجَّة من كتاب مستجمع على تأويله، أو سنة عن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله، وسع خاص الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار له. كذلك هذان الأمران من أمر التوحيد بما دونه إلى أرش الخدش بما دونه، فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت لك برهانه اصطفيته، وما غمض عنك ضرورة نفيته،

ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فأخبرت الموكّل بي أني قد فرغت من حاجته، فأخبره فخرج وعرضت عليه، فقال: أحسنت، هو كلام موجز جامع، فارفع حوائجك يا موسى؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، أول حاجتي إليك أن تاذن لي في الانصراف إلى أهلي، فإني تركتهم باكين آيسين من أن يروني أبداً، فقال: مأذون لك، ازدده، فقلت: يبقى الله أمير المؤمنين لنا معاشربني عمّه، فقال: ازدد، فقلت: على عيال كثير، وأعيتنا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير المؤمنين وعادته. فأمر لي بمائة ألف درهم وكسوة، وحملني ورثني إلى أهلي مكرماً<sup>١</sup>.

لكن الموضوع لم يختتم مع السلطة العباسية بهذا الحوار وتنتهي ملاحظتهم للإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> وأصحابه وشيعته ومن سار بدريه، وكان الأجدر أن يمنعوا عيونهم ورجالهم من إيذائه<sup>عليه السلام</sup>، وأن يبادروا إلى رفع الموانع والحواجز والقيود التي وضعت في طريق إمامته التي أرادها الله لهداية عباده. ولكن الذي حصل أن السلطة العباسية قد زادت من مضائقه وملاحظته لكي تمنعه من أن يمارس دوره أو يخطو خطوات تعزز سلطنته وهيمنته على قلوب المسلمين.

ومن طريف ما يُروى عن هارون الرشيد أنه اجتمع بالإمام موسى بن جعفر<sup>عليه السلام</sup> عند الكعبة بمكة وقال له: أنت الذي يباعك الناس سرّاً<sup>٢</sup> فقال الإمام<sup>عليه السلام</sup>: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم<sup>٣</sup>. فانسابت هذه العبارة إلى

١ـ الاختصاص ٥٤، بحار الأنوار ٤٨: ١٢١. قال المجلسي في بيان الخبر: وأمّا عدم ذكر الجواب عن الفساد من قبل النساء، للعهد الذي حرّى بينه<sup>عليه السلام</sup> وبين الرشيد، بحار ٤٨:

١٢٥

٢ـ الإتحاف بحب الأشراف ١٥٠

أعمق نفسه ليجد الوقت المناسب للانتقام من الإمام عليه السلام، أو البطش به أو إيقاع الأذى به، لكن الإمام عليه السلام كان يتدرّع بسلاح الدعاء فيحمي نفسه من كيده. يروي ابن طاوس بالإسناد عن علي بن يقطين قال: كنت واقفاً على رأس هارون الرشيد إذ دعا موسى بن جعفر عليه السلام وهو يتلظّى عليه، فلما دخل حرك شفتيه بشيء، فأقبل هارون عليه ولاطفه وببره وأذن له في الرجوع، فقلت: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إنك دخلت على هارون وهو يتلظّى عليك فلم أشك إلا أنه يأمر بقتلك، فسلمك الله منه، فما الذي كنت تحرك به شفتيك؟ فقال: إني دعوت بدعائين أحدهما خاص والأخر عام، فصرف الله شره عنّي، فقلت: ما هما يا ابن رسول الله؟ فقال: أما الخاص: اللهم، إنك حفظت العلامين لصلاح أبيهما، فاحفظني لصلاح أبيائي. وأما العام: اللهم إنك تكفي من كل أحد ولا يكفي منك أحد فاكتفي بما شئت وأنت شئت، فكفاني الله شره. ونقل ابن طاوس أيضاً عنه عليه السلام لما دخل على هارون وقد كان هم به سوء، فلما رأه وشب إليه وعانقه ووصله وغلّفه بيده وخلع عليه، فلما تولى قال الفضل بن الريبع: يا أمير المؤمنين، أردت أن تصربه وتعاقبه فخلعت عليه وأجزته! فقال: يا فضل، إني أبلغت عنه شيئاً عظيماً فرأيته عند الله مكيناً، إنك مضيت لتجيئني به فرأيت أقواماً قد أخذوا بداري بأيديهم حراب قد أغرواها في أصل الدار، يقولون: إن آذيت ابن رسول الله خسفتنا بك، وإن أحسست إليه انصرنا عنك، قال الفضل: فتبعثه عليه السلام وقلت له: ما الذي قلت حتى كفيت شرّ الرشيد؟ فقال عليه السلام: دعاء جدي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، كان إذا دعا به ما برز إلى عسكر إلا هزمه، ولا إلى فارس

الا قهره: وهو دعاء كفایة البلاء. قلت: وما هو؟ قال عليه السلام: اللهم بك أساور، وبك أجادل، وبك أصول، وبك أنتصر، وبك أموت، وبك أحيا، أسلمت نفسي إليك، وفوّضت أمرِي إليك، لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. اللهم إنك خلقْتني ورزقْتني وسترْتني وسترْتني من بين العباد بلطفك وحولتني، وإذا هربت رذدْتني، وإذا عثرت أفلْتني، وإذا مرضت شفَّتني، وإذا دعوتُك أجبْتني، سيدي أرضَ عَنِي فقد أرضَيتني <sup>أ</sup>.

وكان سلاحه عليه السلام الذي يحمله معه على الدوام ولا يكاد يفارقه هو الدعاء والتتصرّع والسجود، وكانت مناجاته لربه واللجوء إليه في كلّ أمر ينزل به هي الفرج والخلاص له من كلّ مكره يلم به، وبالدعاء والاستغاثة المتواصلة بالله كان يفكّ القيود والأغلال التي كانت توضع عليه. من هذا ما رواه ابن طاوس بإسناده عن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال: دعاني هارون الرشيد فقال: عبد الله، كيف أنت وموضع السرّ منك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، مائة إلا عبد من عبديك، فقال: امض إلى تلك الحجرة وخذ من فيها واحتفظ به إلى أن أسألك عنه. قال: فدخلت فوجدت موسى بن جعفر عليه السلام، فلما رأني سلمت عليه وحملته على داتي إلى منزلي، فأدخلته داري وجعلته مع حرمي ووقفت عليه والمفتاح معي، وكنت أتوّلى خدمته. ومضت الأيام فلم أشعر إلا برسول الرشيد يقول: أحب أمير المؤمنين، فنهضت ودخلت عليه وهو جالس وعن يمينه فراش وعن يساره فراش، فسلمت عليه فلم يرّد غير أنه قال: ما فعلت بالوديعة؟ فكأنّي لم أفهم ما قال. فقال: ما فعل صاحبك؟ فقلت: صالح، فقال: امض إليه وادفع إليه ثلاثة آلاف درهم واصرّفه إلى منزله وأهله. فقمت

وهممت بالانصراف، فقال لي: أتدرى ما السبب في ذلك وما هو؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، قال: نمت على الفراش الذي عن يمسيي فرأيت في منامي قائلًا يقول لي: يا هارون، أطلق موسى بن جعفر! فاتبهت فقلت: لعنتها إنما في نفسي منها! فقمت إلى الفراش الآخر، فرأيت ذلك الشخص بعينه وهو يقول: يا هارون أمرتك أن تطلق موسى بن جعفر فلم تفعل، فاتبهت وتعوذت من الشيطان ثم قمت إلى هذا الفراش الذي أنا عليه وإنما بذلك الشخص بعينه وبهذه حرية، كان أولها بالمشرق وأخرها بالمغارب وقد أوصا إليّ وهو يقول: والله يا هارون، لتن لم تطلق موسى بن جعفر لأضعن هذه الحرية في صدرك وأطلعها من ظهرك، فأرسلت إليك فامض فيما أمرتك به ولا تظهره إلى أحد فأنتك، فانظر لنفسك. قال: فرحت إلى متولي وفتحت الحجرة ودخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فوجده قد نام في سجوده فجلست حتى استيقظ ورفع رأسه وقال: يا أبا عبد الله، أفعل ما أمرت به، فقلت: يا مولاي، سألك والله وبحق حدق رسول الله هل دعوت الله عز وجل في يومك هذا بالفرج؟ فقال عليه السلام: أجل، إني صلّيت المفروضة وسجدت وغفت في سجودي، فرأيت رسول الله صلوات الله عليه وسلم فقال: يا موسى، أتحب أن تطلق؟ فقلت: نعم يا رسول الله، فقال عليه السلام: ادع بهذا الدعاء: يا ساجد النعم، يا دافع النقم، يا بارئ النسم، يا مجلبي لهم، يا مغشي الظلم، يا كاشف الضر والآلم، يا ذا الجود والذكر، يا سامع كل صوت، ويَا مدرك كل فوت، ويَا محيي العظام وهي رميم ومشتها بعد الموت، صل على محمد وأل محمد واجعل لي من أمرك فرجاً ومخرجاً، يا ذا الجلال والإكرام، فلقد دعوت به برسول الله يلقنيه حتى

سمعتك. فقلت: قد استجاب الله فيك، ثم قلت له ما أمرني به الرشيد وأعطيته ذلك. ليرى الحرية برهة من الزمن، ثم يعود إلى حبس جديد يتظاهر في سجن أعد له ليظلله من سماء بغداد، فيطوي فصولاً أخرى من عمره مع عذابات السجون العباسية، تلك السجون التي أفت هذا البدن الظاهر، وكانتها لم تجد أنيساً لها في وحشتها وظلمتها غير هذا العبد الصالح الذي تسurg معه

١- مهيع الدعوات ومنهج العبادات ٤٤٥. وفي رواية للصادق أنَّ موسى بن جعفر عليهما السلام فخاف ناحية هارون أن يقتله فجذبَ يده طهوره فاستقبل بوجهه القبلة وصلَّى الله عزَّ وجلَّ أربع ركعات ثم دعا بهذه الدعوات فقال: يا سيدِي، نجّاني من حبس هارون وخلصني من يده، يا مخلص الشجر من بين رمل وطين (خ ل: وما)، يا مخلص الذين من بين ثرى ودم، يا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص النار من الحديد والحجر (خ ل: حديد وحجر)، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلصني من يد (خ ل: يدي) هارون. فلما دعا عليهما بهذه الدعوات أتى هارون رجل أسود في منامه وبيده سيف قد سله، فوقف على رأس هارون وهو يقول: يا هارون، أطبق موسى بن جعفر وإلا ضربت علاوتك بسيفي هذا، فخاف هارون من هيته، ثم دعا الحاجب، ف جاء الحاجب، فقال له: اذهب إلى السجن فأطلق عن موسى بن جعفر، فخرج الحاجب فقرع باب السجن، فأجا به صاحب السجن فقال: من ذا؟ قال: إنَّ الخيبة يدعو موسى بن جعفر، فأخبر جهه من سجنك وأطلق عنك، فصاح السجان: يا موسى، إنَّ الخيبة يدعوك، فقام موسى بن جعفر عليهما مدغوراً وهو يقول: لا يدعوني في جوف هذا النيل إلا شرّ يريده بي، فجاء إلى هارون فقال: سلام على هارون فرداً عليه سلام، ثم قال له هارون: ناشتك الله هل دعوت في جوف النيل بدعوات؟ فقال عليهما: نعم، قال هارون: وما هن؟.. وذكر له عليهما ما كان من دعائهما، فقال هارون: قد استجاب الله دعوتك، يا حاجب أطلق عن هذا، ثم دعا بخلع عليه ثباتاً وحمله على فرسه وأكرمه وصبره نديماً لنفسه، وكان يدخل عليه في كل خميس إلى أن حبسه الثانية فلم يطلق عنه حتى سأله إلى النبي بن الشاهد وقتنه باسم: عيون أخبار

حيطان السجون وقيودها في ترتيل حزين يتناغم مع هدوء الليل وسكونه في أروع إيقاع. ولم تتفكر عن الإمام ع عيون أزلام السلطة العباسية، فكانت تلاحمه وتضايقه في كل لحظة من لحظات حياته ع.

ومن مضائقات السلطة العباسية وإزعاجها وظلماتها التي ابتلي بها الإمام الكاظم ع، ما روى الصدوق عن علي بن محمد بن سليمان التوفلي قال: سمعت أبي يقول: لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر ع قبض عليه وهو عند رأس النبي ﷺ قائمًا يصلي، فقطع عليه صلواته وحمل وهو يبكي ويقول: أشكوا إليك يا رسول الله ما ألقى. وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويصيحون، فلما حُمل بين يدي الرشيد شتمه وجفاه، فلما جن عليه الليل أمر بيتهن<sup>١</sup> بهيئا له، فحمل موسى بن جعفر ع إلى أحدهما في خفاء ودفعه إلى حسان السروي وأمره بأن يصير به في قبة إلى البصرة فيسلم إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر وهو أميرها، ووجه قبة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة معها جماعة ليعمي على الناس أمر موسى بن جعفر ع، فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم، فدفعه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر نهاراً علانية حتى غرف ذلك وشاع خبره، فحبسه عيسى في بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه وأقفل عليه، وشغل العبد عنه فكان لا يفتح عنه الباب إلا في حالتين، حالة يخرج فيها إلى الطهور، وحالة يدخل فيها الطعام. قال الرواية: قال أبي: فقال لي الفيض بن أبي صالح، وكان نصراانياً ثم أظهر الإسلام وكان زنديقاً، وكان يكتب لعيسى بن جعفر، وكان بي خاصتاً فقال: يا أبا عبد الله، لقد سمع هذا الرجل الصالح في أيامه هذه في هذه الدار التي هو فيها من

ضرر بـ الفواحش والمناكير ما أعلم، ولا أشك أنه لم يخطر بيـ لهـ قال أبيـ  
وسعـيـ بيـ فيـ تلكـ الأيامـ إلىـ عـيسـىـ بنـ جـعـفـرـ بنـ آـبـيـ جـعـفـرـ عـلـيـ بنـ يـعقوـبـ  
آـبـنـ عـونـ بنـ العـبـاسـ بنـ رـبيـعةـ فيـ رـقـعـةـ دـفـعـهـ إـلـيـهـ أـحـمـدـ بنـ أـسـيدـ حاجـبـ  
عـيسـىـ، قالـ وـكـانـ عـلـيـ بنـ يـعقوـبـ منـ مشـاـيخـ بـنـيـ هـاشـمـ، وـكـانـ أـكـرـهـ سـنـاـ،  
وـكـانـ معـ كـبـرـ سـنـهـ يـشـرـبـ الشـرـابـ وـيـدـعـوـ أـحـمـدـ بنـ أـسـيدـ إـلـيـ مـنـزـلـهـ فـيـ حـتـفـهـ لـهـ  
وـيـأـتـيـهـ بـ الـمـغـنـيـاتـ وـالـمـغـيـاتـ، يـطـمـعـ فـيـ أـنـ يـذـكـرـهـ لـعـيسـىـ، فـكـانـ فـيـ رـقـعـةـ التـيـ  
رـفـعـهـ إـلـيـهـ: إـنـكـ تـقـدـمـ عـلـيـنـاـ مـحـمـدـ بنـ سـلـيـمـانـ فـيـ إـذـنـكـ وـاـكـرـامـكـ، وـتـخـصـهـ<sup>١</sup>  
بـ الـمـسـكـ وـفـيـنـاـ مـنـ هـوـ أـسـنـ مـنـهـ، وـهـوـ يـدـيـنـ بـطـاعـةـ مـوـسـىـ بنـ جـعـفـرـ الـمـجـبـوـسـ  
عـنـدـكـ. قالـ مـحـمـدـ بنـ سـلـيـمـانـ: فـأـنـيـ لـقـائـاـ فـيـ يـوـمـ قـائـظـ إـذـ حـرـكـتـ حـنـقـةـ الـبـابـ  
عـلـيـ، فـقـلـتـ: مـاـ هـذـ؟ـ قالـ لـيـ الـغـلامـ: قـعـنـبـ بـنـ يـحـيـيـ عـلـىـ الـبـابـ. يـقـولـ: لـاـ بـدـ  
مـنـ لـقـائـكـ السـاعـةـ. فـقـلـتـ: مـاـ جـاءـ إـلـاـ لـأـمـرـ، اـذـنـواـنـهـ، فـدـخـلـ فـخـيـرـيـ عـنـ  
الـقـيـضـ بـنـ آـبـيـ صـاحـبـ بـهـذـهـ الـقـصـةـ وـالـرـقـعـةـ. قالـ: وـقـدـ قـالـ لـيـ الـفـيـفـيـ بـعـدـ مـاـ  
أـخـبـرـيـ: لـاـ تـخـبـرـ آـبـاـ عـبـدـ اللهـ فـتـحـزـنـهـ<sup>٢</sup>. فـإـنـ الرـاقـعـ عـنـدـ الـأـمـيـرـ نـمـ يـجـدـ مـسـاخـاـ  
وـقـدـ قـلـتـ لـلـأـمـيـرـ: أـفـيـ نـفـسـكـ مـنـ هـذـاـ شـيـءـ حـنـيـ اـخـبـرـ آـبـاـ عـبـدـ اللهـ. وـيـأـتـيـكـ  
وـيـحـلـفـ عـلـىـ كـلـيـهـ، فـقـالـ: لـاـ تـخـبـرـهـ فـتـغـمـهـ. فـإـنـ بـنـ عـنـهـ إـنـمـاـ حـمـلـهـ عـلـىـ هـذـاـ  
الـحـسـدـ لـهـ. فـقـلـتـ لـهـ: يـاـ آـيـهـ الـأـمـيـرـ، أـنـتـ تـعـلـمـ أـنـكـ لـاـ تـخـلـلـ بـأـحـدـ خـلـيـثـ بـهـ.  
فـهـلـ حـمـلـكـ عـلـىـ أـحـدـ قـطـ؟ـ قالـ: مـعـاذـ اللـهـ، قـلـتـ: فـنـوـ كـانـ لـهـ مـاـ هـبـ يـحـانـفـ  
فـيـهـ النـاسـ لـأـحـبـ أـنـ يـحـمـلـكـ عـلـيـهـ، قـالـ: أـجـلـ، وـمـعـرـفـيـ بـهـ أـكـثـرـ. قـالـ بـيـ:  
فـلـدـعـوتـ بـدـائـتـيـ وـرـكـبـتـ إـلـيـ الـقـيـضـ مـنـ سـاعـتـيـ فـصـرـتـ إـلـيـهـ وـمـعـيـ قـعـنـبـ فـيـ  
الـظـهـيرـةـ فـاسـتـأـذـتـ إـلـيـهـ، فـأـرـسـلـ إـلـيـهـ وـقـالـ: جـعـلـتـ فـدـاـكـ، قـدـ جـلـسـتـ بـجـلـساـ

<sup>١</sup> . بـيـ لـ: تـضـمـنـ بـخـدـ.<sup>٢</sup> . بـيـ لـ: فـتـحـزـنـهـ، وـبـيـرـ عـبـدـ اللهـ هـنـاـ هـمـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـيـمـانـ.

أرفع قدرك عنه، وإذا هو جالس على شرابه، فأرسلت إليه: والله لا بد من لقائك، فخرج إلى في قميص رقيق وإزار مورّد فأخبرته بما بلغني، فقال لقعنب: لا جزيرت خيراً ألم أتقدم إليك أن لا تخبر أبا عبد الله فتغمده! ثم قال أبي: لا بأس، فليس في قلب الأمير من ذلك شيء، قال: فما مضت بعد ذلك إلا أيام يسيرة حتى حمل موسى بن جعفر سراً إلى بغداد وحبس، ثم أطلق ثم حبس، ثم سلم إلى السندي بن شاهك فحبسه وضيق عليه.

وروي أنَّ الوالي العباسي عيسى بن جعفر لما تسلم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بعد إقادمه من المدينة حبسه عنده سنة، وبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض إخوانه وتقاته اللاتين به والناصحين له، فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتب به إليه الرشيد، فنصحوه ونهوه عن ذلك، فأرسل إلى الرشيد يقول: يا أمير المؤمنين، كتبت إليَّ في هذا الرجل، وقد اخترته طول مقامه في حبسه بمن حبسه معه عيناً عليه لينظر دخلته وأمره وطويته ممَّن له المعرفة والدرية، ويجري من الإنسان مجرِّي الدم، فلم يكن منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير، ولم يكن عنده تطلع إلى ولایة، ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمعفورة والرحمة له ولجماعته المسلمين، مع ملازمته للصيام والصلوة العبادة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يعييني من أمره أو يأمر بتسليميه مني لأحد وإن سرت سبيله، فإني في غاية الحرج.

وروي أنَّ شخصاً من بعض العيون التي كانت عليه في السجن رفع إلى

عيسي بن جعفر أَنَّه سمعه يقول في دعائه: اللهم، إِنَّك تعلم أَنِّي كنتُ سأْلُوك  
أَنْ تُفْرِغَنِي لِعِبادَتِكَ، اللَّهُمَّ قَدْ فَعَلْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ. فَلَمَّا بَلَغَ الرَّشِيدَ كِتَابَ عِيسَى  
ابْنِ جَعْفَرٍ كَتَبَ إِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكَ أَنْ يَتَسَلَّمَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام مِنْ  
عِيسَى وَأَمْرِهِ فِيهِ بِأَمْرِهِ.<sup>١</sup> لِتَبْدأَ مَرَاحِلَ جَدِيدَةَ فِي مَعَانِيَهِ عليه السلام مَعَ هَارُونَ  
الرَّشِيدِ.

وَيَرْوَى الشَّيْخُ الْمَفِيدُ عَنْ أَسْبَابِ قِبْضِ السُّلْطَةِ الْعَبَاسِيَّةِ عَلَى الْإِمامِ عليه السلام  
وَوُضُعَهُ فِي غِيَابِ السُّجُونِ أَنَّ الرَّشِيدَ جَعَلَ ابْنَهُ فِي حِجْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ  
ابْنِ الْأَشْعَثِ، فَحَسَدَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ بْنُ بَرْمَكَ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ: إِنْ أَفْضَلَ إِلَيْهِ  
الْخَلَافَةَ زَالَتْ دُولَتِي وَدُولَةِ وَلْدِي، فَاحْتَالَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ يَقُولُ  
بِالْإِمَامَةِ حَتَّى أَدْخِلَهُ وَأَنْسَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَكْثُرُ غَشْيَانَهُ فِي مَنْزِلِهِ فَيَقِفُ عَلَى أَمْرِهِ  
وَيَرْفَعُهُ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِمَا يَقْدِحُ فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ قَالَ يَوْمًا  
لِبَعْضِ ثَقَاتِهِ: أَتَعْرَفُونَ لِي رَجُلًا مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ لَيْسَ بِوَاسِعِ الْحَالِ فَيَعْرَفُنِي  
مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ، فَدَلَّ عَلَى عَلَيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ، فَحَمَلَ إِلَيْهِ  
يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مَالًا، وَكَانَ مُوسَى عليه السلام يَأْنِسُ بْنَ عَلَيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرٍ  
وَيَصْلِهُ وَيَبْرِهُ، ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ يَرْغَبُهُ فِي قَصْدِ الرَّشِيدِ وَيَعْدُهُ  
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، فَعَمِلَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَحْسَنَ بِهِ مُوسَى عليه السلام فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِلَى أَينَ  
يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: إِلَى بَغْدَادِ، قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: عَلَيَّ دِينٌ وَأَنَا مُمْلَقٌ، فَقَالَ  
لَهُ مُوسَى عليه السلام: فَأَنَا أَفْضِلُ دِينِكَ وَأَفْعُلُ بِكَ وَأَصْنَعُ، فَلَمَّا يَلْتَفِتَ إِلَى ذَلِكَ وَعَمِلَ  
عَلَى الْخُرُوجِ، فَاسْتَدْعَاهُ أَبُو الْحَسْنِ عليه السلام وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ خَارِجٌ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا بدَّ  
لِي مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ يَا ابْنَ أَخِي وَاتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُؤْتِمْ أُولَادِي، وَأَمْرَ لَهُ

بثلاث مائة دينار وأربعة آلاف درهم، فلما قام بين يديه قال أبو الحسن عليه السلام: لمن حضره: والله، ليسعين في دمي ولئؤتمن أولادي، فقالوا له: جعلنا الله فداك، فأنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله! قال لهم: نعم، حدثني أبي عن آبائه، عن رسول الله عليه السلام: أنَّ الرَّحْمَ إِذَا قَطَعْتُ فَوْصِلْتُ فَقَطَعْتُ قَطْعَهَا اللَّهُ، وإنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَصْلِه بَعْدَ قَطْعِهِ لِي حَتَّى إِذَا قَطَعْنِي قَطْعَهَا اللَّهُ، فخرج علىَّ بن إسماعيل حتَّى أتى يحيى بن خالد فتعرَّفَ منه خبر موسى بن جعفر عليه السلام، فرفعه إلى الرشيد وزاد فيه، ثمَّ أوصله إلى الرشيد، فسأله عن عمِّه فسعى به إليه وقال: إنَّ الْأَمْوَالَ تُحْمَلُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ، وَأَنَّهُ اشترى ضياعة سماتها اليسيرة بثلاثين ألف دينار فقال له صاحبها، وقد أحضره المال: لا آخذ هذا النقد، ولا آخذ إلا نقد كذا وكذا، فأمر بذلك المال فرداً وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سأله يعينه، فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بمائتي ألف درهم يسبِّب بها على بعض النواحي، فاختار بعض كور المشرق ومضت رسلاً لقبض المال، فدخل في بعض تلك الأيام إلى الخلاء فزَّحَر زحرة خرجت منها حشوته كلها فسقط، وجهدوا في ردها فلم يقدروا فرفع لما به، وجاءه المال وهو ينزع فقال: ما أصنع به وأنا في الموت؟! وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحجَّ وبدأ بالمدينة فقبض فيها على أبي الحسن عليه السلام.

وهناك روايات وحكايات تنسب إلى الإمام عليه السلام في أول لقائه بالرشيد تبدو شخصية الإمام فيها غير واضحة للرشيد، أو كأنه لا يعرفه. ومهما تكن أجواء وظروف اللقاء بينهما، فمثل هذه الروايات لا تخلو من الحقيقة والمعرفة التي

كان عليها أئمَّةُ أهْلِ الْبَيْتِ عليهما السلام قبَّال سلاطين زمانهم، أو طرِيقَة احتجاجهم عليهم، منها رواية رواها الفضل بن الربيع ورجل آخر قالا: حجَّ الرشيد وابتدا بالطواف، ومنعت العامة من ذلك لينفرد وحده، فبيَّنا هو في ذلك إذ ابتدر أعرابيًّا الْبَيْتَ، وجعل يطوف معه، فقال الحاجب: تَنْحَ يَا هَذَا عَنْ وَجْهِ الْخَلِيفَةِ! فانتهُرُوكم الأعرابيَّ وقال: إِنَّ اللَّهَ سَاوَى بَيْنَ النَّاسِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: «سَوَاءُ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ»، فأمرَ الحاجب بالكف عنه، فكلَّما طاف الرشيد طاف الأعرابيُّ أمامه، فنهض إلى الحجر الأسود ليقبنه فسيقه الأعرابيُّ إليه والتشمُّه. ثُمَّ صار الرشيد إلى المقام ليصلُّي فيه فصلَّى الأعرابيُّ أمامه. فلما فرغ هارون من صلاتِه استدعيَ الأعرابيُّ، فقال الحاجب: أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فقال: ما لي إِلَيْهِ حاجةٌ فأقومُ إِلَيْهِ، بل إِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ لِهِ فَهُوَ بِالْقِيَامِ إِلَيْيَّ أَوْلَى. قال الرشيد: صدق، فمشى إِلَيْهِ وسَلَّمَ عَلَيْهِ فرداً فرداً، فقال هارون: أَجْلِسْ يَا أَعْرَابِي؟ فَقَالَ: مَا الْمَوْضِعُ لِي فَتَسْتَأْذِنَنِي فِيهِ بِالْجِلْوَسِ، إِنَّمَا هُوَ بَيْتُ اللَّهِ نَصْبُهُ لِعِبَادِهِ، إِنَّمَا أَحِبُّتُ أَنْ تَنْصَرِفَ فَجِلْسُ هَارُونَ وَقَالَ: وَيَحْكُمْ يَا أَعْرَابِيَّ مِثْلُكَ مِنْ يَزَاحِمِ الْمُلُوكِ! قال: نعم، وفيَّ مستمع. قال: فَإِنِّي سَائِلُكَ إِنْ عَجَزْتَ أَذِيْكَ. قال: سَوْالُكَ هَذَا سَوْالُ مُتَعَلِّمٍ أَوْ سَوْالُ مُتَعَنِّتَ؟ قال: بَلْ سَوْالُ مُتَعَلِّمٍ. قال: أَجْلِسْ مَكَانَ السَّائِلِ مِنَ الْمَسْؤُولِ وَسِلْ وَأَنْتَ مَسْؤُولٌ. فقال هارون: أَخْبِرْنِي مَا فَرَضْتَ؟ قال: إِنَّ الْفَرْضَ رَحْمَكَ اللَّهُ وَاحِدٌ، وَخَمْسَةَ، وَسَبْعَةَ عَشَرَ، وَأَرْبَعَ وَثَلَاثَةِ عَشَرَ، وَأَرْبَعَ وَتَسْعَونَ، وَمَائَةَ وَثَلَاثَ وَخَمْسَونَ، عَلَى سَبْعَةَ عَشَرَ، وَمِنْ اثْنَيْ عَشَرَ وَاحِدًا، وَمِنْ أَرْبَعِينَ وَاحِدًا، وَمِنْ مَائِتَيْنِ خَمْسَ، وَمِنْ الدَّهْرِ كُلِّهِ وَاحِدًا، وَوَاحِدًا بِوَاحِدٍ.

فضحك الرشيد وقال: ويحك سائلك عن فرضك، وانت تعلم على الحساب! قال: ألم علمت أن الدين كلّه حساب، ولو لم يكن الدين حساباً لما اتخذ الله للخلافة حساباً. ثم قرأ «إذْ كَانَ مِقْدَالٌ حَبَّةً مِنْ خَرْدُلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ». قال: فيبين لي ما قلت. إلا أمرت بقتلك بين الصفا والمروءة! فقال الحاجب: تهمه الله ولها المقام، فضحك الأعرابي من قوله، فقال الرشيد: مما ضحكك يا أعرابي؟ قال: تعجب منكم، إذ لا أدرى من الأجهل منكم، الذي يستوهد أحلاماً قد حضر، أو الذي استعجل أبداً لمن يحضر! فقال الرشيد: فسر لي ما قلت. قال: أنت قويوني الفرض واحد: دين الإسراء: نه واسد، وعليه خمس صلوات، وهي سبع عشر ركعة، وأربع وثلاثون سجدة، وأربع وتسعون تكبيرة، ومائة وثلاث وخمسون تسبحة، وأما قوله: من الشيء عشر واحد، فصيام شهر رمضان من الشيء عشر شهراً، وأما قوله: من الأربعين واحد، فمن ملك أربعين ديناراً أو جب الله عليه ديناراً، وأما قوله: من مائتين خمسة، فمن ملك مائتي درهم أو جب الله عليه خمسة دراهم، وإنما قوله: فمن الدهر كله واحد، فحججة الإسلام، وأنا فبي: واحد من واحد، فمن أهرق دمه من سر حق، وجب إهراق دمه، قال: له تعالى: «النَّفَسُ بِالنَّفْسِ»<sup>١</sup>. فقال الرشيد: به ذرك! واعطاه بدراة، فقال: فيم استوجبت منك هذه البدرة يا هارون، بالحلام أو بالمسألة؟ قال: بالكلام، قال: فلأني سائلك عن مسألة، فإن أتيت بها كانت البدرة لك تصدق بها في هذا الموضوع الشريف، وإن لم تجيئني عنها أضفت إلى البدرة بدرة أخرى لأن تصدق بها على فقراء الحي من قومي، فأمر بإبراد أخرى وقال: سل عمنا بدا لك، فقال: أخبرني عن الخمساء ثرق أم ترخص

١- الأبيه: ٧٤.

٢- المسند: ٤٥.

ولدها؟ فخرد هارون وقال: ويحك يا أعرابي، مثلـي مـن يـسـأـلـ عنـ هـذـهـ المسـأـلـةـ! فـقـالـ: سـمـعـتـ مـمـنـ سـمـعـ منـ رـسـوـلـ اللهـ يـقـولـ: مـنـ وـلـيـ أـقـوـاماـ وـهـبـ لـهـ مـنـ عـقـولـهـمـ، وـأـنـتـ إـمـامـ هـذـهـ الـأـمـمـ يـحـبـ أـنـ لـاـ تـسـأـلـ عنـ شـيـءـ، مـنـ أـمـرـ دـيـنـكـ وـمـنـ الـفـرـايـضـ، إـلاـ أـجـبـ عـنـهـاـ، فـهـلـ عـنـدـكـ لـهـ الـجـوابـ؟ـ قالـ هـارـونـ: رـحـمـكـ اللـهـ لـاـ، فـبـيـنـ لـيـ ماـ قـلـتـهـ وـخـذـ الـبـدـرـتـيـنـ، فـقـالـ: إـنـ اللـهـ تـعـالـىـ لـمـاـ خـلـقـ الـأـرـضـ خـلـقـ دـبـابـاتـ الـأـرـضـ، الـذـيـ مـنـ غـيرـ فـرـثـ وـلـاـ دـمـ، خـلـقـهـاـ مـنـ التـرـابـ، وـجـعـلـ رـزـقـهـاـ وـعـيـشـهـاـ مـنـهـ، فـإـذـاـ فـارـقـ الـجـنـينـ أـمـهـ لـمـ تـزـقـهـ وـلـمـ تـرـضـعـهـ، وـكـانـ عـيـشـهـاـ مـنـ التـرـابـ. فـقـالـ هـارـونـ: وـالـلـهـ مـاـ اـبـتـلـيـ أـحـدـ بـمـثـلـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ، وـأـخـذـ الـأـعـرـابـيـ الـبـدـرـتـيـنـ وـخـرـجـ، فـتـبـعـهـ بـعـضـ النـاسـ وـسـأـلـهـ عـنـ اـسـمـهـ، فـإـذـاـ هـوـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـحـمـدـ<sup>عليهم السلام</sup>ـ، فـأـخـبـرـ هـارـونـ بـذـلـكـ، فـقـالـ: وـالـلـهـ، لـقـدـ كـانـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـوـنـ هـذـهـ الـوـرـقـةـ مـنـ تـلـكـ الشـجـرـةـ.<sup>١</sup>

وـإـقـرـارـ الرـشـيدـ بـهـذـاـ الـبـيـتـ الـذـيـ مـيـزـهـ الرـبـ عنـ سـائـرـ الـعـبـادـ بـالـمـعـرـفـةـ وـالـعـلـمـ وـالـصـلـاحـ، لـمـ يـكـنـ مـانـعـاـ أوـ حـاجـزاـ لـهـ مـنـ أـنـ يـنـازـلـهـ أوـ يـدـفـعـهـ إـلـىـ أـيـديـ السـجـانـيـنـ، لـيـمـنـعـهـ مـنـ أـنـ يـهـدـيـ النـاسـ أوـ يـتـصـلـ بـالـمـؤـمـنـيـنـ مـنـ عـبـادـهـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـحـاجـةـ لـعـلـمـهـ وـنـورـهـ وـهـدـاهـ، وـلـكـنـ الرـشـيدـ تـمـادـيـ فـيـ غـيـرـهـ وـزادـ فـيـ قـيـودـهـ الـتـيـ وـضـعـهـ عـلـىـ بـدـنـهـ الـطـاهـرـ لـيـمـنـعـهـ مـنـ أـنـ يـتـحـرـكـ حـتـىـ دـاـخـلـ طـامـورـتـهـ السـوـدـاءـ، فـبـعـثـ مـوـسـىـ<sup>عليه السلام</sup>ـ مـنـ حـبـسـهـ بـرـسـالـةـ قـالـ فـيـهـاـ لـهـ: إـنـهـ لـنـ يـنـقـضـيـ عـنـيـ يومـ مـنـ الـبـلـاءـ إـلـاـ انـقـضـيـ عـنـكـ مـعـهـ يـوـمـ مـنـ الرـخـاءـ، حـتـىـ نـقـضـيـ جـمـيعـاـ إـلـىـ يـوـمـ لـيـسـ لـهـ اـنـقـضـاءـ يـخـسـرـ فـيـهـ الـمـبـطـلـوـنـ.<sup>٢</sup>

١ـ بـحـارـ الـأـنـوـارـ ٤٨ : ١٤١ - ١٤٣.

٢ـ تـذـكـرـةـ الـخـواـصـ لـسـيـطـ بـنـ الـجـوـزـيـ ٣١٤ـ، بـحـارـ الـأـنـوـارـ ٤٨ : ١٤٨ـ.

## الإمام موسى بن جعفر بين يدي المحراب

لم يكن السجن الذي أُقْيِي فيه الإمام عليه السلام سجناً بما يتعارف عليه الناس، بل هو بيت للاعتكاف والتعبد والذكر. وأهل الحقيقة والطريقة ترى عيونهم ما لا ترى عيون السجانين وسائر البشر، فالسجن يتبدل وينكشف إلى جنة لهم، سواء كان هذا التبدل في عيون الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أو في عيون الأولياء الذين اختاروا طريق الطاعة والعبودية والرضى بأمره وقضائه، وإنما السجن هو سجن للعاديين من الناس الذين احتجوا عن الحقيقة بذنبهم، أما بالنسبة للأولياء فهو مسجد ومحراب تنطلق فيه تسبيحهم وتراتيلهم؛ وتنساب فيه دموعهم محبةً وخشاً<sup>١</sup>. بل إنَّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كان

١- كان الإمام عليه متذنعة أطفاره ينقطع عن هذا العالم ويغيب عنه في لحظات خشوعه وسجوده وتسبيحاته، فقد روى الشيخ المفيد عن محمد بن مسلم قال: دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: إبْنِي رأيْتِ إبْنِكَ موسى يصَلِّي وَالنَّاسُ يَمْرُونَ بَيْنَ يَدِيهِ فَلَا يَنْهَاهُمْ. وفيه ما فيها فقال أبو عبد الله عليه السلام: أدعُ لِي موسى. فلما جاءه قال: يا بني، إنَّ أبا حنيفة يذكر أئمَّةَ تَصْلِي وَالنَّاسُ يَمْرُونَ بَيْنَ يَدِيهِ فَلَا يَنْهَاهُمْ! قال: نعم يا أبا، إنَّ الَّذِي كُنْتَ أَصْلِي لَهُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْيَّ مِنْهُمْ. يقول الله تعالى: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَزِيدِ» ق: ١٦. قال: ففسنه

يطلب من الله أن يمنحه فسحة من الزمن في هذه الدنيا لكي يتقطع فيها إلى العبادة والسجود والدعاء والمناجاة، فقدر الله له هذا في السينين الأخيرة من عمره المبارك فكان رهين التراب والوحدة والأحجار والأبواب المغلقة بالسلاسل والحديد التي كانت تسع بتسبيحه وترسفه وتتحنّ لأنيفاته ودعائه الذي يمكّن سكون الليل وسجوه. وروي أن بعض عيون عيسى بن ححف سمعه يقول، في دعائه وهو محروس عنده: اللهم، إنك تعلم أني كنت أسألك أن تُغْلِي لعائذك، اللهم وقد فعلت ذلك الحمد. وكان عليه السلام يصلي سرفال الليل - يصليها صلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس. ويحرّر الله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس. والسجن الذي كان يلقى فيه الإمام عليه السلام، مهما أظلم أو أضاء، كان عليه السلام - ب بصيرته الخارقة للخچب ورؤياه التي يكتشف فيها له كل شيء - بمثابة بقعة من يقانع الجنّة ينادي فيها ربه ويعبده. ولكن لم ولن تكتشف هذه الجنّة أو يدرك الرائي منها ياه الإمام عليه السلام أتوا العلم وأقيمت لهم بعض الأسرار. وربما نصل بنتيجة إلى أفراد كانوا معدودين من رواة أحاديثهم وأخبارهم عليه السلام، وقد يكون بعض من رواة معجزات الأنسمة ودلائلهم رأوا بعضاً أو لمحـة من ذلك بما كشف لهم: فقد روى الطبرـي عن علـمة بن شـريك بن أـسلم، عن مـوسـى بن هـامـان قـالـ: رأـيـتـ مـوسـى بن جـعـفـرـ عليه السلام فـي

.....

أبو عبد الله عليه السلام إلى نفسه و قال: يا أبي أنت وأمي يا مودع الأسرار، الاختصاص <sup>١٨٩</sup>، وروي أبو هريرة بن أبي عبد الله قيل: قال لي أبو الحسن عليه السلام: إني أستغفر الله في كل يومخمسة آلاف مرة الزهراء تمحضون يوماً مساعداً <sup>N</sup>

١- مناقب آن، ابن سنان لابن شهر آشوب ٣١٨.

٢- الأرشاد لشيخ الشهداء ٢٩٦.

حبس الرشيد وتنزل عليه المائدة من السماء وينطعم أهل السجن كلهم ثم يصعد بها من غير أن ينقص منها شيء . ومن هذا يروى أن الرشيد أنفذ مع خادم له إلى موسى بن جعفر عليه السلام جارية خصيفة، لها جمال ووضاءة، لخدمته في السجن فقال عليه السلام: قل له: «بَلْ أَنْتُ بِهَدِّيْكُمْ تَفْرَخُونَ» . لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها، فاستطار الرشيد هارون غضباً وقال : ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخدمناك، واترك الجارية عنده وانصرف. فمضى ورجع، ثم قام هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها، فرأها ساجدة لربها لا ترفع رأسها تقول: قد توسل سبحانك سبحانك! فقال هارون: سحرها - والله - موسى بن جعفر بسحرها! على بها، فأتي بها وهي ترعد شاحصة نحو السماء بصرها، فقال: ما شأنك؟ قالت: شأنني الشأن البديع، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلي ليه ونهاره، فلما انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبح الله ويقدسه قلت: يا سيدي، هل لك حاجة أعطيكها؟ قال: وما حاجتي إليك! قلت: إني أدخلت عليك لحوائجك. قال: فما بال هؤلاء؟! قالت: فالتفت فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري ولا أولها من آخرها، فيها مجالس مفروشة باللوثي والديباج، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجههم حسناً، ولا مثل لباسهم لبساً، عليهم الحرير الأخضر، والإكليل والدر والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل، ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى أقامتني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت. فقال هارون: ياخبيته، لعلك سجدت فنمـت فرأيت هذا في منامك! قالت: لا - والله - يا سيدي إلا قبل سجودي رأيت فسجدت من أجل ذلك. فقال

الرشيد: أقبض هذه الخبيثة إليك فلا يسمع هذا منها أحد. فأقبلت في الصلاة، فإذا قيل لها في ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح <sup>عليه السلام</sup>. فسئللت عن قولها قالت: إنّي لِمَا عَانِتْ مِنَ الْأَمْرِ نَادَتِنِي الْجَوَارِيِّ: يَا فَلَانَةً، ابْعَدِي عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ حَتَّى نَدْخُلَ عَلَيْهِ فَنَحْنُ لَهُ دُونَكَ، فَمَا زَالَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَتْ، وَذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى <sup>عليه السلام</sup> بِأَيَّامٍ يَسِيرَةً.

إنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ سَرِّ لِهَنْئَةِ وَطَوعِ بَنَانَهُ، حَتَّى تَرَابُ الطَّبِيعَةِ وَرِمَالُهَا تَجْرِي طَائِعَةً بَيْنَ يَدِيهِ، وَقَدْ رَأَى شَقِيقُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْبَلْخِيَّ <sup>الأَحْجَارَ وَالْمَاءَ وَالرِّمَالَ</sup> مَأْمُورَةً بَيْنَ يَدِيهِ تَشَكَّلُ بِإِرَادَتِهِ، فَقَالَ يَرْوِي لِقَاءَهُ بِمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ <sup>رض</sup>: خَرَجْتُ فِي سَنَةِ تَسْعَ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَزِلْتُ الْقَادِسِيَّةَ، فَبَيْنَا أَنَّا نَظَرْنَا إِلَى النَّاسِ فِي زِيَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ، فَنَظَرْتُ إِلَى فَتَنِي حَسْنِ الْوَجْهِ شَدِيدِ السُّمْرَةِ يَعْلُو فَوْقَ ثَيَابِهِ ثَوْبٌ مِنْ صَوْفٍ مَشْتَمِلٌ بِشَمْلَةٍ، فِي رِجْلِيهِ نَعْلَانٌ وَقَدْ جَلَسَ مُنْفَرِداً، فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي: هَذَا الْفَتَنَى مِنَ الْصَّوْفَيَّةِ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ كَلَّا عَلَى النَّاسِ فِي طَرِيقِهِمْ! وَاللَّهُ لَأُمْضِيَنَ إِلَيْهِ وَلَا أُبَيْخَهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبَلاً قَالَ: يَا شَقِيقَ، «اجْتَبِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ».<sup>٢</sup> ثُمَّ تَرَكَنِي وَمُضِيَّ، فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي: إِنَّ هَذَا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، قَدْ تَكَلَّمُ عَلَى مَا فِي نَفْسِي وَنَطَقَ بِاسْمِي، وَمَا هَذَا إِلَّا عَبْدٌ صَالِحٌ، لَأَلْحَقَنَهُ وَلَأَسْأَلَنَهُ أَنْ يَحَالَنِي، فَأَسْرَعْتُ فِي أَثْرِهِ فَلَمْ أَحْقَهُ وَغَابَ عَنِّي. فَلَمَّا نَزَلْنَا وَاقِصَّةً إِذَا بِهِ يَصْلَى وَأَعْصَاؤُهُ

١- بحار الأنوار ٤٨: ٢٣٩ - ٢٣٩

٢- شقيق بن إبراهيم بن عني الأزدي البليخي، أبو علي زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان، ولعله أول من تكلم في علوم الأحوال الصوفية بكتور خراسان استشهد بغزوة كولان بما وراء النهر سنة أربع وخمسين ومائة. أعلام الرزكلي ٣: ١٧٦.

تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبِي أمضى إليه واستحلَّه، فصبرت حتى جلس وأقبلت نحوه، فلما رأني مُقبلًا قال: يا شقيق، أتل: «وَإِنِّي لِغَافَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى». ثمَّ تركني ومضى، فقلت: إنَّ هذا الفتى من الأبدال، وقد تكلَّم على سرِّي مرَّتين. فلما نزلنا رمالاً إذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة ي يريد أن يستقي ماء، فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه، فرأيته قد رَمَق السماء وسمعته يقول:

أنتَ رَبِّي إِذَا ظَمِيَّتِ مِنَ الْمَاءِ، وَقُوْتِي إِذَا أَرَدْتَ الطَّعَامَ

اللَّهُمَّ مَا لِي سُواهَا، فَلَا تَعْذِّبْنِيهَا. قال شقيق: فوالله، لقد رأيتَ البشر قد ارتفع ماؤها، فمذَّ يده فأخذ الركوة وملأها ماءً وتوضأَ وصلَّى أربع ركعات. ثمَّ مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة وبحركه ويشرب، فأقبلت إليه وسلمت عليه، فرَدَّ على السلام، فقلت: أطعمْتني من فضلي ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعمَة الله علينا ظاهرة وباطنة، فأشرينْ طَبَكْ بِرَبِّكْ. ثمَّ ناوَلَني الركوة فشربت منها فإذا سويقْ وسَكَرْ، فوالله ما شربتُ قطَّ أَذْدَّ منه ولا أطيبَ ريحًا منه، فشبعت ورويت. فأقمت أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا. ثمَّ لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيته ليلةً إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم ينزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح الله، ثمَّ قام فصلَّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً، وخرج فتَّبعَه فإذا له حاشية ومتواط وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلِّمونَ عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرُّب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر

٣٠٦ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

ابن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهما. فقلت: قد عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيد <sup>ر</sup>.

وإذا كان شقيق قد رأى بعض الكرامات للإمام عليه السلام فإن رجال الدولة العباسية الذين أذهلتهم وشدّدّتهم الدنيا كانوا يبصرون هذا الإمام وما أحاط به من مكان وزمان بعين محظوظة محدودة، فيتجلى السجن لأبصرهم بجدرانه وقيوده. وكان عليه السلام مع هذا الظلام والبعد القسري عن حياة الناس ويومياتهم فهو يراهم ويعلم ما سيجري لهم في قابل أيامهم. من هذا ما رواه العلامة ابن الصباغ المالكي عن حال واحد من سجانيه، قال: لما خبس هارون موسى الكاظم عليه السلام دخل عليه السجن ليلاً أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني صاحبا أبي حنيفة، فقال أحدهما للأخر: نحن على أحد الأمرين، إما أن نساويه أو نشكّله؛ فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظروا مكانه من العلم، فجاءه بعض الموكّلين بالكاظم عليه السلام فقال له: إنّ نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف إلى غد إن شاء الله، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها معي إذا جئتكم غداً، فقال عليه السلام: ما لي حاجة انصرف. فلما أن خرج قال عليه السلام لأبي يوسف ومحمد بن الحسن: إني لأعجب من هذا الرجل، يسألني أن أكلّفه حاجة يأتيني بها غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة! فأمسكنا عن سؤاله وقاما ولم يسألوا عن شيء، وقالا: أردنا أن نسأله عن الغروض والستة، أخذ يتكلّم معنا علم الغيب! والله لنرسل خلف الرجل من بيته عند باب داره وننظر ما يكون من أمره! فarsiلا شخصاً من جهتهمما جلس على باب ذلك الرجل، فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والواعية، فقيل

الإمام موسى بن جعفر بين يدي المحراب ٣٠٧

لهم: ما الخبر؟ فقالوا: مات صاحب البيت فجأة، فعاد إليهم الرسول وأخبرهما بذلك، فتعجبوا من ذلك غاية العجب.

ومع هذا الظلام الدامس الذي ملا عيون رجال السلطة العباسية، أبهرت بعضهم لحظات السجود والخشوع والافتتاح على عالم الغيب الروحاني الملكوتي النوراني الذي كانت أنفاسه تسريح فيه، وتهوّم روحه طاعة وشكراً وامتناناً وعرفاناً لله عزّ وجلّ، فيبهرون ويشير لدفهم شئ الأحساس والعواطف، ومن هذا يروي الشيخ الصدوق بإسناده عن محمد بن عيسى اليقطيني عن أحمد بن عبد الله الغروري، عن أبيه قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جائس على سطح فقال: أذن، فذلت حتى حاذته، ثم قال لي: أشرف إلى البيت في الدار، فأشرفت فقال: ما ترى في البيت؟ قلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً فتأملت ونظرت فتيقنت، فقلت: رجل ساجد، فقال لي: تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا مولاك، قلت: ومن مولاي؟ فقال: تتجاهل على؟ فقلت: ما تتجاهل، ولكنني لا أعرف لي موى، فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر، أي أتفقده الليل والنهار فلم احده في وقت من الأوقات إلا على الحال التي أخبرك بها، أنه يصلى الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته التي أن تطلع الشمس ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكل من يترصد الزوال، فلست أدرى متى يقول الغلام قد زالت الشمس إذ يشب فييتادي بالصلوة من غير أن يجدد وضوء، فأعلم أنه لم يتم في سجوده ولا ألغى، فلا يزال كذلك إلى أن يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلى العصر سجد سجدة، فلا يزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس

وَثَبَ مِنْ سُجْدَتِهِ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْدَثَ حَدِيثًا، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاتِهِ وَتَعْقِيبِهِ إِلَى أَنْ يَصْلِي الْعَتَمَةِ، فَإِذَا صَلَّى الْعَتَمَةَ أَفْطَرَ عَلَى شَوَّىٰ يُؤْتَى بِهِ، ثُمَّ يَجْدَدُ الْوَضْوَءَ ثُمَّ يَسْجُدُ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ فَيَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ يَقُومُ فِي جَدَدِ الْوَضْوَءِ ثُمَّ يَقُومُ، فَلَا يَزَالُ يَصْلِي فِي جَوْفِ الْلَّيلِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَلَسْتُ أَدْرِي مَتَى يَقُولُ الْغَلَامُ: إِنَّ الْفَجْرَ قَدْ طَلَعَ إِذْ قَدْ وَثَبَ هُوَ لِصَلَاتِ الْفَجْرِ، فَهَذَا دَأْبُهُ مِنْذُ حَوْلٍ. فَقَالَ: أَتَقَ اللهُ وَلَا تُحَدِّثُ فِي أَمْرِهِ حَدِيثًا يَكُونُ مِنْهُ زَوَالُ النِّعَمَةِ، فَقَدْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ بِأَحَدٍ سَوْءًا إِلَّا كَانَتْ نَعْمَتُهُ زَائِلَةً. فَقَالَ: قَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْيَّ فِي غَيْرِ مَرَّةٍ يَأْمُرُونِي بِقَتْلِهِ فَلَمْ أَجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ، وَأَعْلَمُهُمْ أَنِّي لَا أَفْعُلُ ذَلِكَ وَلَوْ قَتَلُونِي مَا أَجْبَتُهُمْ إِلَى مَا سَأَلُونِي. فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ ذَلِكَ حَوْلُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى الْبَرْمَكِيِّ، فَجُبِسَ عَنْهُ أَيَّامًا، فَكَانَ الْفَضْلُ ابْنُ الرَّبِيعِ يَبْعَثُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَائِدَةً، وَمَنْ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ عَنْدِ غَيْرِهِ، فَكَانَ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَفْطَرُ إِلَّا عَلَى الْمَائِدَةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا، حَتَّى مَضَى عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلِيَالِيهَا، فَلَمَّا كَانَتِ الْلَّيْلَةُ الْرَّابِعَةُ قَدِمَتْ إِلَيْهِ مَائِدَةُ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، قَالَ الرَّاوِيُّ: وَرَفَعَ عليه السلام يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: يَا رَبَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ

١- خَل: مشوي.

٢- وَجَاءَ فِي خَبْرِ أَسْنَادِهِ الصَّدِيقِ إِلَى حَاشِيَةِ الرَّشِيدِ أَنَّ لِإِلَامَ عليه السلام بَضَعُ عَشَرَةِ سَنَةٍ كُلَّ يَوْمٍ سَجَدَهُ بَعْدَ انْقِضَاضِ (خَل: ابْيَضَاض) الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ، فَكَانَ هَارُونَ رَبِّهَا ضَعْدَ سَطْحًا يُشَرِّفُ مِنْهُ عَلَى النَّجْسِ الَّذِي خَبَسَ فِيهِ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام فَكَانَ يَرَى أَبَا الْحَسَنَ عليه السلام ساجِدًا، فَقَالَ لِرَبِيعٍ: يَا رَبِيعَ، مَا ذَاكَ التَّوْبَ الَّذِي أَرَاهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ؟! فَقَالَ الرَّبِيعُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا ذَاكَ بِثُوبٍ، رَبِّيْمَا هُوَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام لَهُ كُلَّ يَوْمٍ سَجَدةً بَعْدَ طَلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الزَّوَالِ، قَالَ الرَّبِيعُ: فَقَالَ لِي هَارُونَ: أَمَا إِنَّ هَذَا مِنْ رَهْبَانَ بَنِي هَاشِمَ: قَنْتُ: فَمَا تَنَكَّ ضَيَّقْتَ عَلَيْهِ فِي الْجَبَسِ؟ قَالَ: هَيَاهَا لَا يَدْرِي مِنْ ذَلِكَ عَيْوَنُ أَخْبَارَ الرَّضَا ١:

أني لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنلت على نفسي، فأكل فممرض، فلما كان من غد بعث إليه بالطبيب ليسأله عن العلة، فقال له الطبيب: ما حالك؟ فتعاير عنده، فلما أكثر عليه أخرج إليه راحته فأرهاه الطبيب، ثم قال: هذه علتي، وكانت خُضرة وسط راحته تدل على أنه سُم فاجتمع في ذلك الموضع، فانصرف الطبيب إليهم وقال: والله فهو أعلم بما فعلتم به منكم، ثم توفي.

وللصدقوق رواية أخرى عن عمر بن واقد قال: إنَّ هارون الرشيد لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر عليه السلام وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واحتلافهم في السر إلىه بالليل والنهار خشية على نفسه وملكته، ففكر بقتله بالسم، فدعى بربطة وأكل منه، ثم أخذ صينية فوضع عليها عشرين رطبة، وأخذ سلكاً فعركه في السم وأدخله في سُمِّ الْخِيَاط، فأخذ رطبة من ذلك الرطب فأقبل يردد عليها ذلك السم بذلك الخيط حتى قد علم أنه قد

---

١- أماللي الصدقوق ١٤٦. يبدو من التأمل في محمل الأخبار أنه لم يكن هناك من كان مستعداً لأن يقوم بدور القاتل للإمام موسى بن جعفر عليه السلام في أول إزادة للرشيد، فيروي المجلسي عن بعض المؤلفات أنَّ الرشيد لما أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عرض قته على سائر جنده وفرسانه فلم يقبنه أحد منهم، فأرسل إلى عماله في بلاد الأهرنج يقول لهم: التمسواني قوماً لا يعرفون الله ورسوله، فإني أريد أن استعين بهم على أمر، فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من الإسلام ولا من لغة العرب شيئاً. وكانوا حمسين رجلاً. فلما دخلوا إليه أكرهم وسائلهم: من ربكم، ومن نبيكم؟ فقالوا: لا نعرف لربنا ولا نبياً أبداً فادخلهم البيت الذي فيه الإمام عليه السلام ليقتلوه، والرشيد ينظر إليهم من روزنة البيت، فلما رأوه رموا أسلحتهم وارتعدت فرائصهم وخروا سجدةً ي يكون رحمة له، فجعل الإمام يمر بيده على رؤوسهم ويتحاطبهم بلغتهم وهم يبكون، فلما رأى الرشيد ذلك خشي الفتنة وصاح بوزيره: أخرجهم، فخرجوه وهم يمشون詁هقىإجلالاً له. وركعوا خيولهم ومضوا نحو بلادهم من غير استثناء. بحار الأنوار ٤٨: ٢٤٩.

حصل السُّمْ فيها، فاستكثَرَ منه ثُمَّ رَدَهَا في ذلك الرُّطْبِ، وَقَالَ لِخَادِمِهِ: احْمَلْ هَذِهِ الصَّيْنِيَّةَ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ وَقُلْ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الرُّطْبِ وَتَنَعَّصَ لَكَ مَا بِهِ، وَهُوَ يَقْسِمُ عَلَيْكَ بِحَقِّهِ لِمَا أَكَلْتَهَا عَنْ آخَرِ رُطْبَةِ، فَإِنَّي أَخْتَرْتُهَا لَكَ بِيَدِي، وَلَا تُنْزِلْهُ بِيَقْبِيلِيَّةِ، إِنَّمَا أَكَلْتُهَا عَنْ آخَرِ رُطْبَةِ، فَأَتَاهَا بِهَا الْخَادِمُ وَأَبْلَغَهُ الرِّسَالَةَ، فَقَالَ [رسالة]: إِيَّتِي بِخَلَالِهِ، فَنَأَوَهُ خَلَالًا وَقَامَ بِيَازِانَهُ وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ الرُّطْبِ، وَكَانَتْ لِرَشِيدِ كُلُّبَةً شَعَرَ عَلَيْهِ فَجَسَسَ فِيهَا وَحْرَجَتْ تَحْرِجَ سَلَاسِلَهَا مِنْ ذَهَبِ وَجْهِهِ حَتَّى حَادَتْ مُوسَى بْنُ جَعْفَرَ [رسالة]، فَبَادَرَ بِالْخَلَالِ إِلَى الرُّطْبَةِ الْمَسْمُومَةِ وَرَمَى بِهَا إِلَى الْكَلْبَةِ فَأَكَلَهَا، فَلَمْ تَلِثْ أَنْ ضَرَبَتْ بِنَفْسِهَا الْأَرْضَ وَغَوَتْ وَتَهَرَّتْ قَطْعَةً قَطْعَةً، وَاسْتَوْفَى عَلَيْهَا باقيَ الرُّطْبِ، وَحَمَلَ الْغَلامُ الصَّيْنِيَّةَ حَتَّى صَارَ بِهَا إِلَى الرُّشِيدِ، فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَكَلَ الرُّطْبَ عَنْ آخِرِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: مَا أَنْكَرْتُ مِنْهُ شَيْئاً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ وَرَدَ عَلَيْهِ خَبْرُ الْكَلْبَةِ بِأَنَّهَا قَدْ تَهَرَّتْ وَمَاتَتْ، فَقَلَّقَ الرُّشِيدُ لِذَلِكَ قَلْقَلَ شَدِيداً وَاسْتَعْظَمَهُ، وَوَقَفَ عَلَى الْكَلْبَةِ فَوَجَدَهَا مَتَهِرَةً بِالسُّمِّ، فَأَحْضَرَ الْخَادِمَ وَدَعَا بِنْطَعِ وَسِيفٍ وَقَالَ لَهُ: لَتَصْدِقَنِي عَنْ خَبْرِ الرُّطْبِ أَوْ لَا فَتَنِّنِي، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّي حَمَلْتُ الرُّطْبَ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ وَأَبْلَغْتُهُ سَلَامَكَ، وَقَمَتْ بِيَازِانَهُ، وَطَلَبَ مِنِّي خَلَالاً فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ يَغْرِزُ فِي الرُّطْبَةِ بَعْدِ الرُّطْبَةِ وَيَأْكُلُهَا حَتَّى مَرَّتِ الْكَلْبَةُ فَغَرَزَ الْخَلَالُ فِي رُطْبَةِ مِنْ ذَلِكَ الرُّطْبِ فَرَمَى بِهَا فَأَكَلَهَا الْكَلْبَةُ وَأَكَلَهُ بَاقِي الرُّطْبِ، فَكَانَ مَا تَوَرَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَقَالَ الرُّشِيدُ: مَا رَبَحْنَا مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّا أَطْعَمْنَاهُ جَنِيدَ الرَّعْبِ وَضَيَّعْنَا سَمَانَا وَقَتَنَا كَلْبَتَنَا، مَا فِي مُوسَى بْنِ جَعْفَرَ

حيلة!

لقد كان السجن والقيد قدر الإمام عليه السلام مع هارون الرشيد، فحين يعجز عن قتله، أو يتزدد في ذلك، أو لا يشاركه أحد في تنفيذ هذه الجريمة يتوجه إلى الظلام والحديد ليجد في نفسه لذة ونشوة تصاعد مع حلقة وسoward الظلام، ونار الحديد اللافح لعلها تطفئ سعير حسه وغطيته على الإمام عليه السلام، وخصوصاً حين يراه وحده يتنفس وسط الظلام الحالك وهو يتقلب في زنزانته بين وهج النار وحرارة القيظ اللافحة، وبين البرودة الفارضة للبدن التي يداولها هارون له مع فصول السنين التي قضتها في طوامير بغداد وحفرها الموحشة التي لم تر الشمس والضوء. وحين ينأى هارون عن شمس بغداد اللافحة يتزور في بساتين الشام ورياضها، ليتخد من مدينة الرقة مصيفاً يظلل بدنـه الناعم ليزداد بضاعة ونعومة، لكنه لم يشا أن ينسى موسى عليه السلام، أو يدعـه يتتسـمـ من نسيـمـ بغداد. ويروى أنه لما أمر بتسليمـه إلى الفضل بن يحيـيـ جعلـهـ في بعض دورـهـ ووضعـهـ عليهـ الرصدـ، فكانـ مشغولاًـ بالعبادةـ، يُحيـيـ الليلـ كلـهـ صلاةـ وقراءةـ القرآنـ وبصومـ التهـارـ فيـ أكثرـ الأيامـ، ولاـ يصرفـ وجهـهـ عنـ المحـارـبـ. فوسـعـ عليهـ الفـضلـ بنـ يـحيـيـ وأـكرـمهـ، فبلغـ ذلكـ الرـشـيدـ وهوـ بالـرـقةـ، فـكـتبـ إـلـيـهـ يـأـمـرـهـ بـقتـلـهـ، فـتـوقـفـ عـنـ ذـلـكـ فـاغـتـاظـ الرـشـيدـ لـذـلـكـ وـتـغـيـرـ وـأـمـرـ بـهـ فـوـضـعـ، فـأـدـخـلـ عـلـىـ العـنـاسـ بنـ مـحـمـدـ وـجـرـدـ وـضـربـ مـائـةـ سـوـطـ، وـأـمـرـ بـتـسـليمـ مـوسـىـ بنـ جـعـفـرـ عليه السلام إلىـ السـنـديـ بنـ شـاهـكـ. وـبـلـغـ يـحيـيـ بنـ خـالـدـ الـخـبـرـ فـرـكـبـ إـلـىـ الرـشـيدـ وـقـالـ لـهـ: أـنـاـ أـكـفـلـ بـمـاـ تـرـيدـ، ثـمـ خـرـجـ إـلـىـ بـغـدـادـ وـدـعـاـ بـالـسـنـديـ وـأـمـرـ فـيـهـ بـأـمـرـهـ، فـأـمـتـلـهـ وـسـمـهـ فـيـ طـعـامـ قـدـمـهـ إـلـيـهـ. وـيـقـالـ: إـنـهـ جـعـلـهـ

في رطب مسموم، ولبث بعده موعوداً ثلاثة أيام، ومات في اليوم الثالث<sup>١</sup>، وهو الخامس والعشرون من رجب، كما هو مشهور ومتداول، وذكره الشيخ الطوسي<sup>٢</sup>. وبرواية الشيخ المفيد هو لستَ بقين من رجب من سنة ثلاث وثمانين ومائة<sup>٣</sup>. وفي رواية أخرى له: قُبض عليه السلام في اليوم الخامس والعشرين منه سنة ثمان وثمانين ومائة من الهجرة<sup>٤</sup>. وهناك قول نقله الشهيد محمد بن مكى العاملى بأنَّ الإمام عليه السلام قُبض في يوم الجمعة لخمس خلدون من رجب سنة إحدى وثمانين ومائة<sup>٥</sup>، وقيل: توفى سنة ستَ وثمانين<sup>٦</sup>. وفي رواية التوبختي: قبض عليه السلام لخمس ليالٍ بقين من رجب، وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة<sup>٧</sup>. ودفن في مقابر قريش. ويقال في رواية أخرى آنه دفن بقيوده وأنَّه أوصى بذلك<sup>٨</sup>.

١- إعلام الورى بعلام الهدى ٢٠٠

٢- ينظر: مصباح المتهدى ٨١٢

٣- المقنية ٤٧٦.

٤- مسال الشيعة، المطبوع ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة ٦٠. ونعلمُ هذا التاريخ يناسب ما ذكره الشيخ الطبرسي من أنَّ الإمام عليه السلام كان محبوساً في أيام إمامته من جهة الرشيد عشر سنتين وشهراً وأياماً. تاج المولى ٩٦.

٥- الدروس الشرعية في فقه الإمامية ٢: ١٨.

٦- الأئمة الاثنا عشر لشمس الدين محمد بن طولون ٩٣.

٧- وجاء في رواية أنَّ سَنَةَ عَيْشَةَ عِنْدَ وفاته ثمان وخمسون سنة. تاريخ العقوبي ٢: ٤١٤. وفي رواية للعلامة الحنفي آنه عليه السلام قبض ببغداد في حبس السندي بن شاهك لستَ خلدون من رجب، كما في المستجاد من كتاب الإرشاد ٣٠٥، في حين ذكر العلامة في كتابه المتهدى آنة ٣٠٤ آنه عليه السلام قبض لستَ بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين.

٨- فرق الشيعة ٨٥

ويروى أنَّ الأكل الذي تناوله الإمام عليه السلام قد دافه بالسم أو أعدَّ له هو الرشيد نفسه، وفي أخبار آخر أنَّ الذي أعدَّ الأكل المسموم هو السندي بن شاهك، وقد يكون تنفيذه بيد السندي، لأنَّ السندي بن شاهك حُتِّم على الإمام في أكل الرطب، فأكل الإمام عليه السلام منه عشر رطبات، فألحَّ عليه ابن شاهك في زيادة الأكل فقال له الإمام عليه السلام: حسبي يا ابن شاهك قد بلغت ما تحتاج إليه. ثمَّ جمع السندي بن شاهك سبعين رجلاً من فقهاء بغداد وأعيانها وأشرافها، وكشف عن الإمام عليه السلام وقال: هذا الإمام موسى بن جعفر لا ضرر عليه ولا ضيق، وهذا هو صحيح لا مرض فيه، فقال الإمام عليه السلام: أشهدوا أنَّي صحيح الظاهر، ولكنَّي مسموم وسأحمر في هذا اليوم حمرة شديدة منكرة، وأصفر صفة شديدة منكرة، وأبيض بعد غد وأمضي إلى رحمة ربِّي، فكان كما قال عليه السلام.

ويروي الصدوق عن عليٍّ بن جعفر، عن عمر بن واقد قال: أرسل إلى السندي بن شاهك في بعض الدليل وأنا ببغداد فاستحضرني، فخشيت أن يكون ذلك لسوء بريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثمَّ ركبت إليه، فلما رأني مقبلًا قال: يا أبا حفص، لعلنا أربعناك وأفرعناك، قلت: نعم، قال: فليس هاهنا إلا خير. قلت: فرسول تبعثه إلى متزلي يخبرهم خبري، فقال: نعم، ثمَّ قال: يا أبا حفص، أترى لم أرسلت إليك؟ قلت: لا، فقال: أتعرف موسى بن جعفر؟ قلت: إيه والله إيني لأعرفه، وبيني وبينه صدقة منذ دهر، فقال: من هاهنا ببغداد يعرفه ممن يقبل قوله؟ فسميت له أقواماً، ووقع في نفسي أنه عليه السلام قد مات. قال: فبعثت إليهم وجاء

بهم كما جاء بي، فقال: هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر؟ فسموا له قوماً، فجاء بهم، فأصبحنا ونحن في الدار نَيْفَ وخمسون رجلاً مَمَن يُعرف موسى وقد صحبه، قال: ثُمَّ قام ودخل وصلينا، فخرج كاتبه ومعه طومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وخلانا، ثُمَّ دخل إلى السندي، قال: فخرج السندي فضرب يده إلى فقال: قم يا أبا حفص، فنهضت ونهض أصحابنا ودخلنا وقال لي: يا أبا حفص، اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفته فرأيته ميتاً، فبكثت واسترجمت، ثُمَّ قال للقوم: انظروا إليه، فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه، ثُمَّ قال: تشهدون كلَّكم أنَّ هذا موسى بن جعفر بن محمد؟ قالوا: نعم نشهد أنَّه موسى بن جعفر، ثُمَّ قال: يا غلام، اطرح على عورته منديلاً واكشفه، قال: ففعل، فقال: أترون به أثراً تنكروه؟ فقلنا: لا ما نرى به شيئاً ولا نراه إلا ميتاً، قال: لا تبرحوا حتى تغسلوه وأكفنوه وأدفنه، قال: فلم يبرح حتى غسل وকفن وحمل فصلى عليه السندي بن شاهك، ودفنه ورجعنا.

١- كمال الدين وإتمام النعمة ٦٤، ويقول الشيخ الطبرسي: روى أنَّه لما حضرته الوفاة قال السندي بن شاهك أن يحضر مولى له مادياً يتزل دار العباس في مشرعة القصبة ليتوئي له غسله وتكيييفه، ففعل ذلك، قال السندي بن شاهك: و كنت سائلاً أن يأذن لي أن أختنه فأنهى و قال: إنَّا أهل بيت مهور نسائنا و حجتنا وأكفان موتانا من ظاهر أموالنا، وعندى كفني وأريد أن يتوئي غسلني وجهازني مولاي فلان، فتوئي ذلك منه. *إعلام الورى بأعلام الهدى* ٣٠٠ وقال السيد تاج الدين: كان السندي لذلك الرجل الذي أوصى إليه، ودفن بالائزراء في مقابر قريش من باب النبع، *الستمة في تواریخ الانقة* ١١٧، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديماً. *إعلام الورى بأعلام الهدى* ٣٠٠ وجاء في رواية الشيخ الصدوق أنَّ المسئِّب بن زهير قد دعا الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قبل وفاته بثلاثة أيام، وكان موكلًا به، فقال له: إني طاغٌ في هذه الليلة إلى المدينة مدحية جانبي رسول الله عليهما السلام

لأنهـاـ إلـىـ يـتـيـ عـيـنـاـ ماـ عـهـدـهـ إـلـىـ آـنـيـ،ـ وـأـجـعـلـهـ وـحـيـيـ وـخـلـيـفـيـ وـأـمـرـهـمـ أـمـرـيـ.ـ قـالـ الـمـسـيـبـ:ـ فـقـلـتـ بـأـمـلـاـيـ،ـ كـيـفـ تـأـمـرـنـيـ أـنـ أـفـحـصـ لـكـ الـأـبـوـابـ وـأـفـالـهـاـ،ـ وـالـحـرـسـ مـعـيـ عـلـىـ الـأـبـوـابـ؟ـ فـقـلـتـ بـأـمـيـبـ،ـ ضـعـفـ يـقـيـنـكـ يـاـ اللهـ عـزـ وـجـلـ وـقـيـنـاـ؟ـ فـقـلـتـ لـأـيـاـ مـيـنـيـ،ـ قـالـ فـمـدـ؟ـ فـقـلـتـ بـأـمـيـدـيـ أـدـعـ اللـهـ إـلـىـ يـتـيـ،ـ فـقـلـ:ـ اللـهـمـ تـبـعـدـ إـلـيـ آـنـيـ أـذـعـوـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ بـاسـمـ الـعـظـيـمـ الـذـيـ دـعـاـ أـضـفـ حـتـىـ جـاءـ بـسـرـ بـلـقـيـسـ وـرـوـضـعـةـ بـيـنـ يـدـيـ سـيـمـيـارـ قـبـلـ بـأـنـادـ طـرـفـهـ إـلـيـ حـتـىـ يـحـمـعـ يـيـنـيـ وـبـيـنـ آـنـيـ عـلـيـ بـالـمـدـيـنـةـ فـقـلـ الـمـسـيـبـ:ـ فـيـمـعـهـمـلـلـلـلـهـ يـدـعـوـ.ـ فـقـدـلـهـ عـ مـصـلـاـيـ،ـ فـقـلـ أـلـزـمـ ذـانـمـاـ عـلـىـ قـدـمـيـ حـتـىـ شـكـرـأـ حـلـىـ مـاـ نـعـمـ عـلـىـ مـنـ مـعـرـفـهـ،ـ فـقـلـ آـنـيـ اـرـفعـ رـأـسـكـ بـاـ مـسـبـبـ،ـ وـأـعـلـمـ آـنـيـ رـاحـلـ إـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ فـيـ تـالـيـتـ هـذـاـ الـيـوـمـ،ـ فـقـلـ فـبـكـيـتـ،ـ فـقـلـ آـنـيـ لـأـبـدـ يـ مـسـبـبـ،ـ فـإـنـ عـلـيـاـ آـنـيـ هـوـ إـمـامـكـ وـمـوـلـاـكـ بـعـدـيـ فـاـسـمـيـكـ بـرـلـاـيـتـهـ فـلـكـ لـتـقـيـلـ مـاـ لـرـمـدـ،ـ فـقـلـتـ الـحـمـدـ لـلـهـ،ـ فـقـلـ ثـمـ إـنـ سـيـنـيـ دـعـانـيـ فـيـ لـيـلـةـ الـيـوـمـ التـالـيـ،ـ فـقـلـ آـنـيـ عـلـىـ مـاـ سـرـتـكـ مـنـ اللـهـ حـلـلـ إـلـىـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ،ـ فـإـذـ دـعـوتـ بـشـرـبـةـ مـنـ مـاءـ شـدـ بـهـاـ وـأـيـسـيـ قـدـ اـنـتـخـتـ وـلـيـتـعـ بـصـلـيـ وـأـسـفـ آـنـيـ،ـ أـحـمـ وـلـشـفـرـ وـتـلـوـرـ أـلـوـانـ فـخـتـرـ الـطـاغـيـةـ بـرـفـانـيـ،ـ فـإـذـ رـأـيـتـ بـيـ هـذـاـ الـحـادـثـ فـبـيـاكـ أـنـ تـظـهـرـ عـلـيـهـ أـحـدـاـ وـلـأـعـلـمـ مـنـ سـنـدـيـ إـلـاـ عـدـ وـفـاتـيـ،ـ فـإـنـ الـمـسـيـبـ:ـ فـقـلـ وـزـلـ لـرـفـ وـعـدـهـ حـتـىـ دـعـاـ بـالـشـرـبـةـ فـشـرـبـهـ،ـ ثـمـ دـعـانـيـ فـقـلـ يـاـ مـيـنـ بـيـ هـذـاـ الـمـرـحـسـ الـسـلـدـنـيـ بـ شـاهـتـ سـيـرـهـ آـنـهـ يـعـوـيـ غـسـيـ،ـ هـبـهـاتـ أـنـ يـكـوـنـ ذـكـرـ إـلـيـهـ،ـ فـإـذـ حـمـلـتـ آـنـيـ الـمـهـمـهـ الـمـعـوـرـفـهـ بـعـدـلـاـيـ فـرـيـضـ فـالـحـدـنـوـيـ بـهـاـ وـلـأـنـرـعـواـ غـبـرـيـ فـوـقـ أـرـبـعـ أـسـابـيـعـ مـعـرـفـتـ وـلـأـنـلـجـدـوـنـاـ مـنـ لـوـبـيـنـيـ شـكـتـ لـتـبـرـ كـمـ إـلـيـهـ،ـ ثـمـ كـلـ لـرـيـةـ ثـمـ مـحـرـمـهـ بـلـأـتـرـبـهـ جـدـيـ الـجـحـسـيـنـ بـهـاـ،ـ فـإـنـ اللـهـ تـعـالـيـ بـعـدـهـ شـاءـ تـبـعـتـاـ وـأـلـدـاـ،ـ قـلـ:ـ تـهـمـ أـنـ تـخـصـاـ لـتـبـهـ الـأـشـخـاصـ بـهـ مـاـ حـلـتـ إـلـيـ جـانـبـ،ـ وـكـانـ عـهـدـيـ سـيـنـيـ الـحـسـائـنـ،ـ وـهـوـ خـلـاـمـ قـرـدـتـ سـوـالـهـ،ـ فـصـاحـ بـيـ سـيـلـيـ مـوـسـىـ مـلـاـ،ـ فـقـلـ:ـ آـنـيـ تـبـرـ بـهـيـكـ يـاـ مـسـبـبـ!ـ فـقـلـ أـلـزـمـ صـلـبـاـ حـتـىـ مـضـيـ وـغـابـ الـخـصـنـ،ـ ثـمـ أـنـهـتـ الـحـبـرـ إـلـيـ الـسـيـدـ،ـ هـوـ أـنـهـيـ الـسـيـدـيـ بـ شـاهـدـ،ـ قـوـاهـ لـعـدـ رـأـيـهـ بـعـنـيـ زـهـمـ بـطـلـونـ أـنـهـمـ يـعـسـلـونـ فـلـأـنـهـ أـيـلـيـهـمـ إـلـيـهـ،ـ وـيـقـلـوـنـ أـنـهـمـ بـحـلـطـونـ وـبـحـفـمـهـ وـلـأـهـمـهـ لـأـمـسـعـونـ سـمـيـاـ،ـ وـلـأـبـدـ دـهـ مـنـ الـشـجـبـ يـتـوـلـيـ غـسـلـهـ وـتـحـيـطـهـ وـتـكـفـيـهـ وـهـوـ بـظـهـرـ الـسـعـوـنـهـ لـهـمـ وـهـمـ لـأـعـدـمـهـ،ـ ثـمـنـاـ دـهـ مـنـ أـهـمـهـ قـالـ آـنـيـ دـلـلـ الـخـصـنـ،ـ يـاـ مـسـبـبـ هـمـهـ،ـ شـكـكـتـ بـهـ قـلـاـتـلـكـنـ مـنـ،ـ فـبـيـ إـمـامـكـ

وجاء في رواية أخرى أن الرشيد بعد وفاته عليه السلام أحضر مسروراً الخادم وأحضر القواد والكتاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين ثم قال لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعرفه. ثم سألهم عن أثر جراحة أو اغتيال ألم به <sup>أ</sup>، وقال لهم: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف نفسه، وما كان بيني وبينه ما أستغفر الله منه في أمره يعني في قتله - فانظروا إليه، فدخل عليه سبعون رجلاً من شيعته فنظروا إلى موسى بن جعفر عليه السلام وليس به أثر جراحة ولا خنق، وكان في رجله أثر الحناء، فأخذوه سليمان بن أبي جعفر فتوى غسله وتکفینه وتحفی وتحسر في جنازته <sup>أ</sup>.

وفي خبر رواه الصدوق قال: توفي موسى بن جعفر عليه السلام في يد السندي ابن شاهك، فحمل على نعش ونودي عليه: هذا إمام الراضة فاعرفوه! فلما أتى به مجلس الشرطة أقام أربعة نفر فنادوا: ألا من أراد أن يرى الخبيث بن الخبيث فليخرج! وخرج سليمان بن أبي جعفر من قصره إلى الشطط فسمع الصياح والضوضاء، فقال لغلمانه ولولده: ما هذا؟ قالوا: السندي بن شاهك ينادي على موسى بن جعفر عليه السلام على نعشه، فقال لولده وغلمانه: يوشك أن

دمولاك وجنة الله عليك بعد أبي عليه السلام. يا مسيب، مثلني مثل يوسف الصديق عليه السلام ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه فعرفتهم وهو له منكرون. ثم حمل عليه السلام حتى دفن في مقابر قريش ولم يرفع قبره أكثر مما أمر به. ثم رفعوا قبره بعد ذلك وبنوا عليه. عيون أخبار الرضا <sup>أ</sup>:

١٠٢

١- ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٤١٤. ذكر الشيخ عباس القمي أن علماء بغداد وفقهاءها كتبوا شهادتهم بموت موسى بن جعفر عليه السلام حتف نفسه إلا أحمد بن حنبل. فكلما زجروه لم يكتب شيئاً سفيهية البخاري ١: ٧٠٤ (حمد). وينظر: بخار الأنوار ٤٨: ٢٣٤.

٢- بخار الأنوار ٤٨: ٢٢٨.

يُفْعَلُ بِهِ هَذَا فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ؟ إِنَّمَا عَبَرَ بِهِ فَانزَلُوا مَعَ غَلَمَانَكُمْ فَخَذَوْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، فَإِنْ مَا نَعْوَكُمْ فَاضْرِبُوهُمْ وَخَرْقُوا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّوَادِ، فَلَمَّا عَبَرُوا بِهِ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ فَأَخْذَوْهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَضَرَبُوهُمْ، وَخَرْقُوا عَلَيْهِمْ سَوَادَهُمْ، وَوَضَعُوهُ فِي مَفْرَقِ أَرْبِعَةِ طَرَقٍ وَأَقَامَ الْمَنَادِينَ يَنَادُونَ: أَلَا مِنْ أَرَادَ الطَّيْبَ بْنَ الطَّيْبِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرَ فَلِيَخْرُجْ، وَحَضَرَ الْخَلْقُ وَغَسَّلَ وَحْنَطَ بِحَنْوَطٍ فَاخْرَجَ، وَكَفَنَهُ بِكَفْنٍ فِيهِ خَبْرَةٍ اسْتَعْمَلَتْ لَهُ بِالْفَيْنِ وَخَمْسَمَائَةِ دِينَارٍ، عَلَيْهَا الْقُرْآنُ كُلُّهُ وَاحْتَفَى وَمَشَى فِي جَنَازَتِهِ مُتَسَلِّبًا مَشْقُوقَ الْجَيْبِ إِلَى مَقَابِرِ قَرِيشٍ فَدَفَنَهُ هُنَاكَ، وَكَتَبَ بِخَبْرِهِ إِلَى الرَّشِيدِ، فَكَتَبَ الرَّشِيدُ إِلَى سَلِيمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ: وَصَلَّتْكَ رَحْمَمْ يَا عَمَّ وَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاكَ، وَاللَّهُ مَا فَعَلَ السَّنَدِيَّ بْنَ شَاهِكَ لَعْنَهُ اللَّهُ مَا فَعَلَهُ عَنِّي أَمْرَنَا.<sup>١</sup>

وَهُنَاكَ أَخْبَارٌ تَنْسَبُ تَدْبِيرِ عَمْلِيَّةِ الْأَغْتِيَالِ وَالْقَتْلِ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ بِأَنَّهُ سَمَّهُ فِي رَطْبِ وَرْمَانٍ أُرْسَلَ بِهِمَا إِلَيْهِ مَسْمُومَيْنَ بِأَمْرِ الرَّشِيدِ<sup>٢</sup>. وَلَيْسَ هَذَا بِمُسْتَبِعٍ أَوْ غَرِيبٍ عَنِ الْبَرَامِكَةِ، فَقَدْ كَانَ لِلْبَرَامِكَةِ دورٌ كَبِيرٌ فِي هِنْدَسَةِ الْأَحْدَاثِ وَتَدْبِيرِهَا، فَسَبَبَ الْأَغْتِيَالُ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ لَهَا مَا يُؤْتَدُهَا، لَأَنَّ الْمَرْوِيَّ عَنِ الْإِمَامِ الرَّضا<sup>٣</sup> أَنَّ الْبَرَامِكَةَ كَانُوا مِغْضَبِينَ لَأَلَّا مُحَمَّد<sup>٤</sup> وَرَوْيَى ابْنُ يَحْيَى قَالَ: أَخْبَرَنَا الثَّقَةُ أَنَّ يَحْيَى بْنَ خَالِدَ قَالَ لِلْطَّاغِي - أَيْ لَهَارُونَ الرَّشِيدِ - هَذَا عَلَيَّ ابْنَهُ قَدْ قُدِّدَ وَأَذْعَى الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ، فَقَالَ: مَا يَكْفِيَنَا مَا صَنَعْنَا بِأَبِيهِ؟! تَرِيدُ أَنْ تَقْتَلُهُمْ جَمِيعًا؟! وَرَوْيَى مُوسَى بْنَ مَهْرَانَ قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى يَقُولُ: سَمِعْتُ عِيسَى بْنَ جَعْفَرَ يَقُولُ لِهَارُونَ حِيثُ تَوَجَّهُ مِنَ الرِّقْبَةِ إِلَى مَكَّةَ: اذْكُرْ يَمِينَكَ الَّتِي حَلَفْتُ بِهَا فِي آلِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّكَ

١- عيون أخبار الرضا ١: ٩٩ - ١٠٠، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٢٧.

٢- ما مثنا إلا مقتول أو مسموم ١٠٥

خلفت ابن الأبي أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبراً، وهذا على ابنه يدعى هذا الأمر ويقال فيه ما يقال في أبيه، فنظر إليه مغضباً فقال: تريد أن أقتلهم كلهم؟! وقد رویت أخبار تنسب تدبير القتل للبرامكة وكذلك رویت أخبار بأنّ ما حلّ بهم من نكبة عظمى وذهب دولتهم كان بداع الإمام الرضا عليه السلام، فقد روی أنَّ الرضا عليه السلام كان واقفاً بعرفة يدعوه، ثم طأطأ رأسه، فسئل عن ذلك، فقال: إني كنت أدعuo الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبيه عليه السلام، فاستجاب الله لبي اليوم فيهم، فلما انصرف لم يلبث إلا يسير حتى بطش بجعفر وتغيرت أحوالهم، وترك البرامكة غرساً في جسم الدولة الإسلامية تمثل بذري الرئاستين، الذي قبض على أوضاع الدولة العباسية واستبدل بأحوال المأمون حتى نسبت إليه مؤامرة ولادة العهد التي قررها المأمون للإمام الرضا عليه السلام، ليواجه الإمام الرضا عليه السلام مؤامرة القتل والاغتيال وهو في أعلى سلطة للدولة العباسية، على عكس أبيه الذي واجه القتل وهو

١- عيون أخبار الرضا: ٢٢٥، ٢٢٦.

٢- يضر: أصول الكافي: ٢: ٢٢٤ وعيون أخبار الرضا: ٢: ٢٢٥، ومنها يروى في ذكر ابن يحيى بن خالد السرمكي ذكر المؤسسي: إني قد سببت أسر هشام، وكان هشام بن الحكم من المحبوبين في سنته الخامسة ويعد الم amatارات مع الفاطمة والمتكلمين لذهابه إلى الشام، لذا فهو يزعم أنَّه هي زوجته ماماً غيرك مفروض أصاغرة، قال: سبحان الله ويرغم ابن شهـ نهره بالخروج تخرج بحار الأنوار: ٢٨: ١٨٩.

٣- ذر الرئاستين هو لقب لعجل بن سهل، ولقب بهذه التقب لأنَّه قاتل الوزارة وزراعة الحمد، الفرزاء والكتاب: ٣٠٥.

٤- كان ذو مثلثتين يهدون نفسه بأبي مسلم الخراساني ويتحقق بذلك مطلب الخاجة من سنتين بيت نيرمي تسامعه بأنه صاحب فكرة ولادة العهد، والمأمون يؤكد ذلك وهو صاحب المنشية، بنظر: ولادة العهد للإمام الرضا للسيد حسن طاير ثوابي: ١١٦.

سجين مغلول اليدين، لم يفارق سلاسل الحديد وجدران السجون الضيقة، وفي سنتين مظلمة سوداء أمضها صابرًا ساجدًا شاكراً ليقسى الله بقدره هذا الذي رفع درجته وألحقه بأبائه الصالحين الذين تشرفوا بالشهادة بين سُمْ وقتل في سبيله تعالى.

### أولاده

للإمام موسى بن جعفر <sup>عليه السلام</sup> عشرون ابناً، وثمانية عشر بنتاً. أسماء بناته: علي، الرضا الإمام، وزيد، وإبراهيم، وعقيل، وهارون، والحسن، والحسين، وعبد الله، وإسماعيل، وعياد الله، وعمر، وأحمد، وجعفر، ويحيى، وإسحاق، والعباس، وحمزة، وعبد الرحمن، والقاسم، وجعفر الأصغر. ويقال: موضع عمر: محمد.

وأسماء البنات: خديجة، وأم فروة، وأسماء، وعلية، وفاطمة، وفاطمة، وفاطمة، وأم كلثوم، وأم كلثوم، وأم كلثوم، وأمنة، وزينب، وأم عبد الله، وزينب الصغرى، وأم القاسم، وحكيمة، وأسماء الصغرى، ومحمودة، وأمامه، وميمونة. وعد سبط ابن الجوزي له عشرين ذكراً وعشرين أنثى<sup>١</sup>.

واشتهر أحمد من أولاد الإمام الكاظم <sup>عليه السلام</sup> بالجلالة والورع، وكان أبوه <sup>عليه السلام</sup> يحبه ويقدمه، ووهب له ضياعته المعروفة باليسيرة. وكانت أمّه من الخواتين المحترمات تُدعى أمّ أحمد، وكان الإمام <sup>عليه السلام</sup> شديد التلطف بها، ولما توجّه من المدينة إلى بغداد أودعها وداعي الإمام و قال لها: كلّ من جاءك و طالب منك هذه الأمانة في أيّ وقت من الأوقات فاعلمي بأنّي قد استشهدت، وأنّه

١- تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم لابن الخطاب البغدادي ١٤١

٢- تذكرة الخواص ٣١٤

هو الخليفة من بعدي، والإمام المفترض الطاعة عليك وعلى سائر الناس، وأمر ابنه الرضا عليه السلام بحفظ الدار. ولما سُمِّه هارون في بغداد جاء إليها الرضا عليه السلام وطالبها بالأمانة، فقالت له أمَّ أَحمد: لقد استشهد والدك؟ فقال: بلـي، والآن فرغت من دفته، فأعطيـني الأمانة التي سلـمـها إليـك أبي حين خروـجه إلى بغداد، وأـنـا خـلـيـفـتهـ والإـيـامـ بـالـحـقـ عـلـىـ تـامـ الإـنـسـ وـالـجـنـ، فـشـقـتـ أمـ أـحمدـ جـيـبـهـ، وـرـذـتـ عـلـيـهـ الـأـمـانـةـ وـبـاعـيـتـهـ بـالـإـمـامـةـ. فـلـمـ شـاعـ خـبـرـ وـفـاةـ الإـيـامـ مـوـسىـ اـبـنـ جـعـفـرـ عليـهـ السـلـامـ بـالـمـدـيـنـةـ اـجـتـمـعـ أـهـلـهـ عـلـىـ بـابـ أـمـ أـحمدـ، وـسـارـ أـحمدـ مـعـهـمـ إـلـىـ الـمـسـجـدـ. وـلـمـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ الـجـلـالـةـ وـوـفـورـ الـعـبـادـةـ وـنـشـرـ الشـرـايـعـ، وـظـهـورـ الـكـرـامـاتـ ظـنـواـ بـهـ أـنـهـ الـخـلـيـفـةـ وـالـإـيـامـ بـعـدـ أـبـيـهـ، فـبـاعـيـوـهـ بـالـإـمـامـةـ، فـأـخـذـ مـنـهـمـ الـبـيـعـةـ ثـمـ صـدـ المـنـبـرـ وـأـنـشـأـ خـطـبـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـبـلـاغـةـ وـكـمـالـ الـفـصـاحـةـ، ثـمـ قـالـ: أـيـهـ النـاسـ، كـمـ أـنـكـمـ جـمـيـعـاـ فـيـ بـيـعـتـيـ، فـلـأـيـ فـيـ بـيـعـةـ أـخـيـ عـلـيـ بـنـ مـوـسىـ الرـضاـ، وـاعـلـمـواـ أـنـهـ الـإـيـامـ وـالـخـلـيـفـةـ مـنـ بـعـدـ أـبـيـهـ، وـهـوـ وـلـيـ اللـهـ، وـالـفـرـضـ عـلـيـ وـعـلـيـكـمـ مـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ طـاعـتـهـ بـكـلـ مـاـ يـأـمـرـنـاـ، فـكـلـ مـنـ كـانـ حـاضـرـاـ خـصـعـ لـكـلـامـهـ، وـخـرـجـواـ مـعـ الـبـيـعـةـ، فـدـعـاـلـهـ الرـضاـ عليـهـ السـلـامـ، وـكـانـ فـيـ خـدـمـةـ أـخـيـهـ مـدـةـ مـنـ الرـزـمانـ إـلـىـ أـنـ أـرـسـلـ الـمـأ~مـونـ إـلـىـ الرـضاـ عليـهـ السـلـامـ وـأـشـخـصـهـ إـلـىـ خـراسـانـ وـعـقـدـ لـهـ خـلـافـةـ الـعـهـدـ.

### خـلـيـفـةـ الإـيـامـ الكـاظـمـ عليـهـ السـلـامـ وـمـشـكـلـةـ الـوـاقـفـيـنـ عـلـيـهـ

لـمـ يـنـازـعـ الرـضاـ عليـهـ السـلـامـ فـيـ مـقـامـهـ وـاحـدـ مـنـ إـخـوـتـهـ كـمـاـ جـرـىـ لـأـبـيـهـ الكـاظـمـ عليـهـ السـلـامـ الـذـيـ اـبـتـلـىـ بـبـلـاـيـاـ عـدـيـدـةـ فـيـ إـمـامـتـهـ لـأـزـالـتـ آـثـارـهـ بـاقـيـةـ إـلـىـ الـآنـ، إـلـاـ أـنـ العـقـبةـ

الرئيسية التي واجهت الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup> وواجهت كيان الطائفة هي مشكلة الواقفة الذين وقفوا على أبيه، وبعضهم ادعى له الخلود وأنكر موته، ليمارس دوره كوكيل ونائب له<sup>عليه السلام</sup> وبالتالي ازدياد العوائق والتحديات التي تواجه الإمام الرضا<sup>عليه السلام</sup>.

وكانت مشكلتهم التي سبّبت هذه الفتنة ما كان لهم من معرفة ودرأية بالأحاديث والأخبار، كما وأنّ عامتهم كانوا من عيون أصحابه<sup>عليه السلام</sup>، وممن أخذ موقعاً له في أوساط الشيعة ومعه من الأموال الكافية التي يفتتن بها الجهل. وأول من أظهر هذا الاعتقاد عليّ بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي، طمعوا في الدنيا ومالوا إلى حطامها واستمبالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال، نحو حمزة بن بزيع وابن المكاري وكرام الخثعمي وأمثالهم.<sup>١</sup> والواقفون على الإمام الكاظم<sup>عليه السلام</sup> ادعوا أنه لم يمُت وأنه حي ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغرتها ويملاها عدلاً كما مثلت جوراً، وأنه القائم المهدى، وزعموا أنه لما خاف على نفسه القتل خرج من الحبس نهاراً ولم يرَ أحداً ولم يعلم به، وأنّ السلطان وأصحابه ادعوا موته وموهوا على الناس ولبسوا عليهم برجل مات في الحبس فآخر جوهر ودفنه في مقابر قريش في القبر الذي يدعى الناس أنه قبر موسى بن جعفر، وكذبوا في ذلك، إنما غاب عن الناس واختفى. ورروا في ذلك روايات عن أبيه جعفر<sup>عليه السلام</sup> أنه قال: هو القائم المهدى، فإن يدهده

١- بحار الأنوار ٤٨: ٢٥١. ذكر الشيخ الطوسي بعض أسماء القائلين بالوقف فقال: ومنهم: عليّ بن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرواسي، كلهم كانوا وكلاه لأبي الحسن موسى<sup>عليه السلام</sup> وقفوا طمعاً في الأموال ودفعوا إمامية الرضا<sup>عليه السلام</sup> وجرحوه.

رأسه من جبل فلا تصدقوا فإنه صاحبكم القائم.<sup>١</sup>

وعموماً الوقف على الإمام المعصوم الراحل إلى عالم الخلود والحياة الأبدية له تحقق سابق في الأئمة الماضين، وأول إمام وقف عليه هو الإمام علي عليهما السلام، وكان عبد الله بن سبأ أول من دعا إلى الوقف وأظهره. ويتحدث الحسن النوبختي عنه بالقول: ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذى نعاه: كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض.<sup>٢</sup> ولكن الاختلاف في الوقف على الإمام الكاظم عليهما السلام يبلغ إلى الحد الذي لم يبلغ ما وصلت إليه الواقفة في تاريخ الأئمة، إذ اتّخذ أبعاداً وممارسات عديدة مبنية على اعتقادات وأصول روائية، البعض منها ظاهر، والبعض الآخر دخل دور التأويل والتحريف والوضع. وقد ساعدت المرحلة المأساوية في هذا العصر على هذا النوع من التصرف في الروايات والتلاعب فيها، لأن للمال دوراً هاماً إذ بُرِزَ كعامل مهم من عوامل نشأة حركة الواقفة وترعرعها وانتشارها نتيجة لهذه الظروف المادية وحالة التقى والكبت، مضافاً إلى تطور هذا النوع من الاعتقاد بالوقف الذي مرّ على ستة من الأئمة. وكما أنّ عدد الواقفة الذين وصل إلينا وفهم كان متميّزاً إلى الدرجة التي وصل تعدادهم في كتاب الشيخ الطوسي إلى أكثر من ستين شخصاً من أصحاب الإمام الكاظم عليهما السلام الذين لم يبلغوا الثلاثمائة طبقاً لإحصاء الشيخ الطوسي في رجاله. وهذا العدد لم يكن للواقفة ممّن سبقوه ولا ممّن لحقه أن وصلت هذه النسبة العالية فيه. وهذا الأمر يعود إلى عدة أسباب : ١ - الحالة المأساوية من وضع السلطة

١- المقالات والفرق للأشعري ٨٩

٢- فرق الشيعة ٢٣

والطغاة على الإمام وشيعته. ٢- اعتقاد أكبر عدد ممكн من الأصحاب بهذا المعتقد. ٣- تسلط مدّعي الوكالة أو الوكلاء على أموال كبيرة وقعت بأيديهم بطرق مشروعة أو غير مشروعة كانت سبباً لأن يستمليوا أكبر عدد ممكّن ممّن حولهم إلى جانبهم.<sup>١</sup>

وقد تصدى الإمام الرضا عليه السلام للواقفين على أبيه جهلاً وعناداً، وأبطل مقولاتهم بعلمه ومعجزاته التي أظهرها لهم. والحق أنَّ شرف الإمام الرضا عليه السلام وعلو منزلته ومهابته أجبرهم على الانسحاب والتخلّي عن فكرة الوقف، إلا من ركبه الشيطان وكابر ودأوم على جهله، واستبدَّ به وبقلبه هوس وسطوة المال والدنيا الحرام. والمؤرخون وأهل السير أجمعوا على أنَّ أشرف أولاد الكاظم عليه السلام وأكملهم وأحلّهم وأورعهم هو الإمام علي بن موسى الرضا المرتضى الذي تقلّد بشرف وسام الإمامة بأمر من الله، فصلّت وما زالت تصلّي عليه ملائكة السماء والأرض أبداً ما دام ليل ونهار، والذي تشرف وما يزال يتشرف كلُّ الشيعة الإمامية بالاعتقاد بهذه الإمامة التي أكملت مسيرة الوصيّة والرسالة الخاتمة في كتاب الخلافة الكبير الذي ما زال مفتوحاً ولن يغلق مادامت الورقة الأخيرة بيده ولده الإمام الثاني عشر الذي سيكون آخر خليفة علوى يملأ الأرض عدلاً ورحمة.

كتب هذه السطور العبد الضعيف الراجي عفوه ربّه ورحمته عادل بن عبد الرحمن بن لفترة على البدرى، غفر الله له ولوالديه، في جوار الإمام الهمام سليل الأئمة الكرام والعترة العظام، ثامن الآيات والحجج علي بن موسى الرضا المرتضى الراضي بقضاء الله وتقديره، عليه وعلى آبائه وأولاده المعصومين آلاف التحية والسلام.

---

١- ينظر: الواقعية دراسة وتحليل ١ : ٥١



## مصادر ومراجع الكتاب

- الأئمة الاثنا عشر، دراسة تحليلية، عادل الأديب، منشورات دار الأضواء قم ١٤٠٤.
- الأئمة الاثنا عشر، شمس الدين محمد بن طولون المتوفى ٩٥٣، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، أوفسيت منشورات الرضي، قم.
- أئمتنا، محمد علي دخيل، دار مكتبة الإمام الرضا(عليه السلام)، دار المرتضى، بيروت، ط السادسة ١٩٨٢.
- الإتحاف بحب الأشراف، الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعى المتوفى ١١٧١ هـ، المطبعة الأدبية بمصر.
- اتمام الوفا بسيرة الخلفاء، الشيخ محمد الخضرى، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة بيروت، ط الثانية ١٩٩٨.
- إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، أبو الحسن علي بن موسى المسعودي الهنذلي المتوفى ٣٤٦، منشورات المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية في النجف، أوفسيت منشورات الرضي قم المقدسة.
- الاحتجاج على أهل اللجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري، بتعليق السيد محمد باقر الموسوي الخرسان.

□ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون ٣٢٦

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط الثانية ١٤٠٣ هـ.

الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ ، بتحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر، أوفسيت الرضي قم ١٤١٢ .  
أخبار القراءة، الأحساء - الشام - العراق - اليمن، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور سهيل ذكّار، نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني دمشق، ط الأولى ١٩٨٠ .

أخبار فتح، وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله (انتشار الحركة الزيدية في اليمن والمغرب والدليل) أحمد بن سهل الرازي، المتوفى في الربع الأول من القرن الرابع الهجري، دراسة وتحقيق الدكتور ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى ١٩٩٥ .

الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكري البغدادي الملقب بالشيخ المفید المتوفى ٤١٣ هـ ، بتحقيق عليّ اکبر غفاری، منشورات مكتبة الزهراء، قم ١٤٠٢ هـ .

اختيار معرفة الرجال ( رجال الكشی ) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ ، بتحقيق حسن المصطفوي، نشر كلية الإلهيات مشهد (دانشکده الهیات و معارف إسلامی)، ط الأولى ١٣٤٨ هـ . ش.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفید المتوفى ٤١٣ هـ ، ترجمة وشرح السيد هاشم الرسولي المحلاتي، انتشارات علمية إسلامية طهران، وط أخرى من منشورات بصیرتی، قم.

الأصول والفروع من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣٢٩ هـ ، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨ هـ .

إعلام الورى باعلام الهدى، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي، من إعلام القرن السادس الهجري، صاححه عليّ اکبر الغفاری، نشر دار المعرفة بيروت ١٣٩٩ هـ .

**الأعلام**، خير الدين الزركلي المتوفى ١٣٩٦ هـ، منشورات دار العلم للملايين بيروت، ط السابعة ١٩٨٦ م.

**الأغاني**، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى ٣٥٦، منشورات دار صعب بيروت، عن ط بولاق الأصلية.

**القاب الرسول وعترته**، تأليف بعض المحدثين والمؤرخين، ط ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة عليهما السلام، منشورات دار القارئ، بيروت ط الأولى ٢٠٠٢.

**الإمام الشواعر**، علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق الدكتور جليل العطية، دار النضال للطباعة والنشر بيروت، ط الأولى ١٩٨٤.

**الأمالى والمحاجس**، الشيخ محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هـ، منشورات الأعلمى بيروت ١٤٠٠ هـ، وط أخرى من منشورات كتابخانه إسلامية طهران مقدمة وترجمة كمرهائى، ١٤٠٤ هـ.

**الأمالى**، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة قم، ط الأولى ١٤١٤، وط أخرى طبعت في النجف الأشرف.

**الإمام الرضا عليه السلام**، تاريخ ودراسة، محمد جواد فضل الله، دار الزهراء بيروت، ط الأولى ١٩٧٣.

**الإمام الصادق والمناهب الأربعية**، أسد حيدر، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثانية ١٣٩٢ هـ.

**الإمام الصادق**، الشيخ محمد الحسين المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، ط الرابعة ١٤٠٩.

**الإمام الكاظم عليه السلام** ضوء مفهم الشعاع، سليمان كناني، منشورات دار الثقلين بيروت، ط الأولى ١٩٩٩.

□ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون ٣٢٨

الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية، الدكتور أحمد محمود صبحي، منشورات العصر الحديث، ط الأولى.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام زعيم مدرسة أهل البيت، الدكتور محمد حسين على الصغير، مؤسسة البلاغ بيروت، ط الأولى ٢٠٠٤.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام رمز الحضارة الإسلامية، محمد أمين الأميني، مطبعة أمين، منشورات ذوي القربى قم، ط الأولى ١٤٢٣.

الإمامية والتبصرة من الحيرة، أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى ٣٢٩، تحقيق محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بيروت، ط الثانية ١٩٩٢.

الإمامية وأهل البيت، الدكتور محمد بيومي مهران، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط الثانية ١٤١٥ هـ.

الإمامية وأهل البيت، النظرية والاستدلال، السيد محمد باقر الحكيم، المركز الإسلامي المعاصر بيروت، ط الأولى ٢٠٠٣.

إيران والعراق في العصر السلاجوقى، الدكتور عبد النعيم محمد حسين، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط الأولى ١٩٨٢.

بحار الأنوار الجامحة للدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي المتوفى ١١١٦هـ، مؤسسة الوفاء بيروت، وط دار الكتب الإسلامية طهران.

بحوث في الملل والنحل، دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، جعفر السبحاني، لجنة إدارة الحوزة العلمية بقم المقدسة، ط الثانية ١٤١٣.

البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

بطل فتح، الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب عليهما السلام أمير

٣٢٩ مصادر ومراجع الكتاب □

مكة وفاتها، الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، شركة الكتبى للطباعة والنشر  
بيروت، ط الثالثة ١٩٩٣.

**بغداد مدينة السلام**، ابن الفقيه الهمданى، المتوفى ٣٦٥ هـ، تحقيق الدكتور صالح أحمد  
العلي، وزارة الإعلام بغداد، ط الأولى ١٩٧٧.

**بغداد مدينة السلام**، مجموعة أبحاث مركز التراث العلمي العربي لمجموعة من  
الباحثين، بجامعة بغداد نشرته وزارة التعليم العانى بغداد ١٩٩٠.

**البيعة ونظام الحكم في الإسلام**، علي أمين جابر آل صفا، الدار الإسلامية بيروت،  
ط الأولى ١٤٢٢ هـ.

**تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم**، العلامة الطبرسي المتوفى ٥٤٨، ط ضمن  
مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة عليهم السلام، دار القارئ بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.

**تاریخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ، دار الكتب العلمية  
بيروت، ط الأولى ١٤١٣ هـ.

**تاریخ الأئمة**، الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل بن أبي الشجاع  
البغدادي المتوفى ٣٢٢ أو ٣٢٣، ط ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ  
الأئمة عليهم السلام، منشورات دار القارئ بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.

**تاریخ الإسلام السياسي والاجتماعي والثقافي**، الدكتور حسن إبراهيم حسن، مكتبة  
النهضة المصرية، ط السابعة ١٩٧٤، أوفست دار إحياء التراث العربي بيروت.

**تاریخ الإسلام ووفیات المشاہیر والأعلام**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد  
ابن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ، بتحقيق الدكتور بشّار عواد معروف، دار  
الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى ١٤٢٤ هـ.

**التاریخ الإسلامي وفکر القرن العشرين**، دراسات تقدیمه في تفسیر التاریخ، الدكتور  
فاروق عمر، مكتبة النہضة بغداد، ط الثانية ١٩٨٥ م.

٢٣٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

تاریخ الأسم والملوک، أبو جعفر محمد بن جعفر بن جریر الطبری المتوفی ٣١٠ هـ، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، روایع التراث العربی بیروت، وط مطبعة الاستقامۃ القاهرۃ، أوفیست مکتبۃ أرومیة.

تاریخ التصوف الإسلامی من البداية حتی نهاية القرن الثاني، الدكتور عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط الأولى ١٩٧٥.

تاریخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السیوطی، المتوفی ٩١٦ هـ، المطبعة العلمیة بیروت، وط آخری بتحقيق محمد محيی الدین عبد الحمید، منشورات الرضی، قم.

تاریخ الخميس في أحوال أنفس نفیس، الشیخ حسین بن محمد بن الحسن الديار بکری، دار صادر بیروت.

تاریخ الدولة العربية الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة، رشید عبد الله الجميلی، وزارة التعليم العالي الجامعة المستنصرية بغداد، ط الأولى ٢٠٠٤.

التاریخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ، الدكتور على معطی، مؤسسة المعارف بیروت، ط الأولى ١٤١٩ هـ.

تاریخ الشعوب الإسلامية، کارل بروکلمان، ترجمة نبیه أمین فارس ومنیر البعلبکی، دار العلم للملائين بیروت، ط السادسة ١٩٧٤ م.

تاریخ العقیدة الشیعیة وفرقها، المیرزا فضل الله بن میرزا نصر الله المعروف شیخ الإسلام الزنجانی المتوفی ١٣٧٣ هـ، بتحقيق غلام علی بور یعقوبی، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط الأولى ١٤٢٨ هـ.

تاریخ العلویین، محمد أمین غالب الطویل، دار الأندلس بیروت.

تاریخ الفرق الإسلامية، الشیخ محمد خلیل الزین، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات بیروت، ط الثانية ١٩٨٥.

تاریخ الفقه الاسلامي ونظریة الملكية والعقود، بدران أبو العینین، نشر دار النهضة العربية بيروت.

تاریخ المذاہب الاسلامیة فی السیاسة والعقائد وتاریخ المذاہب الفقهیة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

تاریخ أهل الیت، نقلأً عن الأئمۃ الباقر والصادق والرضا، والعسکري عن آباءهم علیهم السلام، رواه المحدث نصر بن علی الجھضومي المتوفی ٢٥٠، واستدرك علیه عدد من الرواۃ والمؤرخین القدماء، تحقیق السید محمد رضا الحسیني الجلالی، من سلسلة مصادر بحار الأنوار، نشر دلیل ما قم، ط الأولى ١٤٢٦ھـ.

تاریخ خلیفة بن خیاط العصفری المتوفی ٢٤٠ھـ، بتحقیق سهیل زکار، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٩٩٣م.

تاریخ صدر الإسلام والدولة الأموية، عمر فریخ، دار العلم للملايين بيروت، ط الرابعة ١٩٧٩.

تاریخ مدینة السلام وأخبار محدثیها وذکر قطانها العلماء من غير أهلهما وواردیها، والمشهور (تاریخ بغداد)، الحافظ أبو بکر أحمد بن علی بن ثابت الخطیب البغدادی المتوفی ٤٦٣ھـ، تحقیق الدكتور بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط الأولى ٢٠٠١.

تاریخ مواليد الأئمۃ ووفیاتهم، أبو محمد عبد الله بن النصر بن الخشاب البغدادی المتوفی ٥٦٧ھـ، ط ضمن مجموعة نفیسه في تاریخ الأئمۃ علیهم السلام، منشورات دار القارئ بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.

تاریخ التصویف فی الإسلام، قاسم غنی، ترجمة صادق نشأت، نشر مکتبة النهضتھ المصرية - القاهرة ١٩٧٠م.

تأویل مشکل القرآن، محمد بن مسلم بن قتيبة المتوفی ٢٧٦ھـ، تحقیق السيد أحمد

□ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجنون ٣٢٢

صقر، دار التراث القاهرة.

البيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ، بتحقيق أحمد حبيب العاملي، ط الإعلام الإسلامي قم ١٤٠٩، وط مكتبة الأمين النجف.  
الشمة في تواريخ الأئمة عليهما السلام، السيد تاج الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي، من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق مؤسسة البعثة - قسم الدراسات الإسلامية قم، ط الأولى ١٤١٢. وقد ضبط عنوان الكتاب «البيضة في تواريخ الأئمة»<sup>١</sup>.

تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأبرار، عماد الدين الطبراني القرن السابع الهجري، تعریف عبد الرحيم مبارك، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط الثانية ١٤٢٧ هـ.  
تذكرة الخواص، شمس الدين يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي، سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى ٦٥٤، مؤسسة أهل البيت، بيروت ١٩٨١.

ترتيب جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى ٣٢١ هـ، تصحیح وترتيب عادل البدری، مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ط الأولى ١٤٢٦ هـ.  
تفسير علي بن ابراهيم القمي، القرن الثالث الهجري، مؤسسة الأعلمی بيروت، ط الأولى ١٤١٢ هـ، وط النجف.

تفسير قرات، فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي، من علماء القرن الثالث الهجري، ط المطبعة الحيدرية النجف، أوفیسیت مکتبة الداوری قم.

تفسير الإمام العسكري عليهما السلام، نشر وتحقيق مدرسة الإمام المهدي عليهما السلام، قم ١٤٠٩ هـ.  
تنبيه الخواطر ونرخة النواظر، المعروف بمجموعة وراثم، أبو الحسين وراثم ابن أبي

---

١- يراجع مقدمة السيد محمد رضا الجلاي ٣٥ من كتاب: تاريخ أهل البيت، من سلسلة مصادر بحار الأنوار والذي رواه نصر بن علي الجهمي.

فراس المالكي الأشترى المتوفى ٦٠٥، منشورات دار صعب، دار التعارف بيروت  
- مكتبة الفقيه قم.

التنبيه والإشراف، علي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٥ هـ ، بتصحیح عبد الله  
الصاوي، دار الصاوي القاهرة.

تنقیح المقال في علم الرجال، عبد الله بن محمد حسن المامقانی، انتشارات جهان  
طهران.

تهذیب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفید، محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠ هـ ،  
تصحیح السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية طهران.

التوحید، محمد بن علي بن بابویه الصدوق المتوفى ٣٨١، منشورات جماعة  
المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

ثورة الزنج، الدكتور فيصل السامر، مكتبة المنار بغداد، دار إحياء التراث العربي  
بيروت، ط الثانية ١٩٧١ م.

جامع الأخبار، أو معارج الیقین فی أصول الدین، الشیخ محمد بن محمد  
السبزواری، من أعلام القرن السابع الهجری، تحقیق علاء آل جعفر، مؤسسة آل  
البیت للإمام زین العابدین لإحياء التراث قم، ط الأولى ١٤١٤ هـ .

جامع الرواة، محمد بن علي الأردبیلی الغروی الحائری، من أعلام القرن الحادی  
عشر، منشورات مکتبة آیة الله المرعشی النجفی، قم ١٤٠٣ هـ .

الجامع الصھیح (سنن الترمذی) أبو عیسی محمد بن عیسی المتوفی ٢٧٩ هـ ، دار  
إحياء التراث العربي بيروت.

الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، حنا الفاخوری، دار الجيل بيروت،  
ط الأولى ١٩٨٦ م.

جهاد الإمام السجّاد زین العابدین علی بن الحسین بن أبي طالب علیهم السلام، محمد رضا

٢٣٤ □ الإمام موسى بن جعفر شمس في ظلمات السجون

الحسيني الجلايلي، مؤسسة دار الحديث الثقافية ١٤١٨ هـ.

جهاد الشيعة، سميرة مختار الليبي، أوفسيت عن ط المصرية.

الحركات السرية في الإسلام، محمود إسماعيل، سينا للنشر القاهرة ومؤسسة الانتشار العربي بيروت، ط الخامسة ١٩٩٧ م.

حركة التصوف الإسلامي، محمد ياسر شرف، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ١٩٨٤ م.

حضارة العراق، نخبة من الكتاب، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ م.  
حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الإصفهاني المتوفى ٤٣٠ هـ، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ١٩٩٧ م.

الخصال، محمد بن علي بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١ هـ، نشر جماعة المدرسین في الحوزة العلمية قم.

خطط بغداد في العمود العباسية الأولى، يعقوب لستر، ترجمة صالح أحمد العلمي، المجمع العلمي بغداد ١٩٨٤.

خطط بغداد وأنهار العراق القديمة، مكسلميان شترليك، ترجمة خالد إسماعيل علي، المجمع العلمي العراقي بغداد.

الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، الدكتور فاروق عمر، منشورات مكتبة المشنفي بغداد، ط الثانية ١٩٧٧ م.

دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، عبد الجبار ناجي، شركة المطبوعات للنشر بيروت، ط الأولى ٢٠٠١ م.

الدروس الشرعية في فقه الإمامية، الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي العاملي المتوفى ٧٨٦، بتحقيق مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ط الثانية ١٤٢٦.

**دلائل الإمامية، أبو جعفر محمد بن حمود بن رستم الطبرى، من أعلام القرن الرابع الهجري،** منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ١٩٦٣.

**دور أئمة أهل البيت في الحياة السياسية، عادل الأديب،** دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٨هـ.

**دور العجاجز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة،** الدكتور أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربي.

**دول الإسلام،** شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر بيروت، ط الأولى ١٩٩٩م.

**الدولة الأموية، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية،** الشيخ محمد الخضرى، دار المعرفة بيروت، ط الثامنة ٢٠٠٥.

**الدولة العباسية، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية،** الشيخ محمد الخضرى، دار المعرفة بيروت، ط السابعة ٢٠٠٥.

**رجال الطوسي،** محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠، تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية النجف، ط الأولى ١٣٨١.

**رجال العلامة (خلاصة الأقوال في معرفة الرجال)** جمال الدين الحسن ابن يوسف بن مطهر الحلبي المتوفى ٧٢٦، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، منشورات الرضي قم، أوفسيت عن ط النجف.

**رجال النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي النجاشي المتوفى ٤٥٠،** تحقيق السيد موسى الشيرازي الزنجاني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين قم ١٤٠٧.

**رسول المصطفى ومقوله الرأى،** باسم الحلبي، موسوعة الرسول المصطفى مشهد، ط الأولى ٢٠٠٢.

□ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون ٣٣٦

- رسوم دار الخلافة، أبو الحسين هلال بن المحسن الصابي المتوفى ٤٤٨، تحقيق ميخائيل عواد، دار الرائد العربي بيروت، ط الثانية ١٩٨٦.
- سعد السعود، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس المتوفى ٦٦٤، منشورات الرضي قم ١٣٦٣.
- سفينة البحار ومدينة الحكم والأثار، الشيخ عباس القمي المتوفى ١٣٥٩هـ، تحقيق مجمع البحث الإسلامية التابع للروضة الرضوية مشهد، ط الأولى.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثالثة ١٩٨٥.
- سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني، دار القلم بيروت، ط الثالثة ١٩٨١.
- السيف والسياسة في الإسلام، صالح الورداي، دار القارئ بيروت، ط الثانية ١٤٢٢هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن العماد الحنفي المتوفى ١٠٨٩هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المتوفى ٦٥٦هـ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، نشر مكتبة المرعشى النجفي، قم ١٤٠٤هـ.
- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البهراني المتوفى ٦٧٩.
- الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، هاشم معروف الحسني، دار القلم بيروت، ط الأولى ١٩٧٨.
- الشيعة في التاريخ، الشيخ محمد حسين الزين، نشر السيد مرتضى الرضوي، مطبعة العرفان صيدا، ط الثانية.
- صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ، ط دار الفكر ودار إحياء التراث العربي بيروت.
- الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليهما السلام، السيد جعفر مرتضى العاملی، دار الحديث

بيروت، ط الثانية ٢٠٠٧.

صفة الصفو، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، المتوفى ٥٩٧،  
دار الفكر بيروت ٢٠٠٥.

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن طاوس المتوفى ٦٦٤ هـ ،  
بتحقيق السيد مهدي الرجائي، مؤسسة البلاع بيروت، ط الأولى ١٤١٩ هـ .  
العتابيون في سنوات التأسيس، الدكتور عصام سخيني، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر بيروت، ط الأولى ١٩٩٨.

العبد الصالح الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، الشيخ محمد فاضل المسعودي، نشر زائر  
الروضة المقدسة قم، مطبعة توحيد ١٤٢٤.

الغبير في خبر من غير، الحافظ محمد بن أحمد الذهبي المتوفى ٧٤٨، تحقيق أبو  
هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت.

العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية، ثابت إسماعيل الراوي،  
منشورات مكتبة النهضة بغداد، ط الأولى ١٩٦٥.

العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، الدكتور إحسان النص، منشورات دار  
اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت.

عقيدة الشيعة، كتاب عن تاريخ الإسلام في إيران والعراق، دوايت م. رونلسن-  
تعريب ع. م، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر بيروت، ط الثانية ١٩٩٠.

العلاقات العباسية البيزنطية، موقف سالم نوري، وزارة الثقافة بغداد ١٩٩٢ م.

على الشرائع، محمد بن علي بن بابويه القمي، المكتبة الحيدرية النجف ١٣٨٥ هـ .

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المسمى بالمعيني على البخاري، بدر الدين  
محمد بن أحمد المعيني المتوفى ٨٥٥، دار الفكر ١٣٩٩.

عيون أخبار الرضا عليهما السلام، محمد بن علي بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق، نشر رضا

■ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

مشهدی - قم.

عيون المعجزات، الشيخ حسين بن عبد الوهاب، من علماء القرن الخامس الهجري،  
منشورات مكتبة الداوري قم.

غمر الأخبار ودرر الآثار في مناقب أبي الأئمة الأطهار عليّ أمير المؤمنين وسيد  
الوصيين وإمام المتقين أخي النبي المصطفى المختار صلوات الله عليهمما، الحسن  
ابن أبي الحسن عليّ بن محمد الديلمي، من أعلام القرن الثامن الهجري، تحقيق  
إسماعيل الصيغم، مكتبة العالمة المجلسي، من سلسلة مصادر بحار الأنوار،  
منشورات دليل ما، ط الأولى ١٤٢٧.

الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠ هـ، منشورات مكتبة نيسوى الحديثة  
طهران.

فرحة الغري في تعين قبر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في النجف، النقيب  
غياث الدين السيد عبد الكريم بن طاووس المتوفى ٦٩٣ هـ، منشورات الرضي قم.  
فرق الشيعة، أبو محمد الحسن بن موسى التوخيتي، من أعلام القرن الثالث للهجرة،  
صتحجه وعلق عليه السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية النجف  
١٩٣٦.

الفصول المهمة في معرفة الأئمة، عليّ بن محمد بن أحمد المالكي المكّي، الشهير  
بابن الصباغ المتوفى ٨٥٥، حفظه وعلق عليه السيد جعفر الحسيني، نشر المجمع  
العامي لأهل البيت عليهم السلام قم، ط الأولى ١٤٢٧.

الفهرست، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى ٤٦٠، تحقيق محمد صادق  
آل بحر العلوم، نشر المكتبة المرتضوية النجف.

في الأخلاق والعرفان، لأحد الحفاظ من أعلام الشيعة الإمامية في القرن الخامس  
والسادس، تحقيق رضا الاستادی، مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ط الأولى

١٤٢٦ هـ.

**القاموس الفقهي**، سعدي أبو حبيب، دار الفكر.  
قراءة في المسار الأموي، مروان خليفات، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي،  
ط الثانية ٢٠٠٥.

**الفرامطة بين المد والجزر**، الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس بيروت.  
**الكامل في التاريخ**، أبو علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، المعروف ابن الأثير  
الجزري، المتوفى ٦٣٠هـ، تصحيح محمد يوسف الدقاد، منشورات محمد علي  
بيضون دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٩٩٨م.  
**الكامل في اللغة والأدب**، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد النحوي  
المتوفى ٢٨٥، مؤسسة المعارف بيروت.

**كشف الغمة في معرفة الأئمة**، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي  
المتوفى ٦٩٣هـ، نشر مكتبةبني هاشمي تبريز ١٣٨١هـ.

**كتاب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**، أبو القاسم علي بن محمد بن علي  
الخرّار، القرن الرابع الهجري، انتشارات بيدار قم.

**كمال الدين وإتمام النعمة**، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق المتوفى  
٣٨١، منشورات ذوي القربي قم، ط الأولى ١٤٢٨هـ.

**الكتاب والألقاب**، عباس القمي، المطبعة الحيدرية النجف، ط الأولى ١٣٧٦هـ.  
**لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المتوفى ٧١٣، دار  
الفكر بيروت.

**اللumen في تاريخ التصوف الإسلامي**، أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسي  
المتوفى ٣٧٨هـ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت.  
تصحيح كامل مصطفى الهنداوي، ط الأولى ١٤٢١هـ.

٢٤٠ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

ما مثُلَّاً مقتول أو مسموم، جعفر البياتي، نشر كوثر كوير - قم المقدسة ١٤٢٤ هـ.  
مأثر الإنابة في معالم الخلافة، أحمد بن عبد الله القلقشندي المتوفى ٨٤١ هـ،  
بتحقيق عبد السَّتَّار أحمد فراج، ط عالم الكتب بيروت.

مشير الأحزان في أحوال الآثني عشر أئمَّة الرَّحْمَان، الشيخ شريف الجواهري  
المتوفى ١٣١٤ هـ، منشورات الرضي قم، ط الثانية ١٣٦٢ هـ. ش.

المجتني من الدُّعَاءِ المُجتَبِيِّ، السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاوس  
المتوفى ٧٦٤، تحقيق صفاء الدين البصري، مجمع البحوث الإسلامية مشهد،  
ط الأولى ١٩٩٣.

مجمع البحرين ومطلع التَّيَّرِين، فخر الدين الطريحي المتوفى ١٠٨٥ هـ، تحقيق السيد  
أحمد الحسيني، المكتبة الرضوية طهران.

مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى ٥٤٨ هـ،  
منشورات مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ، أو فسيط عن مطبعة العرفان صيدا.  
المحاسن والمساوي، إبراهيم بن محمد البهقي، من أعلام القرن الرابع الهجري، دار  
بيروت ١٤٠٤ هـ.

المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى ٢٧٤، تحقيق المحدث الأرموي،  
نشر دار الكتب الإسلامية قم.

المدونة الكبرى، مالك بن أنس المتوفى ١٧٩، دار صادر بيروت أو فسيط.  
مذاهب المسلمين، الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين بيروت،  
ط الأولى ١٩٧٣.

المرأة في أدب العصر العباسى، الدكتورة واجلة مجید عبد الله الأطرقجي، وزارة  
الثقافة والإعلام بغداد، دار الرشيد للنشر ١٩٨١.

المراجع في الحضارة العربية الإسلامية، إبراهيم سلمان الكروي وعبد التواب شرف

- الدين، منشورات ذات السلسل الكويت، ط الثانية ١٩٨٧.
- مرجو الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ،  
منشورات دار الهجرة قم، ط الثانية ١٤٠٤هـ.
- مسار الشيعة، الشيخ المفید محمد بن محمد بن النعمان العکبری المتوفی ٤١٣هـ،  
ط ضمن مجموعة نفیسه فی تاریخ الأئمۃ علیہما السلام، منشورات دار القارئ بیروت،  
ط الأولى ٢٠٠٢.
- المستجاد من كتاب الإرشاد، العلامة الحسن بن يوسف بن مطهر الحلبي المتوفی ٧٢٦هـ،  
ط ضمن مجموعة نفیسه فی تاریخ الأئمۃ علیہما السلام، منشورات دار القارئ بیروت،  
ط الأولى ٢٠٠٢.
- مستدرک الوسائل، المیرزا حسین التوری المتوفی ١٣٢٠، منشورات المكتبة الإسلامية  
ومؤسسة إسماعيليان.
- المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحكم النیسابوری الشافعی المتوفی ٤٠٥هـ،  
ط دار المعرفة بیروت.
- مسند أحمد بن حنبل المتوفی ٢٤١هـ، دار صادر بیروت.
- مصباح المتهجد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفی ٤٦٠، مؤسسة فقه الشيعة  
بیروت، ط الأولى ١٩٩١.
- المصباح المنير فی غریب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفتنومی  
المتوفی ٧٧٠، منشورات دار الهجرة قم، وط المكتبة العلمية بیروت.
- مطالب المسؤول فی مناقب آل الرسول، أبو سالم کمال الدين محمد بن طلحة بن  
محمد بن الحسن القرشی العدوى النصیبی الشافعی المتوفی ٦٥٢، مؤسسة البلاغ  
بیروت، ط الأولى ١٩٩٩.
- معالم الفلسفة الإسلامية، نظرات فی التصوف والكرامات، محمد جواد مغنية، دار

□ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون ٣٤٢

ومكتبة الهلال - دار الججاد بيروت، ط الخامسة ١٩٨٦.

معاني الأخبار، محمد بن علي بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق المتوفى ٣٨١، تصحیح عليّ أكبر الغفاری، منشورات جماعة المدرسین في الحوزة العلمیة، قم ١٣٦١ هـ، هجری ش.

معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الموسوی الخوئی المتوفی ١٤١٣، مطبعة الأداب النجف ١٣٩٨ هـ.

منفردات غریب القرآن، أبو القاسم الحسین بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانی المتوفی ٥٠٢، بتحقيق محمد سید کیلانی، نشر دفتر نشر الكتاب ١٤٠٤ هـ.  
المقالات والفرق، سعد بن عبد الله الأشعري القمي المتوفی ٢٩٩ أو ٣٠١ هـ، تحقيق محمد جواد مشکور، مجموعة میراث ایران واسلام، وزارة الثقافة في ایران، ط الثانية ١٣٦٠ هـ، ش.

المقفع، الشيخ المفید محمد بن محمد بن النعمان العکبری المتوفی ٤١٣، نشر جماعة المدرسین للحوزة العلمیة بقم.

الملل والنحل، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادی المتوفی ٤٢٩، حققه وقدم له وعلق عليه أبیر نصري نادر، دار المشرق بيروت.

الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهريستاني المتوفی ٥٤٨، تصحیح وتخريج محمد بن فتح الله بدران، ط مکتبة الأنجلو المصرية القاهرة، أوفیسیت منشورات الرضی قم.

من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، سينا للنشر القاهرة، ط الثانية ١٩٩٣.

من حیاة أهل البيت عليهم السلام، محمد علي التسخیری، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط الثانية ١٤١٩.

٣٤٣ مصادر ومراجع الكتاب

من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه الصدوق المتوفى ٣٨١، دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٠.

مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني المتوفى ٥٨٨ هـ، ط المطبعة العلمية قم.

المناقب والمثاب، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد الشعيمي المغربي، المتوفى ٣٦٣، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، منشورات مؤسسة الأعلمى بيروت، ط الأولى ٢٠٠٢.

ستهي المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحسن بن يوسف بن مظفر الحلبي المتوفى ٧٢٦، تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية مشهد، ط الأولى.

منهج الدعوات ومنهج العبادات، أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن محمد بن طاوس المتوفى ٦٦٤، انتشارات كتابخانه سناei.

الموجز في الأدب العربي وتاريخه، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت، ط الأولى ١٩٨٥.

موسوعة التاريخ الإسلامي، مجموعة من الكتاب، دار أسامة للنشر والتوزيع عمانالأردن. ط الأولى ٢٠٠٦.

الموسوعة التيمورية من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب، أحمد تيمور باشا، لجنة نشر المؤلفات التيمورية القاهرة ١٩٦١.

ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨، تحقيق علي محمد البخاري، دار المعرفة بيروت.

نشأة التشيع والشيعة، محمد باقر الصدر، تحقيق عبد الجبار شراة، دائرة معارف الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت، مركز العدير للدراسات الإسلامية، ط الأولى ١٩٩٣.

٣٤٤ □ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام شمس في ظلمات السجون

نظريّة عدالة الصحابة والمرجعية السياسيّة في الإسلام، المحامي أحمد حسين يعقوب، شركة شمس المشرق للخدمات الثقافية بيروت، ط الأولى ١٤١٣ هـ.

النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى بن الأثير المتوفى ٦٠٦، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناхи، أوفسيت إسماعيليان قم.

نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي من خطب وأقوال الإمام علي عليه السلام، بتصحيح وشرح صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة قم.

هوية التشيع، الشيخ أحمد الوائلي، دار الكتاب الإسلامي قم، ط الثانية.

واقع التقى عند المذاهب والفرق الإسلامية من غير الشيعة الإمامية، ثامر هاشم حبيب العميدى، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط الأولى ١٤١٦ هـ.

الواقفية دراسة وتحليل، رياض محمد حبيب الناصري، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام مشهد، ط الأولى ١٤٠٩.

ورأفو بغداد في العصر العباسي، الدكتور خير الله سعيد، مركز الملك فیصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض، ط الأولى ٢٠٠٠.

الوزراء والكتاب، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهمي، المتوفى ٣٣١ هـ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي القاهرة، ط الأولى ١٣٥٧ هـ.

وصايا الخلفاء والأمراء السياسية والإدارية في العصر العباسي الأول، الدكتور محمد جاسم الحديشي، منشورات المجمع العلمي العراقي بغداد ٢٠٠٢ م.

وقدّمة صفين، نصر بن مزاحم المنقري المتوفى ٢١٢ هـ - تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة القاهرة، ط الثانية ١٣٨٢ هـ، أوفسيت مكتبة المرعشي النجفي قم ١٤٠٣ هـ.

٣٤٥ □ مصادر و مراجع الكتاب

ولادة العهد للإمام الرضا عليه السلام، حسن طاهر الياسري، دار المرتضى بيروت ١٤٢٥هـ .  
يثابع الموقف، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي المتوفى ١٢٩٤هـ ، نشر  
دار الكتب العراقية، محمد اعتماد كتبى بغداد ١٩٦٦م، ط الثامنة.



## الفهرس

٣	المقدمة .....
٧	العبّاس وبنوه بين العطف النبوي والبرّ العلوي .....
٣٠	الإمامية والخلافة .....
٣٥	نظريّة الشيعة في الإمامة والحكم .....
٦٨	أثر الثورة الحسينيّة في الانعطاف السياسي للشيعة .....
٧٤	الشيعة وأعمال السلطة .....
٨٣	جهاد العلم والمعرفة .....
٩٠	الدولة الأموية والهدم التقاوبي .....
١١٩	عليّ بن عبد الله العباسى وأحلام الدولة .....
١٢٥	المعارضة السياسية وفرقها .....
١٣٢	الرضا من آل محمد في رؤية الفرق السياسية .....
١٥١	آل البيت والفرق المنسوبة إلى الشيعة .....
١٦٩	حركة الرنج .....
١٧٢	الخطوة الحركية لتأسيس الدولة العباسية .....

٣٤٨ □ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في ظلمات السجون

- أبو مسلم الخراساني ونجاح الدعوة العباسية ..... ١٧٩  
انتقال أخبار الدولة إلى العباسيين ..... ١٩٣  
بغداد وعصور الخلافة والمجون ..... ١٩٩  
حكاية الخليفة اللص ..... ٢٠٤  
رصفة بغداد ..... ٢٠٧  
الزحف السكاني نحو بغداد ..... ٢١٢  
بظر بغداد وترفها وبذخها ..... ٢١٩  
زياح الحضارة في بغداد ..... ٢٢٣  
عيد النيروز في بغداد ..... ٢٢٥  
التأثير الأجنبي في البيت والمجتمع العباسي ..... ٢٢٨  
رخاء الدولة وتهافت العصر ..... ٢٣١  
بغداد في عيون الزهاد ..... ٢٥١  
الولادة الظاهرة ..... ٢٥٥  
اسمه عليهما السلام ولقبه وكنيته ..... ٢٦١  
النصوص على إمامية الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ..... ٢٦٣  
موسى بن جعفر والخلفاء العباسيون الأوائل ..... ٢٦٨  
 أيام الرشيد مع موسى بن جعفر عليهما السلام ..... ٢٨٢  
الإمام موسى بن جعفر بين يدي المحراب ..... ٣٠١  
أولاده عليهما السلام ..... ٣١٩  
خليفة الإمام الكاظم عليهما السلام ومشكلة الواقفين عليه ..... ٣٢٠  
مصادر ومراجع الكتاب ..... ٣٢٥